بسم الله الرحمن الرحيم

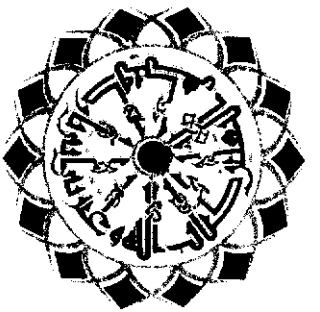

رسالة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

العدد السادس والعشرون • السنة السابعة • ربيع الآخر - جمادى الآخرة / ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي

* الجمهورية الاسلامية الايرانية - قم . ص . ب : (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٧٤٠٢٩٤ ، ٣ - ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٣٧٥١٧٩

رسالة الثقلين

مجلة اسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الاسلامية من منبع الثقلين والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنّة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام .
- تستقبل نتاجات العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين التي تصبّ في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلاميّة وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنّية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لا تعاد نشرت أم لم تنشر.

محتويات العدد

□ كلمة العدد

* العولمة ومقولة المصير المحتوم

..... بقلم رئيس التحرير ٤

□ من آفاق القيادة الاسلامية

* دور المرأة في بناء المجتمع الاسلامي

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي(دام ظلّه) ١١

□ دراسات

* العلم الالهي

..... الشيخ محمد هادي معرفة ٢٥

* نظام العبادات في مدرسة اهل البيت(ع) (٢)

..... السيد محمد باقر الحكيم ٦٥

* المدخل إلى النظام الاجتماعي الاسلامي (٢)

..... السيد منذر الحكيم ١١٠

* اضواء على معالم الدراسة والبحث في الحوزات العلمية

لمدرسة اهل البيت (ع) (١)..... السيد هاشم الهاشمي ١٤٣

□ في ضوء مدرسة أهل البيت(ع)

* التأمين الصحي واستخدام البطاقات الصحية

.... الشيخ محمد علي التسخيري ٣٧

□ شبهات وردود

* حول نشأة التشيع

..... الشيخ محمد النيل (السودان) ٨٤

□ نقد

* قراءة في الاصلاح والاصلاح الديني

..... الشيخ علي السبتي (كندا) ١٢٦

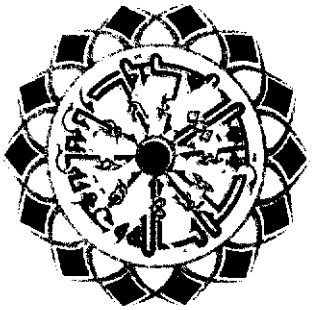

□ فنون وآداب

* قصيدة: مولد النبوة ..... السيد محمد جمال الهاشمي ١٠٧

* قصيدة: نهج النجاة ..... سفيان بن مصعب العبدي ١٣٤

□ استطلاع

* اتباع اهل البيت (ع) في الباكستان (١) اسرار محنتهم

..... السيد افتخار حسين النقوي (باكستان) ١٦٥

□ أهل البيت(ع) في روايات الصحابة

* روايات حبر الأمة ابن عباس (٣)

..... اعداد: صادق السوداني ١٦٠

□ من عزاهم أهل البيت(ع)

* لا تظلم كما لا تحب أن تظلم

..... اعداد: عبد القادر فرج الله (العراق) ١٨٥

□ تقارير

* من نشاطات المجمع العالمي لاهل البيت (ع)

..... التحرير ١٩٠

□ من آثار الحرى

* أنباء وتقارير ٢٢٠

□ من قراء الخطاب

* رسائل القرّاء ٢٥٨

المجمع العالمي لأهل البيت

المشرف العام:

الشيخ

محمد علي التسخيري

رئيس التحرير:

الشيخ

فؤاد كاظم المقدادي

كلمة التحرير

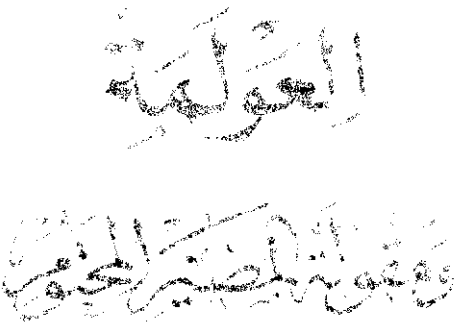

بقلم رئيس التحرير

في كلمة العدد السابق(*) عرضنا لجذور العولمة بما هي جولة استكبارية جديدة، وكشفنا عن حقيقتها من أنها آخر ما تفتق عنه العقل الأميركي؛ لتجميل صورة جولته الجديدة هذه، وتصويرها نظاماً حتمياً لابد للعالم من أن يخضع له، وأنها محكومة للقوة العالمية الكبرىٰ المتمثلة بالولايات المتحدة الأميركية، وانتهينا إلى أن حقيقتها لا تتجاوز حركة الرأسمالية الأميركية بثوب العولمة الجديد.

ثم تناولنا بالعرض ما اتخذته أميركا وحلفاؤها من إجراءات واسعة لتهيئة الأرضية العملية لهذه الجولة، وإحكام العوامل التي من شأنها أن تُطبق علىٰ رقبة دول العالم ومناطقه الحساسة؛ لئلا تخرج عن الدائرة الحمراء للخطة المرسومة باسم العولمة.

وحذّرنا من أن الشعوب والأمم، وخصوصاً شعوب الأمة الاسلامية لم تساوم ولن تساوم علىٰ هويتها الذاتية، أو تخنع ذليلة الإرادة أمام هذه اللعبة الجديدة، خصوصاً وأنها تعيش إرهاصات صحوتها الرائدة التوّاقة إلى الاستقلال والحرية، وتحقيق حاكمية

(*) كلمة تحرير العدد (٢٥) من المجلة تحت عنوان: «العولمة جولة استكبارية جديدة ـ الجذور والحقيقة».

العدل الإلهي في الأرض ، وقلنا إن هذه الأمة الرسالية ستخوض صراعاً مريراً مع الاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية ، وأن ظلماً وفساداً عظيمين سينالان الشعوب المستضعفة ، لو قُدّر للاستكبار أن يحقق نجاحاً لا سمح الله في جولته هذه . ولذلك أشرنا إلى أهم المبادئ والمبادرات التي يمكن لمن يهمه أمر شعبه وأمّته ، خصوصاً الدول الاسلامية ، أن يلتزمها ويقوم بها لردع الصيغة الاستكبارية للعولمة ، وخلق أرضية صالحة لعولمة حضارية سليمة تقوم على المبادئ الانسانية الحقة .

وفي كلمة هذا العدد نتناول بالعرض والتقويم دعوى مفادها أن العولمة مصير محتوم لا مفر منه ، لأن طبيعة التطور الهائل في الواقع المدني للعالم سيفرز هذه العولمة واقعاً حتمياً لا يمكن التنصل عنه ، ولم يكتف الإعلام الاستكباري بالترويج لهذه المقولة والتنظير لها ، بل إنّ كتّاباً ومفكرين من العالم الثالث ـ وفيهم بعض الاسلاميين ـ على هامش ذلك الاعلام بدأوا أيضاً بالتناغم مع هذه المقولة من خلال وجهها الطبيعي ، غافلين عن وجهها الاستكباري المستتر وراءها .

إن نظرة البعض إلى العولمة أنها تعبير طبيعي عن تطور العالم وتقدمه ؛ بمعزل عن السياسات والإرادة الاستكبارية للقوى العالمية الكبرى ، تشبه إلى حدٍّ كبير نظرة من انخدع بالظواهر المدنية الغربية التي غزت العالم في مطلع القرن العشرين ، خصوصاً بلدان الشرق الاسلامي منه ، حيث انقاد الكثير منهم لها دون أن يدركوا أنها كانت الوجه الظاهري لحركة استكبارية ، استهدفت السيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً .

وعليه ، ومن أجل تبسيط وتقويم مقولة حتمية العولمة ومناقشة القائلين بها ، لابد لنا من التفكيك والتفصيل ، ولو نظرياً ، بين أمرين في هذه العولمة المطروحة ، وهما :

الأمر الأول : العولمة كحالة طبيعية يفرضها التطور التقني في وسائل الاتصال في العالم ، والتقدم الهائل في القدرة على التبادل والتفاعل بين شعوبه ومجتمعاته ودوله .

هذا الوجه من العولمة لو خلّي وسبيله ، كأمر طبيعي يعبر عن محصلة للتفاعل الاقتصادي والثقافي بين مفردات المنظومة العالمية، لكان مطلباً حضارياً تنشده كل الأمم والشعوب وتسعى إليه ، بل تتسابق فيما بينها لتحصل على أكبر نصيب وأوفر حظٍ من التقدم والرقي الذي يَتمخض عنه . ونقصد من قولنا أن تُخلّى هذه العولمة وسبيلها الطبيعي ، أن تتم بصيغتها وأساليبها القائمة على القيمة الموضوعية لكل مفرداتها ، على أساسٍ من الاحترام المتبادل للقيم والعقائد بين أطرافها ، معتمدةً نهج الحوار الهادف في محتوى حضاراتها دون استكبار وهيمنة من قوة تدعي وصايتها على الآخرين ، ودون سلب للحقوق والثروات ، ونزع للاستقلال والحرية من أحد(*) .

إلّا أن العولمة كنهج طبيعي محايد ، وكحالة حضارية متوازنة ، خيال لا واقع له في الحالة العالمية المعاصرة . فلو أردنا أن نأخذ العولمة الاقتصادية مثلاً ، لوجدنا أنها تتكون من مجموعة عوامل ومفردات اقتصادية متحركة على شكل قوىً وكارتلات كبرى مجهزة بأحدث التكنلوجيا المتطورة المنحصرة بها ، ومن الطبيعي أنها ليست ممتلكات بلا مالك ومستثمرات بلا مستثمر ، بل هي خاضعة لإرادة مالكها وقرار مستثمرها ، ومن ثم فإن النهج والطريقة التي ستتحرك وفقها هذه القوى والكارتلات ، ستكون طريقة ونهج المالك والمستثمر صاحب القدرة والقرار ؛ ولو ترجمنا ذلك على أرض واقعنا الفعلي ، لوجدنا أن الاستكبار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية قد وضع يده على المفاصل الأساسية لذلك ، فهو يَتحكم بأكبرها امتداداً

(*) راجع كلمة تحرير العدد (٢٤) من المجلة تحت عنوان «حوار الحضارات أم صراع الحضارات؟!».

وأعظمها تجهيزاً وقدرة ، ويهيمن بواسطتها على اقتصاديات العالم ، ويسعى بكل قواه وإمكانياته لبسط المزيد من سيطرته على منابع الطاقة ، ومراكز التقنية الكبرى للتصنيع الإستراتيجي والتجارة العالمية ودوائر حركة المال وتداوله ؛ فكيف يمكننا تصور حالة من العولمة طبيعية ومتوازنة مع كل ذلك ؟

الأمر الثاني : العولمة كوجه آخر للاستعمار بطريقته الحديثة ؛ وهي بتعبير آخر جولة جديدة للاستكبار تستهدف احتواء العالم ، وإسقاط تمنّعه عن الاستكبار العالمي الذي هيّأ كل المقدمات ، ووضع كل ما يملك من إمكانيات لتحقيق القيادة الشاملة للعالم ، والهيمنة على مقدراته الاقتصادية وتوجهاته السياسية والثقافية .

ولو أردنا أن نكشف الستار عن هذا الوجه من العولمة ـ في جانبه الاقتصادي نموذجاً ـ لعرفنا الحقائق التالية :

١ ـ أن دول العالم اليوم منقسمة إلى دول مستضعفة وأُخرى نامية وثالثة قوية مستكبرة .

٢ ـ أن الدول المستضعفة ، بل النامية أيضاً ، لا تستطيع عادةً أن تدخل في جولة العولمة الاستعمارية إلّا بمدخل الضعف ووفق شروط القوى المستكبرة .

٣ ـ أن مجموعة الدول القوية المستكبرة بقيادة الولايات المتحدة الأميركية ، تسعى بكل قدراتها لتحويل العالم إلى سوق اقتصادية واحدة محكومة بقوانينها وخططها الإستراتيجية ؛ وما التنافس الحاصل بين بعضها والبعض الآخر ، كالذي بين روسيا وأوربا من جهة والولايات المتحدة الأميركية من جهة أُخرى ، إلّا من أجل الحصول على أوفر حصة من هذه السوق الاقتصادية ، والسعي لاستقطاب أكبر عدد من دول العالم حولها .

٤ ـ أن من لوازم العولمة الاستعمارية هذه ، هو تعريض دول

العالم المستضعف إلى الإنهاك السياسي والمسخ الإيديولوجي ، ومن ثم إلى فقدانها للاستقرار والاستقلال والهوية الذاتية ؛ لتتحقق بذلك أرضية العولمة الرأسمالية للاستعمار الجديد .

٥ ـ بناءً على ذلك سنجد أن دول العالم المستضعف ستنقسم إلى قسمين رئيسيين في موقفها من العولمة الاستعمارية ، وهما :

القسم الأول : دول انهزامية لا تجد لنفسها القدرة الذاتية على الوقوف بوجه هذه العولمة الرأسمالية لدول الاستعمار الحديث ، وستبرر ذلك وتنظّر له بأنها أمام أمر محتوم وقَدَر لا يمكن الفرار منه .

القسم الثاني : دول صمود تتحدى تيار هذه الجولة الاستكبارية الجديدة ، وتجد في نفسها القدرة الذاتية على الوقوف والثبات لتحقيق عوامل البناء الذاتي والاستقلال والتطور الاقتصادي على المدى البعيد، رغم التضحيات الآنيّة التي قد تقدمها جرّاء موقفها هذا . ونجد أن الجمهورية الاسلامية في إيران تمثل النموذج الفريد والقدوة الكبرى لهذا القسم من الدول .

بقي علينا أن نؤكد الحقيقة التالية ، وهي أن تصوير العولمة الاستعمارية أنها قدر محتوم ، بما تخفي وراءها من نوايا استكبارية خبيثة ، هو خدعة لا تنطلي على الأمم والشعوب الواعية ، وأنها ستخوض صراعاً مريراً من أجل الوقوف أمام هذه الجولة الاستكبارية الجديدة ، كما وقفت من قبل أمام الجولات الاستكبارية السابقة بقوة واقتدار .

إن إباء الأمم والشعوب الرسالية الواعية ، ورفضها لخطط العولمة الاستكبارية ، بما تملك من ثقافة أصيلة وثروات اقتصادية كبيرة وقدرة على اتخاذ القرار السياسي المستقل ، لا يعني انعزالها عن العالم ، فهذا أمر غير واقعي وليس ممكناً ، بل إنها عندما ترسم نهجها

الاقتصادي مثلاً ، يجب أن تراقب حركتها الاقتصادية في مستوىٰ وطبيعة علاقته بالاقتصاد العالمي ، وأن تضع لنفسها خطوطاً حمراء لا تتجاوزها فتسقط أمام القدرات الاقتصادية الاستكبارية ؛ وكما يصدق هذا في المجال الاقتصادي يصدق أيضاً في المجالين الثقافي والسياسي .

وإذا عرفنا أن خير أمة أُخرجت للناس من بين الأمم ، وأعظمها أصالة فكرية وسياسية هي الأمة الاسلامية : ﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[١] ، فسنجدها المصداق البارز بل المنفرد للأمة المتمنعة عن الاستكبار وجولاته المتوالية ، فبأفضليتها الرسالية وأصالتها الفكرية والسياسية ، وما تملكه من مواقع جغرافية وثروات اقتصادية كبرىٰ ، ستحقق الامتناع الذاتي والصمود أمام أية جولة استكبارية مهما كانت مقتدرة ومتطورة ، بل إن الشمولية والواقعية والتكامل الفريد الذي تمتاز به أطروحتها الاسلامية للحياة ، ستظهرها علىٰ كل الأطروحات الوضعية المتداولة في عالم اليوم ، لتناغمها مع طموحات البشرية ، وآمالها في إزهاق الباطل وإزالة الفساد والظلم ، وإحقاق الحق وإقامة العدل في الأرض : ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون﴾[٢] . ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيداً﴾[٣] . ﴿وإذ يعدكم الله إحدىٰ الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾[٤] .

وسوف لن نجد أرضية ومناخاً صالحين للعولمة بوجهها الإنساني النزيه ، وبُعدها الحضاري المتوازن ، إلّا في ظل الأطروحة الإلهية المتمثلة بالإسلام خاتم الرسالات السماوية وكمالها المنشود ،

(١) آل عمران : ١١٠ .

(٢) التوبة:٣٣، والصف:٩.

(٣) الفتح : ٢٨ .

(٤) الأنفال : ٧ ـ ٨ .

وهو القائم على أساس المنطق العقلي والفطرة السليمة ، والنهج الواقعي المنزّه عن جميع صور الاستكبار الإنساني والظلم والفساد : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (٥) .

(٥) الروم : ٣٠ .

إن هذه الأطروحة هي التي ستؤول إليها البشرية من خلال مخاضاتها المتوالية ، وحركتها الواصبة نحو الحق والعدل والسعادة ، وستساهم عوامل العولمة الطبيعية في تحقق ذلك ، فيصدق قوله تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ (٦) ، ويفي الوعد الإلهي بظهور المصلح المنتظر (عج) ، ويتحقق الإصلاح الأكبر للبشرية على يديه ، فتُملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، وهو الحق في قوله تعالى : ﴿ **ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾ (٧) .

(٦) الأنبياء : ١٠٥ .

(٧) القصص : ٥ .

صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين .

قال امير المؤمنين ع :

ألا وإنّه من لم ينفعه الحقّ ضرّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال .

كنز العمال ح ٤٤٢٢٥

من آفاق
القيادة الإسلامية

دور المرأة في بناء المجتمع الإسلامي

من حديث لولي أمر المسلمين وقائد الأمة الاسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «مد ظله» في التجمع العظيم لتكريم النساء المجاهدات في الجمهورية الاسلامية في ايران.

في مرحلة البناء في ايران الاسلامية كان كلٌّ من الشعب والحكومة الاسلامية ، يحاولان تحقيق مسألة اعادة البناء مادياً واجتماعياً ومعنوياً اعادة حقيقية في هذا البلد الاسلامي ، وذلك بالاتكاء والاعتماد على الايدي العاملة ؛ فإذا أرادت أي دولة أن تحقق مسألة اعادة البناء واعمار البلاد بصورته الحقيقية والمؤثرة ، وجب أن يكون اهتمامها الاول بالايدي العاملة في تلك البلاد .

وعندما نشير إلى الايدي العاملة يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن النساء يشكلن نصف عدد هذه الايدي في البلاد ،لذا نقول : إذا كانت هناك نظرة خاطئة للمرأة في المجتمع ، فإنه لا يمكن تحقيق مسألة الاعمار واعادة البناء الشامل .

يجب أن تتمتع النساء في بلادنا بالوعي الكامل والالمام الشامل لنظرة الاسلام للمرأة ومكانتها فيه ؛ لتستطيع أن تدافع عن حقوقها

● ولي أمر المسلمين
آية الله العظمى
السيد الخامنئي
«دام ظله»

بالاتكاء والاعتماد على هذه النظرة السامية الرفيعة للمرأة .

يجب على كل افراد المجتمع وعلى الرجال في البلاد الاسلامية ، أن يعلموا أن دور المرأة في نظر الاسلام هو عبارة عن وجودها في كل مجالات الحياة ، وتعلّمها وجدّها وسعيها في كل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية في المجتمع ، ويجب أيضاً أن يعلموا ماهو دور المرأة وواجبها في محيط الاسرة وخارجه .

إن للاسلام نظرة بيّنة وواضحة بالنسبة للمرأة ، وإذا أردنا أن نقارن هذه النظرة مع نظرة الثقافات الاخرى كالثقافة الغربية ، نجد أن النظرة الاسلامية لم تقطع اشواطاً كبيرة ومتقدمة فقط ، بل إن لها تأريخاً قديماً يفوق ماهو عليه بالنسبة للرجل ، وهذه النظرة الاسلامية الصحيحة للمرأة هي بسبب نجاح وتقدم البلاد الاسلامية ، وارتقاء مستوى النساء فيها .

ارجو من الاخوات العزيزات وبخاصة جيل الشابات وصاحبات الهمم العظيمة والاهداف السامية ، أن يصغين إلى ما اذكره من مختصر الكلام المطروح في هذا الوقت المحدود .

إن من يجب أن يكون له نشاط في هذا المجال (مجال شؤون المرأة) هن نساء مجتمعنا ، وإذا كان هناك قصور في المرأة المسلمة في المجتمع الاسلامي ، سواء كان في ايران أو بعض الدول الاسلامية ، فباعتقادي أن جزءاً منه يرجع إلى النساء انفسهن ، والجزء الآخر يكون بسبب الرجال ؛ لأن من يجب عليه أن يعرف حقوق المرأة في الاسلام وأن يدافع عنها ، هي المرأة بالدرجة الاولى . يجب على النساء أن يعرفن ماذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن المرأة ، وماذا يريد منها ، ويجب أيضاً أن يعرفن من الذي يحدّد مسؤولية المرأة حتى تستطيع أن تدافع عن حقها بما يقوله الاسلام وفي اطار الاسلام ؛ وإذا كانت المرأة بعيدة عن هذه الامور ، فسوف

تسمح لفاقدي القيم الانسانية أن يمارسوا الظلم لها ، كما نلاحظ في المجتمع الغربي الخاضع للانظمة المادية ، بالرغم من كل هذه الشعارات المرفوعة لمصلحة المرأة ، حيث نجد أن اكثر الظلم الذي يقع على المرأة في هذا المجتمع هو من قبل الرجال ، فنجد ظلم الاب لابنته والأخ لاخته والزوج لزوجته ، ونجد حسب الاحصائيات والارقام الموجودة على المستوى العالمي ، أن نسبة كبيرة من الظلم للمرأة والتعدي عليها يمارس من قبل رجال هذه المجتمعات الغربية .

إذا لم تحلّ القيم المعنوية مكانها الطبيعي ، وإذا لم تكن هي السائدة في نظام من الانظمة ، فسوف تخلو القلوب من القوة المعنوية الالهية ، وسيجد الرجل طريقه لظلم المرأة مستعيناً بقدرته الجسمانية المادية . إن الرادع الحقيقي لممارسة الظلم يتمثل في اللّه والايمان والقانون ، وأيضاً في معرفة المرأة لحقها الانساني والالهي والدفاع عنه وسعيها لتحقيقه بكل معنى الكلمة .

إن الاسلام قد عيّن حدّاً وسطاً في مسألة حقوق المرأة خالياً من الإفراط والتفريط ، حيث لم يعط للمرأة حق ممارسة الظلم ، وفي نفس الوقت لم يغض النظر عن الطبيعة الحاكمة التي تميّز الرجل عن المرأة. إن الصراط المستقيم والقويم هو الصراط الاسلامي الذي حدّده الاسلام ، ونحن نشير إليه بصورة مختصرة .

عين الاسلام ثلاثة مجالات لنشاطات المرأة :

المجال الأول : التكامل والنمو والترقي المعنوي للمرأة . إنّ المرأة لا تختلف عن الرجل في هذا المجال ، أي إن المرأة تستطيع أن تصل إلى أعلى درجات الكمال المعنوي ، كما يستطيع الرجل أن يصل إلى هذه الدرجات الرفيعة ، والقرآن الكريم عندما يريد أن يذكر نموذجاً للانسان المؤمن يختاره من بين النساء كما يختاره من بين الرجال : ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ . اللّه سبحانه وتعالى يذكر

نموذجين من النساء بصفتهما رمزاً للانسان المؤمن لا رمزاً للمرأة المؤمنة ، يعني أن الله تعالىٰ عندما أراد أن يذكر نموذجاً ومثلاً لأعلىٰ درجات الانسانية والتكامل المعنوي ذكره من النساء ، حيث ذكر امرأتين نموذجاً حياً لذلك احداهما امرأة فرعون : ﴿إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ . لقد كافحت هذه المرأة تلك القدرة المتغطرسة الطاغوتية المتمثلة بزوجها ، ولم تخضع لظلمه المقتدر . إن عظمة هذه المرأة تتجلىٰ في أن زوجها لم يستطع أن يفرض عليها طريق الظلال وهي في بيته ، مع أن عظمته وقدرته الواسعة استطاعت أن تسيطر وتهيمن علىٰ ملايين الرجال وجعلتهم رهن إرادته ، بل عاشت هذه المرأة حرّة وآمنت بالله وتركت طريق فرعون وطريق الضلال واختارت الطريق الالهي القويم ، لذا ذكرها القرآن الكريم نموذجاً بارزاً لا لبني جنسها فقط بل للبشرية جمعاء رجالاً ونساءً .

المرأة الاخرىٰ التي ذكرها القرآن الكريم هي مريم بنت عمران عليها السلام وأم عيسىٰ عليه السلام ؛ هذه المرأة التي وقفت كالجبل الاشمّ أمام كل الظنون السيئة والتهم التي توجهت إليها من قبل سكان مدينتها ومنطقتها ، وأخذت بيدها روح الله وكلمته ، هذه الآية العظمىٰ التي زرعها الله تعالىٰ في رحمها الطاهرة بقدرته وإرادته ، لتشقّ بها الظلام الذي كان مهيمناً علىٰ العالم في ذلك الزمان ؛ فهاتان المرأتان قد ملأتا الدنيا بنورهما وضيائهما .

إذن المجال الأول هو مجال النمو والتكامل الروحي للانسان ، ولا يوجد في هذا المجال فرق بين المرأة والرجل ، المرأة مثل الرجل والرجل ايضاً مثل المرأة ، يستطيعان أن يصلا إلى أعلىٰ مدارج الكمال المعنوي والتقرب إلى الله تعالىٰ ، لذا يذكر القرآن الكريم هذه الآية المباركة : ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ . نلاحظ ذكر الله تعالىٰ المرأة إلى جانب الرجل : ﴿أعدّ الله لهم مغفرةً واجراً عظيما﴾ . إذن كلاهما في هذا الشأن سواء .

المجال الثاني : هو مجال النشاطات الاجتماعية الذي يشمل النشاطات الاقتصادية والسياسية والنشاطات الاجتماعية بالمعنىٰ الاخص ، وايضاً تشمل النشاطات العلمية وطلب العلم والتدريس والسعي في سبيل الله والجهاد وكل ميادين العمل في المجتمع . وفي هذا المجال ايضاً لا يجد الاسلام فرقاً بين الرجل والمرأة في ممارسة هذه النشاطات . وإذا كان هناك ادعاء أن الرجل يستطيع أن يدرس والمرأة لا تستطيع ، أو أن الرجل يستطيع أن يدرّس والمرأة لا تستطيع ، أو أن الرجل يستطيع أن تكون له نشاطات اقتصادية والمرأة لا تستطيع ، فهذا ادعاء يخالف نظرة الدين الاسلامي .

الاسلام يرىٰ أن الرجال والنساء متساوون في ممارسة كل النشاطات المتعلقة بالمجتمع البشري . طبعاً توجد بعض الاعمال لا تلائم طبيعة جسم المرأة ، وهناك أيضاً بعض الاعمال لا تلائم طبيعة جسم الرجل ، وهذا لا يعني عدم امكان مشاركة المرأة في النشاطات الاجتماعية ، بل تقسيم العمل يكون حسب القدرة والرغبة ووجود مجالات تقتضي العمل فيها .

فالمرأة إذا أرادت وكان لها رغبة تستطيع أن يكون لها نشاطات مختلفة ، وتستطيع أن تؤدي أي عمل يتعلق بالمجتمع .

لقد عيّن الاسلام حدوداً لممارسة المرأة لنشاطها ، وهذه الحدود لا تتعلق بجواز مشاركة المرأة في النشاطات الاجتماعية أو عدم جوازها، وإنما تتعلق بمسائل اخرىٰ مثل الاختلاط بين الرجل والمرأة ، فالاسلام يؤكد أنه يجب أن تكون حدود للاختلاط بينهما،

سواء كان في الشارع أو الدائرة أو المتجر وغيرها من الاماكن الاخرىٰ .

إن الاختلاط بين الرجل والمرأة يختلف عن الاختلاط بين الرجال انفسهم ، وبين النساء فيما بينهن ، لذا علىٰ كل من الرجل والمرأة أن يأخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار ، وإذا روعيت هذه المسألة من قبل الطرفين تستطيع المرأة أن تمارس كل النشاطات التي يمارسها الرجل ، وذلك حسب قدرتها الجسمية ورغبتها في العمل والفرصة المتاحة لها .

إن النساء يستطعن أن يتابعن مسألة طلب العلم وأن يصلن إلى درجات عاليه ومرموقة منه ؛ وإذا كان البعض يعتقد أنه لا يمكن للفتيات طلب العلم ، فهذا اعتقاد خاطئ وخارج عن الصواب . يجب علىٰ الفتيات طلب العلم في الفروع التي يرغبن فيها ؛ لأن المجتمع بحاجة إلى الاختصاصات العلمية للفتيات والنساء كما أنه بحاجة إلى اختصاصات الذكور .

ولابد أن يكون الجو الدراسي لكل من الذكر والانثىٰ طاهراً ونقيّاً ، ويجب أن تكون الجامعات مكاناً آمناً لأولاد الناس اناثاً وذكوراً ، والمحيط الخارجي يجب أن يكون محيطاً مناسباً من الناحية الاخلاقية ، ومؤهلاً للمحافظة علىٰ عفّة كل من الاناث والذكور ، وفي حالة كون المحيط الخارجي كالشارع والسوق والمدرسة وغيرها محيطاً آمناً ونقيّاً من الناحية الاخلاقية والفكرية ، يستطيع كل من المرأة والفتاة المسلمة والرجل والصبي المسلم أن يمارس نشاطه في المجتمع .

إن الآباء والأمهات والمسؤولين تقع علىٰ عاتقهم مسؤولية ايجاد مثل هذا المحيط السالم اخلاقياً ، ولاجل الابتعاد عن الاختلاط فرض الله تعالىٰ الحجاب . الحجاب هو وسيلة من وسائل ايجاد الأمن

الاخلاقي ، وبالحجاب يستطيع كل من الرجل والمرأة أن يحافظ على نفسه ، وفي حالة ابتعاد المرأة عن الحجاب وسلوكها طريق الخلاعة والتعري تضرّ نفسها وتسلب روحها الشعور بالأمن اولاً ، وتضرّ الرجل ثانياً ؛ لأنه كلما كان المحيط خالياً من المفاسد الاجتماعية ، استطاع كل من الرجل والمرأة أن يؤديا مسؤوليتهما الاجتماعية .

إن الاسلام هو الذي فرض الحجاب باعتباره واحداً من الاحكام المهمة في الاسلام.

إذن المجال الثاني الذي ذكرناه كان عبارة عن النشاطات الاجتماعية والسياسية والعلمية وغيرها ، والمرأة لها حق انجاز مثل هذه النشاطات حسب مقتضيات زمانها وما تجده واجباً عليها ، وأيضاً لها حق في أن تملأ الفراغ الذي تجده في مجتمعها . مثلاً تستطيع الفتاة أن تكون طبيبة ، أو أن تخوض المجال الاقتصادي ، أو تشتغل في الحقل العلمي كأن تكون مدرسة تمارس التدريس ، أو تدخل المجالات السياسية ، أو أن تكون صحفية وغير ذلك .

إن المجال مفتوح امامها بشرط أن تحافظ على عفتها ، وأن تبتعد عن الاختلاط . إذن المجال مفتوح لكل من المرأة والرجل ، وهناك كثير من الكتابات الاسلامية تشير إلى أن ما نقوله ، وحتى الاوامر والواجبات الاسلامية في هذا المجال تحمّل كل من الرجل والمرأة مسؤولية اجتماعية واحدة : « **من اصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم** » ؛ هذا الخطاب لا يخص الرجال فقط بل يخاطب النساء أيضاً . على النساء أن يهتممن بشؤون المجتمع المسلم والعالم الاسلامي .

لقد جاء في الآية الشريفة من سورة الاحزاب أن الرجل والمرأة متساويان في الايمان والقنوت والخشوع والتصدّق والصوم والصبر والاستقامة والعفة وذكر الله . إذن النشاطات التي تمارسها المرأة هي نشاطات مباحة ، وذلك بشرط المحافظة على عفتها ، وبممارسة

المرأة لهذه النشاطات تضمن نصف الايدي العاملة في المجتمع ، فعندما دخلت المرأة ميادين التدريس أصبح عدد المعلمين ضعف ما كان عليه سابقاً ، عندما كان التدريس مقتصراً على الرجال فقط .

إذن لا فرق بين الرجل والمرأة ، فكلٌ منهما مسؤول أمام مسألة الاعمار والنشاطات الاقتصادية ووسائل التخطيط والتفكير وغيرها ، وأيضاً كلٌ منهما مسؤول أمام شؤون الدولة والمدينة والقرية ، وحتى في شؤون التجمعات الصغيرة والمسائل الاسرية لكل منهما مسؤوليته الخاصة .

أيتها الفتيات والنساء المؤمنات ، إن اوربا التي تدعي حرية المرأة . قبل نصف قرن لم يكن للمرأة الاوربية حق التصرف بثروتها الشخصية ، وكان يجب عليها أن تضعها تحت تصرف أخيها أو أبيها أو زوجها ليستفيد منها لصالحها أو لصالحه ؛ أما في الاسلام فالمرأة هي المالكة لثروتها ولها حق التصرف بها ، سواء رضي الزوج أو الأب أو لم يرض ، ولا يستطيع أحد أن يمنعها .

إن النظرية الاسلامية في استقلالية المرأة اقتصادياً قد سبقت العالم ، إذ صرّح الاسلام بهذه المسألة قبل ثلاثة عشر قرناً ، أما في اوربا فلم يصرح بهذه المسألة إلّا قبل أربعين أو خمسين سنة ، حتى إن بعض الدول لم تعط للمرأة استقلاليتها الاقتصادية إلّا قبل سنين قليلة ، حيث سمح للمرأة وأُعطيت حق التصرف بأموالها ؛ لذا نقول إن الاسلام قد سبق غيره في هذه المسائل .

المجال الثالث: هو مجال الاسرة . لقد أشرنا سابقاً إلى نشاط المرأة في مسألة التكامل المعنوي ، وأيضاً أشرنا إلى الحكم الاسلامي والنظرية الاسلامية بالنسبة لكل أنواع النشاطات الاخرى . أما في هذا القسم فنريد أن نطرح مسألة دور المرأة الاسري ، يعني دور المرأة بصفتها زوجة وأمّاً ، والاحكام الاسلامية في هذا المضمار قد وصلت

إلى درجة من الوضوح والجلاء والرفعة بحيث يشعر الانسان بالعزة والفخر عندما يراها ويواجهها . وقد اعطى الاسلام أهمية خاصة للمرأة في كل الاحوال سواء كانت زوجة أو أمّاً .

ففي مسألة انتخاب الزوج ، تملك المرأة الحرية المطلقة في انتخاب شريك حياتها ، ولا يستطيع أحد أن يجبرها حتى أخوها وأبوها ، فضلاً عن سائر أقاربها .

هذه هي نظرية الاسلام ورأيه في مسألة الزواج ؛ ولكن توجد في المجتمع الاسلامي بعض العادات والتقاليد الجاهلية حتى في بعض مناطق ايران ، فمثلاً في بعض العشائر يستطيع ابن العم أن يتدخل في زواج بنت عمه ، وهذا عين الخطأ ؛ لأن الاسلام لم يعط لأحد حق التدخل في هذه المسائل ، وهذه عادات جاهلية لا يمكن أن نتهم الاسلام بها بمجرد ما صدرت عن بعض جهلاء المسلمين ، فهؤلاء يتصرفون حسب عادات وتقاليد جاهلية لا تمت بالاسلام واحكامه الجليّة بأي صلة .

الذي يجبر بنتاً على الزواج من ابن عمها يكون عمله هذا خلاف الشرع الاسلامي ، وكذلك من يحرم بنت عمه من الزواج ، أو لا يوافق على زواجها لأنها لم تتزوج منه فقد خالف الشرع الاسلامي الحنيف .

إذا حدث نزاع وسفك دماء بين قبيلتين من القبائل ، وأراد أحد أن يحل هذا النزاع بزواج بنت أحد القبيلتين بشاب القبيلة الاخرى دون استشارتها ، يعتبر هذا الزواج خلاف الشرع الاسلامي الحنيف ؛ أما إذا أستشيرت البنت ووافقت على هذا الزواج ، وكان الزواج حلاً لهذا الخلاف الدائر ، فهذا الزواج زواج جائز ومبارك أيضاً ، والاجبار والاكراه في هذه المسائل خلاف الشرع الاسلامي .

لاحظوا أن الاحكام الاسلامية منذ اللحظة الاولى لتشكيل نواة الاسرة هي إلى جانب المرأة ، والاسلام يخالف تصرفات بعض

الرجال الذين يحاولون فرض آرائهم وممارسة الظلم في حياتهم الزوجية .

منذ اللحظة الاولىٰ لتشكيل الاسرة يشترك كل من الرجل والمرأة في هذه الحياة الزوجية ، ويجب أن يتعامل كل منهما بحب وحنان مع الآخر ، ولا يحق لأحدهما أن يفرض رأيه علىٰ الاخر . إن الاحكام الاسلامية التي تنظم علاقة الرجل والمرأة احكام دقيقة للغاية ، والاسلام عند تشريعه هذه الاحكام أخذ بنظر الاعتبار مصلحة المجتمع الاسلامي ومصلحة كل من الرجل والمرأة .

الرجل في بعض الاوقات فقط يستطيع أن يمارس سلطته علىٰ المرأة ، وأنا سأشير إلى بعضها ، فمثلاً الرجل يستطيع أن يمنع المرأة من الخروج من البيت بدون اذنه ، بشرط ألّا يكونا قد اشترطا اثناء العقد شرطاً يخالف هذا الحق (حق الزوج) ، وهذه احدىٰ اسرار الحكم الالهي في هذه المسألة ، حيث اعطىٰ للزوج فقط حق هذا المنع ولم يعطه لآخر حتىٰ للأب ، فالأب لا يستطيع أن يمنع بنته من الخروج من البيت دون اذنه ، وكذلك الأخ لا يستطيع أن يمارس هذا الحق ، أما الزوج فهو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يمنع خروج زوجته من البيت دون اذنه . طبعاً تستطيع النساء أن يضعن بعض الشروط أثناء عقد الزواج ، وعندئذٍ يجب علىٰ كل من الزوج والزوجة أن يعملا بهذه الشروط ، فمتىٰ ما كان هناك شرط ضمن العقد فهذا بحث آخر ، وإن خلا العقد من أي شرط فيجب علىٰ المرأة أن تطيع الرجل في هذا المجال الذي ذكرناه سابقاً .

وعلىٰ المرأة أيضاً أن تطيع الرجل في أمور اخرىٰ لم نذكرها خلال هذا البحث ، وكل هذا بسبب طبيعة كل من الرجل والمرأة ؛ فإن لكل منهما طبيعته الخاصة ، ولا يمكن أن يُرجىٰ من المرأة أن تقوم باعمال الرجل أو تمتلك روحياته ، وكذلك لا يمكن أن يُرجىٰ من الرجل أن

تكون له روحيات المرأة ، لذا من مصلحة البشرية بل من مصلحة المجتمع والنظام الاجتماعي أن تراعي في التعامل الاسري هذه الروحيات الخاصة لكل منهما ؛ لأن رعاية هذه المسائل هي سبب سعادة الرجل والمرأة ، ولا يمكن لأي واحد منهما أن يمارس الظلم والتجبر والاستعباد للآخر ، فبعض الرجال يتصور أن واجب المرأة اداء كل الاعمال التي تخدم الرجل ، وطبعاً في المحيط الاسري إذا كانت العلاقة الزوجية مبنية على الحب والتفاهم ، سعىٰ كل واحد منهما بشوق ورغبة لخدمة الآخر وأداء واجبه ، بخلاف أن يؤدي الانسان عمله مجبوراً مكرهاً ، مثل أن تكون المرأة كالخادمة في عملها في البيت ، وهذا يخالف الشرع الاسلامي الحنيف .

ومن واجبات المرأة الاخرىٰ داخل البيت والجو الاسري تربية الاولاد . إن النساء اللواتي يمتنعن عن انجاب الاطفال بسبب نشاطاتهن خارج البيت ، يخالف عملهن هذا الطبيعة الانسانية للمرأة ورضوان الله تعالىٰ .

إن اللواتي يعرضن عن تربية أولادهن أو إرضاعهم ، أو يحرمن اطفالهن من العطف والحنان الذي يمكن أن يجده أي طفل في حظن امه ، وذلك بسبب بعض الأعمال التي لا تتوقف ادارتها عليهن ، فليعرفن انهن قد ارتكبن خطأً فادحاً .

أن افضل طريقة لتربية الاطفال هي تربيتهم في احضان امهاتهم المملوءة بالحب والحنان والعطف ؛ واللواتي يحرمن اطفالهن من هذا الحب والحنان يكنّ قد ابتعدن عن جادة الصواب ؛ لأن هذا الحرمان لا يضرّ الطفل وحده ، بل يرجع ضرره إلى المجتمع كله ، وهذا ما لا يجيزه الاسلام .

ومن واجبات المرأة الاخرىٰ تربية أولادها تربية صحيحة ودقيقة ، واحاطتهم بعطفها واهتمامها عندما يصل كل من البنت

والصبي إلى سن الرشد ؛ فاذا كانت تربيتهم تربية صحيحة يكونون في مأمن من العقد النفسية والمشاكل والبؤس والشقاء والذلة والبلاء ، وكل هذه الامور يبتلىٰ بها اكثر شباب المجتمعات الغربية في اوربا وأميركا .

ايتها العزيزات ، إن المرأة الغربية لم تعط اهتماماً للاسرة واهملت تربية الاطفال ؛ لذا نرىٰ المجتمعات الغربية مملوءة بالشباب والاحداث المجرمين ، ففي اوربا وأميركا تحت ظل الحضارة المادية والقصور الشامخة والمراكز النووية وناطحات السحاب الشاهقة ذات المئة طابق ، وفي ظل هذه التطورات العلمية والتكنلوجية ، نجد الاحداث وهم في سن العاشرة أو الثانية عشرة قد اتخذوا طريق الاجرام مسلكاً ، فهذا سارق وذاك قاتل أو مهرّب أو مدمن مخدرات ، وكل هذه الامور بسبب جهل المرأة الغربية بقيمة ومنزلة الاسرة .

لم يكن وضع المرأة الغربية سابقاً مثلما هي عليه الآن ، لكن قبل ٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠ سنة بدأ وضع المرأة الغربية وخاصة في بعض الدول الاوربية وأميركا بالتردي والانحطاط . عندما سلكت المرأة الغربية هذا الطريق المنحرف لم تكن تتوقع أو تتصور أنه بعد ثلاثين أو أربعين أو خمسين سنة اخرىٰ سيُبتلىٰ المجتمع بهذه البلايا ، فنرىٰ الاولاد والاحداث الذين لا يتجاوز سنهم اثني عشر عاماً يحملون مُسدساتهم وشفراتهم في جيوبهم ، ويتسكعون ليلاً ونهاراً في الشوارع ، ويقتلون دون أي اعتبار لحياة أحد ، وكل هذا بسبب انهيار اساس الاسرة ونواتها .

إن المرأة هي التي تحافظ علىٰ الاسرة وتُديرها ، وهي العنصر الاساسي لبناء الاسرة وتشكيلها لا الرجل ؛ لأن المرأة إن كانت عاقلة وفاهمة ومُدبّرة للامور وربة بيت ممتازة ، تستطيع أن تحافظ علىٰ الاسرة إن غاب الرجل عنها لسبب من الأسباب ؛ أما الرجل

فلا يستطيع أن يحافظ على بنيان الاسرة إذا ما غابت المرأة عنها ؛ ولهذا عُني الاسلام بدور المرأة في داخل الاسرة .

إذا التزمت المرأة بالاسرة وتربية اولادها ، وإذا اهتمت بإرضاعهم واعطائهم الحب في أحضانها الحنونة ، وإذا ما غذتهم الثقافة الصحيحة وعلمتهم الاحكام والقصص القرآنية والمواقف التعليمية والتربوية ، تستطيع أن تقدم للمجتمع جيلاً رفيعاً ورشيداً .

وكل هذه الاعمال التي تقوم بها المرأة لا تنافي طلبها للعلم ، أو ممارستها التدريس أو السياسية وغيرها من النشاطات الاخرى .

إن المرأة في صدر الاسلام بالاضافة إلى تضميدها لجروح الجرحى ، هذه الاعمال في اكثر الاحيان على عاتق المرأة ، كانت تشترك في ميادين الحرب حاملة السيف ، في الوقت الذي كانت فيه تحتضن في بيتها أطفالها لتربيتهم تربية اسلامية . كل هذه الامور كانت تمارسها المرأة بحجابها وعفافها .

إذا ما دققنا في الامر نجد أنه لا يوجد أي تناقض بين هذه الامور وحجاب المرأة ، لكن البعض اتخذ في تفسير هذه المسألة طريق الافراط ، واتخذ آخر طريق التفريط ؛ فالبعض يقول مثلاً إن النشاطات الاجتماعية تمنع من الاهتمام بالزوج والاولاد ؛ لذا يجب الاحتراز عنها ، والآخر يقول بما أن الزوج وتربية الاولاد عقبة في طريق النشاطات الاجتماعية للمرأة ؛ لذا يجب محو هذه العقبة ، وكلتا النظريتين بعيدة عن الصواب .

إن للمرأة واجبات هي ركنية واساسية في الاسرة ، والمرأة أيضاً هي السند الروحي لزوجها ، ففي فترة النضال ضد النظام الطاغوتي في ايران كان لكثير من الرجال دور بارز في ميادين الجهاد ، لكنهم لم يستطيعوا أن يواصلوا كفاحهم هذا بسبب وقوف نسائهم في طريقهم ؛ وذلك لأنهن لا يتحملن مصاعب ومتاعب الجهاد ولفقدانهن

العفو والتسامح .

وكثير من النساء كنّ على عكس ما ذكرنا ، فقد شجعن ازواجهن على الجهاد والنضال والمقاومة والتصدي للنظام البائد ، وساعدنهم وكنّ خير سند روحي لهم .

بين سنتي ١٣٥٦ و ١٣٥٧ هـ. ش (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م) كانت شوارع ايران تكتظ بالناس ، وكان للنساء دور بارز في التعبئة وارسال ازواجهن واولادهن إلى ميادين الكفاح والمقاومة والمظاهرات ضد الحكم الجائر.

إن النساء في ايام الثورة والحرب المفروضة قد جُعلن اولادهن وأزواجهن فدائيين مقاومين وأقوياء في سبيل الاسلام والدفاع عنه ، هذا هو دور المرأة الذي تستطيع أن تؤديه في اسرتها ، وُيُعتبَر برأيي من أهم الادوار واعظمها .

إن اهم دور للمرأة هو تربية اولادها ، ومساندة زوجها روحياً ليستطيع أن يقتحم مجالات الحياة العظيمة ؛ ونشكر الله ونحمده أن المرأة الايرانية قد خطت خطوات عظيمة في هذا المجال .

إن نساء ايران الواعيات والشجاعات والقويات والصبورات كان لهن دور فاعل في زمن الثورة والحرب المفروضة ، وذلك في جبهات القتال وفي خلف الجبهات وحتى في بيوتهن .

ولنساءنا اليوم دور فاعل في المجالات السياسية والثقافية والثورية ، وكذلك على صعيد النشاطات العالمية لهن دور فاعل أمام الاعداء في العالم كله .

إن المفسرين والمحللين السياسيين الذين يهتمون ويفسرون قضايا بلادنا العزيزة ، عندما يرون هذا الجمع العظيم وهذه الارادة القوية وهذا الوعي والرغبة ، يحسون بالتقدير والاحترام لبلدنا العظيم وشعبنا المحترم ونظامنا الجمهوري الاسلامي .

دراسات

علم الإلهي

* الشيخ
محمد هادي معرفة

العلم في حقيقته هو انكشاف المعلوم لدىٰ العالم ، وهو امر إضافي ينتزعه العقل من تقابل المُدرِك والمدرَك مع عدم حائلٍ بينهما ؛ فليس العلم سوىٰ رفع الحجاب الحاجز بين المنكشف والمنكشف لديه، فإذا لم يكن حجاب بين المُدرك ومُدرَكه ، حصل الإدراك ، الذي هو عبارة عن انتقاش صورته في ذهن المُدرك ، علىٰ أثر هذا التقابل ، سواء أكان عيناً أم معنىً[1] .

فالعلم أمر اعتباري انتزاعي ، منشؤه ذلك التقابل الخاص .

أما علمه تعالىٰ بالأشياء فهو عبارة عن حضور الاشياء بأسرها لديه تعالىٰ ، وكل شيء هو رهن حضوره في محضر القدس تعالىٰ ، ليس يعزب عنه شيء .

وكانت صفحة الوجود بأسرها هي صفحة اللوح المحفوظ ، المرشحة فيها صور الموجودات ، لا بنقوشها واشكالها ، بل بذواتها وأعيانها .

ولم يكن هناك حجاب بينه تعالىٰ وبين الاشياء ، ومن ثَمَّ كان علمه تعالىٰ حضورياً ، وكانت الاشياء بأسرها رهن حضورها في ساحة

(١) قال العلامة الطباطبائي: «وليس العلم سوى حضور شيء لشيء» (نهاية الحكمة: ٢٨٩).

قدسه تعالىٰ ، وحتى الزمان لا يصلح حاجزاً في هذا المجال .

إذن لا يختلف علمه بالاشياء ـ بالنسبة إليه تعالى ـ سواء قبل وجوداتها أم بعدها ، حيث صفحة الوجود ، في طولها وعرضها ، متساوية النسبة إلى ذاته المقدسة ، التي لا يحدّها زمان ولا مكان .

نعم ، جاء الاختلاف بالقياس إلى ذوات الموجودات (المعلومات لديه تعالىٰ أزلاً) حيث مختلف التعلّقات والإضافات ، فقد كان التعلق قبل وجوداتها ملحوظاً في وصف ، وبعد الموجود ملحوظاً في ذات ، فالعلم المتعلق بالذات ، إنما يتحقّق بعد الوجود ، وقد كان قبلاً متعلقاً بالوصف .

فهذا الاختلاف في العلم إنما هو بالنظر إلى المعلوم دون العالم ، فلم يحصل تغيير في علمه تعالىٰ الملحوظ في ذاته المقدسة ، ولم يكن محلاً للحوادث ، تعالى الله عن ذلك .

وعلمه تعالىٰ ، كما يتعلّق بالحقائق والماهيّات ، كذلك يتعلق بالأعيان والأشخاص ، إذ لا فرق بين الكليات والجزئيات في حضورها جميعاً بمحضر القدس تعالى ، كلٌّ في صقع ظهوره وفي ظرف وجوده الخاص .

كما لا فرق في تعلق علمه تعالىٰ بالأشياء قبل وجوداتها أزلاً تعلقاً بالوصف ، المسمّى عندهم بالعلم الذاتي ، أو بعد وجوداتها فيما لا يزال تعلقاً بالذات ، المسمى عندهم بالعلم الفعلي ، فلا يزال علمه تعالىٰ بالأشياء ، سواء قبل الوجود أم بعد الوجود ، وإن كان قد تغيّر العنوان بتغيّر المتعلق لا غير .

وقد نُسب إلى أبي محمد هشام بن الحكم الشيباني[٢] قوله بأن الله تعالىٰ لا يعلم الجزئيات إلّا عند وقوعها ، مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ الآن خفّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾[٣] .

كما نُسب إلى أبي الحسين محمد بن علي الطيب البصري[٤] قوله

(٢) شيخ الإمامية ومتكلمهم المناظر. توفي سنة ١٩٠.

(٣) الانفال : ٦٦ .

(٤) المتكلم على مذهب المعتزلة. توفي سنة ٤٤٦.

بتغيّر علمه تعالى المتعلق بالجزئيات حسب تغيّرها .

قال سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٣) : «ذهب أبو الحسين إلى أن علم البارئ بالجزئيات يتغيّر بتغيّرها ، ويحدث بعد وقوعها ، ولا يقدح ذلك في قدم الذات ، كما هو مذهب جهم بن صفوان السمرقندي (قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨) ، وهشام بن الحكم من القدماء . وهو (أي البارئ تعالىٰ) في أنه في الأزل إنما يعلم الماهيات والحقائق ، وأما التصديقات ـ أعني الأحكام بأن هذا قد وُجد ، وذلك قد عُدم ـ فإنما يحدث فيما لا يزال (أي يتجدّد حسب تلاحق الزمان) ، وكذا تصوّر الجزئيات الحادثة (أي العلم بها) . وبالجملة فذاته (تعالىٰ) توجب العلم بالشيء بشرط وجوده ، فلا يحصل قبل وجوده ، ولا يبقى بعد فنائه .

قال : ولا امتناع في اتصاف الذات بعلوم حادثة ، هي تعلّقات وإضافات ، ولا في حدوثها مع كونها مستندة إلى القديم بطريق الايجاب دون الاختيار ، لكونها مشروطة بشروط حادثة»[٥] .

وذكر الإمام الرازي استدلال أبي الحسين علىٰ مذهبه الذي خالف فيه مشايخ المعتزلة ، قال : «وزعم أن العلم بأنّ الشيء سيوجد يمتنع أن يكون نفس العلم بوجوده إن وجد ، واحتجّ عليه من وجوه :

أولها : أن من شرط المثلين أن يقوم كل واحد منهما مقام الآخر ، والعلم بأن الشيء سيوجد لا يقوم البتة مقام العلم بأنه موجود الآن، فإنّ قبل وقوع المعلوم لو اعتقد أنه سيقع بعده ذلك ، كان علماً ، ولو اعتقد أنه واقع الآن كان جهلاً . وأما حال وقوعه ينعكس الأمر ، فلو اعتقد أنه سيقع كان جهلاً ، ولو اعتقد أنه واقع كان علماً ، فثبت أن كل واحد منهما لا يقوم مقام الآخر ، وذلك يقتضي كونهما مختلفين في الحقيقة ، وإذا وقع الاختلاف في الحقيقة لا يمكن دعوى الاتحاد .

وثانيها : أنّ كونه علماً بأنه سيقع غير مشروط بوقوعه ، وكونه

(٥) شرح المقاصد ٤:١٢٦ ـ ١٢٧.

علماً بوقوعه مشروط ؛ وما ليس مشروطاً بالشيء يمتنع أن يكون عين ما يكون مشروطاً بالشيء .

وثالثها: أن مجرّد العلم بأنّ الشيء سيقع ، لا يكون علماً بوقوعه إذا وقع ، فإنّ من علم أنّ زيداً سيدخل البلد غداً ، ثم إنّه جلس في بيت مظلم لا يتميّز فيه بين الليل والنهار ، وبقي على هذه الحالة حتى جاء النهار ودخل زيد البلد ، فها هنا هذا الشخص بمجرّد علمه بأنّ زيداً سيدخل البلد غداً ، لا يصير عالماً بأنه دخل الآن في البلد ؛ فثبت أنّ العلم بأنّ الشيء سيوجد لا يكون علماً بوجوده إذا وُجد . بلى من علم أن زيداً سيدخل البلد غداً ، ثم علم حضور الغد ، فحينئذٍ يتولّد من هذين العلمين علم بأنّ زيداً دخل الآن البلد .

ورابعها: أن العلم بالشيء صورة مطابقة للمعلوم ، ولا شك أنّ حقيقة أنّه سيقع مخالفة لحقيقة الوقوع في الحال ، فوجب أن يكون العلم بأحدهما مخالفاً للعلم بالآخر[٦] .

(٦) البراهين في علم الكلام ١ : ١١٦ ـ ١١٩.

هكذا استدل أبو الحسين البصري دعماً لمذهبه في علمه تعالىٰ بالجزئيات ، وأنه متغاير حسب تعلقاته المتغايرة .

وأورد عليه مشايخ المعتزلة سؤالين :

الأول : كيف يزول له تعالىٰ علم ليخلفه علم آخر ، تحقيقاً لمبدأ التغاير ، مع فرض قدم علمه تعالىٰ في جملة أوصافه الذاتية القديمة ؟

الثاني : هل لا يستلزم التغيير في صفة ذاتية تغييراً في الذات ؟

وأجاب الامام الرازي علىٰ السؤالين بأنّ التغيّر الحاصل في علمه تعالىٰ إنما هو في جانب تعلّقاته التي هي إضافات ونسب اعتبارية ، وهي لا تؤثر في ذات علمه تعالىٰ[٧] .

(٧) م . ن .

هذا ، وقد أنكر الشيخ المفيد صحة نسبة هذا القول إلى هشام بن الحكم ، وذكر أنه تخرص عليه ، رماه به خصومه من المعتزلة الذين كان يجادلهم في ذات أقاويلهم ، وربما تسلّم منهم بعض الآراء جدلاً

لا عقيدة .

قال : إن الله تعالىٰ عالم بكل ما يكون قبل كونه ... وهو مذهب جميع الإمامية ، ولسنا نعرف ما حكاه المعتزلة عن هشام بن الحكم في خلافه ، وعندنا أنه تخرّص منهم عليه ، وغلط ممّن قلّدهم فيه ، فحكاه من الشيعة عنه[٨] ، ولم نجد له كتاباً مصنفاً ولا مجلساً ثابتاً . وكلامه في أصول الإمامة ومسائل الامتحان يدلّ علىٰ ضدّ ما حكاه الخصوم عنه[٩] .

وهكذا ذكر السيد المرتضىٰ أن نسبة هذا القول إليه اختلاق من المعتزلة ، قال : «فأمّا حدوث العلم (أي إنّ الله تعالىٰ لا يعلم الأشياء إلّا بعد كونها) فهو أيضاً من حكاياتهم (المعتزلة) المختلقة ، وما نعرف للرجل فيه كتاباً ، ولا حكاه عنه ثقة»[١٠] .

كما أنكر سيدنا العلامة الطباطبائي ثبوتاً للماهيات في صقع الأزل قبل وجوداتها في صقع لا يزال ، حسبما اصطلح عليه المعتزلة بالأعيان الثابتة[١١] . قال : «إن فرض ثبوت ما للماهية في الأزل ووجودها فيما لا يزال يقضي بتقدم الماهية علىٰ الوجود ، وأنّىٰ للماهية هذه الأصالة والتقدم ؟»[١٢] .

نعم علمه تعالىٰ الذاتي بالاشياء قبل وجوداتها كان أزلاً ، لا بذاك المعنىٰ الذي فرضه أهل الاعتزال ، بل بمعنىٰ علمه تعالىٰ بذاته المقدسة المنطوية فيها جميع الحقائق بأسرها ، علماً إجمالياً في عين التفصيل ، وتفصيلياً في عين الإجمال ﴿**والسموات مطويّات بيمينه**﴾ .

أما علمه تعالىٰ الفعلي بالاشياء فإنما هو بعد الوجود ، حيث الحضور الخاص تفصيلاً .

قال : «علمه تعالىٰ الفعلي بالاشياء ، إنما نعني به أن كل شيء حاضر عنده تعالىٰ غير محجوب عنه»[١٣] .

وقد أوضح مقصوده من العلم الفعلي ، بأنه العلم الحاصل عند

(٨) روى سعد بن عبد الله عن أبي هاشم الجعفري قال : «سأل محمد بن صالح الأرمني أبا محمد العسكري عليه السلام عن آية المحو والإثبات، فقال أبو محمد: وهل يمحو إلّا ما كان، ويثبت إلّا ما لم يكن؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقول هشام بن الحكم أنه لا يعلم الشيء حتىٰ يكون، فنظر إليّ أبو محمد فقال: تعالىٰ الجبّار العالم بالأشياء قبل كونها» (بحار الانوار ٤: ١١٥).

(٩) أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ٢١ ـ ٢٢.

(١٠) الشافي في الإمامة للشريف المرتضى ١: ٨٦.

(١١) ذهبت عامة المعتزلة إلى أن للماهيات ثبوتاً عينياً في العدم، وهو الذي تعلق به علمه تعالىٰ بالاشياء قبل وجوداتها، نهاية الحكمة : ٢٩٢.

(١٢) تفسير الميزان ١٥: ٢٧٥، وراجع النهاية: ٢٨٩.

(١٣) الميزان ٨ : ١٦٩.

تحقق الأشياء خارجاً ، في مقابلة العلم الذاتي الكائن قبل وجوداتها .

قال : «والسمع والعلم وإن كانا معدودين من صفاته تعالىٰ الذاتية ، التي هي عين الذات المتعالية ، من غير أن يتفرع علىٰ امرٍ غيرها ، لكن من العلم ، وكذا السمع والبصر ، ماهو صفة فعلية خارجة عن الذات ، وهي التي يتوقّف ثبوتها علىٰ تحقّق متعلق غير الذات المقدسة ، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، المتوقفة علىٰ وجود مخلوق ومرزوق وحيّ وميّت .

والاشياء لما كانت بأنفسها وأعيانها مملوكة ومحاطة له تعالىٰ ... والجميع كائنة ما كانت علم ومعلومة له تعالى ، وهذا النوع من العلم من صفاته الفعلية التي تتحقق عند تحقق الفعل منه تعالىٰ ، لا قبل ذلك، ولا يلزم من ثبوتها بعدما لم تكن تغيّرٌ في ذاته تعالىٰ وتقدّس ؛ لأنها لا تعدو مقام الفعل ، ولا تدخل في عالم الذات ...» ، والآية ، أعني قوله تعالىٰ : ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[١٤] ، إنما يعني هذا العلم الفعلي الذي هو نتيجة الملك والإحاطة والخلق والإيجاد ، إذ كيف يمكن الجهل بشيء هو مصنوعه وناشئ في ملكه وبإذنه تعالى وتقدس ؟[١٥] .

وبذلك نستطيع توجيه ما نسب إلى هشام من القول بأنّ اللّٰه تعالىٰ إنما يعلم الجزئيات عند وقوعها ، وذلك نظراً لأن العلم في حقيقته هو خرق الحجب الحائلة بين العالم والمعلوم ، وأن العلم بذات الشيء إنما يكون عند تحقّقه وظهوره علىٰ صفحة الوجود ، والمقصود من الجزئيات هي التشخصات الحقيقية ، المحققة لفعليّة الوجود ، فقد تساوق علمه تعالىٰ بالأشياء وظهور الاشياء في عالم الوجود ؛ فصح القول بأن علمه تعالى الفعلي بالاشياء ليس سوى حضور الاشياء ذاتها لديه تعالىٰ وكونها بمحضره الكريم ، الامر الذي عرفته من كلام سيدنا العلامة الطباطبائي ﷺ .

(١٤) الانعام : ١٣.

(١٥) الميزان ٧ : ٢٧ ـ ٢٨، وراجع ص ٢٦.

العلم الذاتي والعلم الفعلي

قد عرفت في تعبير سيدنا العلامة تنويع علمه تعالى إلى الذاتي والفعلي ، وأن الأول هو المستند إلى الذات المقدسة لا شيء سواها ، وهو العلم الأزلي الكائن قبل وجود الاشياء . أما العلم الفعلي فهو الحاصل بحصول الاشياء وعند وجوداتها في عرصة الوجود ، كلٌّ في صقعه المتناسب .

وهذا الاصطلاح هو المعبّر عنه في مصطلح بعضهم بالعلم القديم ، والعلم الحادث ، فأثبت له تعالىٰ علمين : علماً أزليّاً قديماً حسب قدم ذاته المقدسة ، وعلماً حادثاً يحدث مع حدوث الاشياء . ولا مشاحّة في الاصطلاح بعد وضوح المقصود .

قال العلامة ـ بصدد بيان نوعي علمه تعالىٰ ـ: «إن لكل مجرد علماً بذاته ، لحضور ذاته المجرّدة عن المادة لذاته ، وليس العلم إلّا حضور شيء لشيء ؛ فذاته تعالى معلومة لذاته .

كما أن ذاته المقدسة حقيقة الوجود الصرف ، البسيط الواحد بالوحدة الحقّة الذي لا يداخله نقص ولا عدم . فلا كمال وجوديّاً في تفاصيل الخلقة بنظامها الوجودي إلّا وهي واجدة له تعالىٰ بنحوٍ أعلىٰ وأشرف ، غير متميّز بعضها عن بعض ، لمكان الصرافة والبساطة .

فكل شيء سواه هو معلوم له تعالى في مرتبة ذاته المقدسة ، علماً تفصيلياً في عين الإجمال ، وإجمالياً في عين التفصيل .

وأيضاً فإن ما سواه من الموجودات منتهية في وجوداتها إليه تعالى ، قائمات الذوات به قيام الرابط بالمستقل ، حاضرات لديه بوجوداتها غير محجوبات عنه .

فالاشياء معلومة له تعالىٰ في مرتبة وجوداتها ، علماً حضورياً ، أما المجرَّدة فبأنفسها ، وأما المادية فبصورها المجرَّدة .

فقد تبيّن بذلك :

أولاً: أن للواجب تعالىٰ علماً بذاته في مرتبة ذاته، وهو عين ذاته.

وثانياً: أن له تعالى علماً بما سوى ذاته من الموجودات في مرتبة ذاته، وهو المسمّى بالعلم قبل الإيجاد (وهو العلم الذاتي الأزلي بالاشياء).

وثالثاً: أن هذا علم إجمالي في عين الكشف التفصيلي.

ورابعاً: أن له تعالىٰ علماً تفصيلياً بما سوى ذاته من الموجودات في مرتبة ذواتها، خارجاً عن الذات المتعالية (أي وراء الذات)، وهو العلم بعد الإيجاد (وهو العلم الفعلي الحادث بحدوث الاشياء فيما لا يزال).

وخامساً: أن علمه تعالىٰ حضوري كيفما صُوّر. (سواء أكان علماً بذاته أم بسواها، قبل الإيجاد أو بعده).

قال ـ رحمه الله ـ: فهذه خمس مسائل ...[١٦].

عينية الصفات

وإذ قد عرفت العلم الذاتي، وأنه عين الذات المقدسة، كسائر صفات الذات، فلنتريّث قليلاً كي نعرف تفسير هذه العينية، وماذا يكون المقصود منها؟

وحيث كانت الذات المقدسة هي منشأ كل كمال في عالم الوجود، وإليها تنتهي كل صفة محمودة كان قد تحلّىٰ بها جميع الموجودات، فلابد أن تكون هي بالذات مستجمعة لجميع الصفات والكمالات؛ إذ إنها بأجمعها منحدرة عنها ومستفيضة منها، فلولا تحلّيها في نفسها بمطلق الكمالات، وواجديتها لأُسس معالي الصفات، لما أمكن النشوء منها والاستفاضة منها في مثل هذا الخضم من الخير والبركات: ﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾[١٧].

إنما الواجد للشيء الغني بالذات كان يمكن المنح والإعطاء، دون المعوز الفاقد المحتاج[١٨].

(١٦) راجع الفصل ١١(في علمه تعالى) من نهاية الحكمة: ٢٨٩.

(١٧) الحجر: ٢١.

(١٨) راجع الطباطبائي في نهاية الحكمة: ٢٨٥. ولداروين (العالم الطبيعي الانجليزي) هنا كلام استدلالي لطيف، في رسالة بعثها إلى أحد زملائه في المانيا جاءت الرسالة في مقدمة كتابه أصل الانواع الطبعة الاولىٰ يقول فيها: «إنا نجد في هذا الكون صفات جليلة وآثار كريمة تنبؤك عن علم وعقل وتدبير، وكذا عن حكمة وحياة وقدرة، فإذا كانت النقطة الاولىٰ فاقدة للعقل والشعور، فمن اين جاءت هذه الآثار؟».

فحيث وجدناه تعالى مبدأ كل كمال ومنشأ كل جمال ، فقد عرفناه مجمع الكمالات وملتقى معالي الصفات .

أما كيف تجمّعت هذه الكمالات في ذاته المقدسة ، فإن ما يهدينا إليه البرهان هو أن مقام الذات متعالٍ عن عروض صفة أو الاقتران بحالٍ ، فلا تركيب في ذاته تعالىٰ ، ولا مصاحبة قرين لا في الأزل ولا في ما لا يزال .

إذن ليست هناك سوى ذاته المقدسة التي هي منشأ الكمالات ، ومنهل الفيوضات ، فلابد أنها واجدة لأشرفها ، وحاوية علىٰ أعلىٰ مراتبها . أما كيف هذه الواجدية والاحتواء ؟ فهذا ما لا يمكننا العلم به وإن وجدناه ضروري الثبوت .

وبعد ، فمعنىٰ عينية صفات الذات هي أنها أجمع ناشئةٍ من مقام الذات محضاً ، بلا دخول أمر آخر وراء الذات في هذا النشوء ، وقد هدانا إلى ذلك جليل آثاره ، ولطيف صنعه ، وعظيم قدرته .

قال العلامة الطباطبائي : «الصفات الذاتية هي عين الذات المتعالية ، من غير أن تتفرع علىٰ أمر غيرها»[١٩] ، أي من غير أن تنتزع من أمر وراء لحاظ الذات .

(١٩) الميزان ٧ : ٢٧ .

وإلى ذلك يشير كلام الإمام امير المؤمنين عليه السلام : «**وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه**» أي نفي مبادئها ، وتنزيهه تعالىٰ عن كل قرين في الأزل.

حديث اللوحين

هناك اشتهر الحديث عن لوحين :

أحدهما : لوح المحو والإثبات ، وفيه الزيادة والنقصان ، والتغيير والتبديل .

والثاني : اللوح المحفوظ المكنون عند الله لا يعلمه أحد غيره تعالىٰ،

وليس ذلك سوى علمه تعالى بالأمور، إما علماً ذاتياً أزلياً لا يتغير مع الأبد، أو علماً فعلياً حادثاً مع حدوث الأشياء. وهذا اصطلاح في التعبير، تشبيهاً لأمر غير محسوس بأمر محسوس؛ ولا ضير فيه بعد أن كان تقريباً للأذهان.

أخرج الطبري بعدة أسانيد إلى عكرمة عن ابن عباس في آية المحو والإثبات قال: «الكتاب كتابان، كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب»[٢٠].

وروى ابن كثير وغيره بالإسناد إلى ابن عباس أنه سأل كعباً عن أم الكتاب، فقال: «عَلم الله ماهو خالق وما خلقُه عاملون، ثم قال لعلمه: كن كتاباً، فكان كتاباً»[٢١].

ورووا عن كعب أنه قال لعمر بن الخطاب: «يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: وماهي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾»[٢٢].

وعن ابن زيد: «يمحو الله ما يشاء ويثبت ممّا ينزل على الأنبياء، وعنده أم الكتاب لا يغيَّر ولا يبدَّل»[٢٣].

وروى الكليني بإسناده الصحيح إلى أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **«إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علّمه ملائكته وأنبياءه، فنحن نعلمه»**[٢٤].

وروى الطبرسي صاحب الاحتجاج عن امير المؤمنين عليه السلام قال: **«لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾»**[٢٥].

وروى الحميري في قرب الإسناد عن طريق البزنطي عن مولانا الرضا عليه السلام قال: إن الأئمة قبله (الصادق والباقر والسجاد والسبطين وأمير المؤمنين عليهم السلام) كلهم قالوا: **«والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم**

(٢٠) تفسير الطبري ١١٢:١٣.

(٢١) تفسير ابن كثير ٥٢٠:٢، والطبري ١١٥:١٣.

(٢٢) ابن كثير ٥١٩:٢، والآلوسي ١٥٣:١٣، والطبري ١١٣:١٣.

(٢٣) الطبري ١٣ : ١١٣ - ١١٤.

(٢٤) الكافي ١٤٧:١ ح ٨، والبحار ١١٠:٤ ح ٢٧.

(٢٥) البحار ٤ : ٩٧ ح ٤ و ٥.

الكتاب»[٢٦].

والبداء يحصل في لوح المحو والإثبات، ومنشأه علم اللّه الأزلي المثبت في اللوح المحفوظ.

ولشيخنا العلامة المجلسي هنا تحقيق أنيق حول مسألة اللوحين، وتوجيه مسألة البداء، وبيان الحكمة في مثل هذه التعابير، وهي تعابير كنائية لا غير. راجع بيانه[٢٧].

وأيضاً سيأتي أن القضاء المحتوم إنّما يقع علمه على الأئمة في كل سنة في ليلة القدر، وهو الذي لا تغيير فيه ولا تبديل. وبذلك ينحل ما أشكل على بعضهم من فهم تعابير الروايات بشأن البداء، من أنه هل يحصل فيما وصل علمه إلى الانبياء والأئمة، أو لا؟[٢٨] فعلمهم العام هو الذي يحصل فيه البداء، أما الذي يصل إليهم في ليلة القدر، فلا بداء فيه.

(٢٦) البحار ٤:٩٧ ح٦.

(٢٧) البحار ٤:١٣٠ ـ ١٣٣.

(٢٨) بحث عن المجلسي في البحار ٤:١٣٣.

في علمه تعالى ومشيئته في خلقه

وقد تلخّص مما مهّدناه هنا ـ بصدد معرفة ذات علمه تعالى ـ أن العلم ذو إضافة قائمة بمتضايفين، يتقابلان ليس بينهما حجاب، وهو أمر اعتباري انتزاعي ينتزعه العقل عند لحاظه هذا التضايف الخاص، فإذا كان من احدهما الصلاحية لأن يُدرِك، ومن الآخر أن يُدرَك، حصل الإدراك لا محالة.

وهذا التأثر والتأثير في غيره تعالى إنما يتحقق بارتسام صور الاشياء في صفحة الذهن، سواء أكانت صور الأعيان أم صور المعاني.

أما فيه تعالى فالارتسام إنما يقع في عرصات صفحة الوجود، وكان الارتسام بذوات الأعيان والمعاني، لا بصورها ونقوشها، ومن ثم كان علمه تعالى بالاشياء هو نفس وجوداتها التي هي عين

حضورها بمحضر القدس تعالى ، حيث العالم كله كان رهن الحضور لديه تعالى ، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء .

وكل ما يوجد فهو حاضر علمه تعالى ، وأصبح متعلق علمه الفعلي بهذا الوجود الخاص ، وقد كان متعلق علمه الذاتي الأزلي بوصف أنه سيوجد .

وهذا الاختلاف في نوعية العلم إنما هو بالنظر إلى أحد طرفي المتضايفين (المعلوم) ، لا بالنظر إلى الطرف الآخر (العالم) ؛ ومن ثم لم يحصل تغيير في ذات علمه تعالى ، وإنما حصل في تعلقاته وإضافاته .

وأما مشيئته تعالى فهي تابعة لعلمه الفعلي المتعلق بالمصالح المتجدّدة ، حسب اختلاف الشرائط والأحوال ، فإذا ما تجدّدت مصلحة أي بدت على صفحة الوجود ، تحقق علمه تعالى الفعلي ، أي تعلق بها ، الأمر الذي يوجب تغيير مشيئته في الخلق والإيجاد .

فالبداء إنما يحصل في المشيئة التابعة لعلمه الفعلي الحاصل فيما لا يزال ، وهو لوح المحو والإثبات . أمّا علمه الذاتي الثابت في الأزل ، المعبر عنه باللوح المحفوظ ، وبأم الكتاب ، فلا تجديد فيه ولا تغيير .

وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿**لكل أجل كتاب * يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ (٢٩) .

(٢٩) الرعد : ٣٨ ـ ٣٩.

● قال أمير المؤمنين (ع) :

العلم رشد لمن عمل به .

غرر الحكم ●

التأمين الصحي واستخدام البطاقات الصحية

من فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام

سماحة الشيخ
محمد علي التسخيري

● التعريف بالتأمين الصحي

ونقصد به العقد الذي يتم بين شخص أو مؤسسة (مؤمّن له أو لها) مع مؤسسة تأمينية، يتعهد فيه الطرف الأول بدفع أقساط محددة لمدة محددة، ويتعهد فيه الطرف الثاني بتأمين قسط معين مما يتطلبه علاج الامراض، التي يصاب الطرف الأول بها خلال المدة المحددة.

ومن الطبيعي أن يتم الاتفاق على تفاصيل العقد من تعيين المؤمّن له، وطرفي التعاقد، والمبلغ المدفوع من قبل المؤمّن له، ونوع الإصابة، وزمان التأمين (ابتداءً وانتهاءً) وامثال ذلك من أمور تفصيلية.

والملاحظ أن هذا العقد يختلف عما يسمى بعقد التأمين ضد المرض، حيث يتعهد الطرف الثاني (المؤمّن) بأن يدفع مبلغاً معيناً لقاء مرضه، بالاضافة إلى ردّ مصروفات العلاج والأدوية[1]،

(١) الوسيط للسنهوري ٧: ١٣٧٨.

فلا يوجد هنا مبلغ لقاء المرض ، كما أن المدفوع في عقد التأمين الصحي المتعارف لا يشمل كل المصروفات بل قسطاً منها ، يصل أحياناً إلى ٨٠٪ أو يقل عنه ، وربما كان ذلك للاحتياط من التساهل في مثل هذه الموارد .

هذه هي الصورة البسيطة لمثل هذا العقد . وقد راجعت اللوائح ـ وهي كثيرة ـ التي اصدرتها الحكومة الاسلامية الايرانية حول هذا الموضوع ، فلم أر فيها ما يخرج عن روح هذا العقد ، وإن كانت تحفها شروط إجرائية كثيرة تلزم الدولة أو الموظف أو المؤسسات التي تزاولها أن تقع طرفاً للتعاقد ، بشروط لم أرَ فيها ما يخالف الضوابط الشرعية[٢] إجمالاً .

(٢) يراجع مثلاً نظام البند ٥ من المادة ١٣ من قانون تأمين الخدمات الصحية العامة للبلاد.

ثم إن الطرف الأول (المؤمّن له) قد يكون شخصاً يدخل في العقد بصفته الشخصية ، وقد تكون مؤسسة تؤمّن موظّفيها ، وقد يكون شركة تأمين تتعاقد مع مؤسسة أخرىٰ نيابة عن اشخاص أو مؤسسات .

كما أن الطرف (المؤمّن) قد يكون فرداً يملك مؤسسة صحية أو لا يملكها ، وقد يكون مؤسسة صحية ، وقد يكون شركة تأمين تجارية ، كما قد يكون مؤسسة حكومية . وهناك شقوق كثيرة أُخرىٰ متصورة ، والمهم هو التركيز في محل التساؤل المطروح في الدورة العاشرة لمجمع الفقه الاسلامي ، وأهم ما فيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم التأمين الصحي والبطاقات الصحية وتفريعاته .

المبحث الثاني : حكم اشتراط البرء لاستحقاق المقابل .

هذا وسوف لن ندخل أيضاً في تحليل البطاقات الصحية التي قد تختلف من بلد لآخر ، ومن مؤسسة لأخرىٰ ، مشيرين إلى أن المهم

هو علاج أصل التأمين الصحي . أما الشروط الأخرىٰ فيجب أن تدرس علىٰ حدة ، فقد تكون شروطاً ربوية بترتيب مبالغ إضافية تدفع عن تأخر الأقساط ، وأمثال ذلك ، فهي أمور لها مواردها من البحث ، ولا تؤثر في بحثنا الرئيس ، كما نعتقد أن الصور الأخرىٰ غير المباشرة لا تؤثر كثيراً في النتيجة .

المبحث الأول : حكم التأمين الصحي

والمشكلة الاساسية فيه هي مشكلة الغرر ، حيث يتم تصويرها علىٰ النحو التالي .

إننا علىٰ أفضل الحالات نحدد كل الظروف والإصابات والأقساط ، ونشخص كل الظروف الصحية ، ولكننا علىٰ أي حال نواجه بعامل مجهول هو كمية المبلغ الذي يجب أن يدفعه المؤمّن ، أو قيمة العمل الذي يجب أن يعمله خلال مدة التأمين ، فهذا أمر يستحيل أو يصعب تحديده ، وحينئذٍ يدخل عنصر الجهالة في العقد ، فيكون العقد غررياً تشمله النصوص الناهية عن بيع الغرر ، والأصل فيها النص الوارد عن رسول اللّٰهﷺ « نهىٰ عن بيع الغرر »[٣] .

وعن اثره في كل عقود المعاوضات المالية اختلفت المذاهب ، فمن آمن بمبدأ القياس عمّمه عليها ، ومن رفض القياس كالإمامية والظاهرية (اتباع ابن حزم) اختلفوا في التطبيقات .

وقد وجدنا من خلال تتبعنا للمسألة في الأحاديث ، واستعراض أقوال العلماء من الإمامية ، واستنادهم إلى مسألة الغرر في عقود معاوضية مختلفة ، كالشيخ الطوسي الذي استند إلى هذا الحديث في كتابي الضمان والشركة[٤] وابن زهرة في كتاب الشركة[٥] وغيرهم ، وجدنا الاطمئنان إلى مسألة التعميم ، واعتبرنا ذلك مبدأ سعىٰ إليه الاسلام في اتجاهاته المعاملية ؛ وهذا المعنىٰ تؤكده التطبيقات

(٣) هذا النص روته الصحاح من كتب أهل السنة، كصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وابن داود، والترمذي، والنسائي، ولم يروه صحيح البخاري، وإن أشار إليه في بعض الأبواب. أما كتب الإمامية فقد جاء في بعضها، كعيون أخبار الرضا، ومستدرك الوسائل، ودعائم الاسلام. ولكن أسانيده وحدها غير معتبرة، ومع ذلك يقال عنه: إن اشتهاره يجبر إرساله (المكاسب : ١٨٥) ، و (البيع للإمام الخميني ٢٠٤:٣) ، فلا إشكال في صحة الإستناد إليه.

(٤) نقلاً عن المكاسب : ١٨٨.

(٥) الينابيع الفقهية ١٧ : ٢١.

المتنوعة في مختلف الأبواب . وقد ذكر العلّامة الشيخ الأنصاري (من كبار علماء الإمامية المتأخرين) أن الدائر على ألسنة الأصحاب هو نفي الغرر من غير اختصاص بالبيع ، حتى إنهم يستدلون به في غير المعاوضات كالوكالة ، فضلاً عن المعاوضات كالإجارة والمزارعة والمساقاة والجعالة ، بل قد يرسل في كلماتهم «نهى النبي ﷺ عن الغرر»[٦] ، مشيراً إلى أن الأصل يذكر خصوص البيع ، ولكنهم لتعميمهم ووجود بعض الأصول يرسلون هذا التعبير .

(٦) المكاسب : ١٨٨ .

ويقول البجنوردي في هذا الصدد : «والإنصاف أن المستفاد من مجموع الروايات ... كون الجهل مضراً ولو كان من قبل الشرط المجهول . وإن كانت (الرواية) واردة في باب البيع ، لكن الظاهر عدم اختصاصها به»[٧] .

(٧) القواعد الفقهية ٣: ٢٤٨.

فالبناء إذن على صحة السند ، وتعميم آثاره على كل العقود .

وهل يترك النهي عن الغرر أثره في عقود التبرع ؟

الملحوظ أن بعض المذاهب وخصوصاً المالكية يرون أن الغرر لا يؤثر في صحتها ، وهذا ما قرره القرافي في فروقه بوضوح[٨] ، ووافقهم عليه بعض العلماء من المذاهب الأخرى .

(٨) الفروق للقرافي ١ : ١٥٠ ـ ١٥١، الفرق الرابع والعشرون.

أما الإمامية فالقاعدة تقتضي موافقتهم لهذا الرأي ، بعد أن نتذكر أن لديهم شكاً في أصل التعميم ، ومع التسليم به فلا ريب في الاقتصار على القدر المتيقن وهو عقود المعاوضة ، كما يمكن استفادة موافقتهم من بعض العبارات الواردة لدى فقهائهم ، والتي تركز على خصوص الغرر المؤدي للتنازع ، الأمر الذي يقل تصوره في عقود التبرع .

ونكتفي بهذا القدر فلا نبحث في أسانيد هذا الحديث وتفصيلاته ، وكذلك فلن نبحث بشكل مفصل عن مسألة تصحيح عقد التأمين مطلقاً ؛ فقد تم الفراغ من ذلك ، وصدر قرار مجمعي في ربيع الثاني

من عام ١٤٠٦ هـ في منعه إذا كان مع الشركات التجارية ، إذ جاء فيه : «إن عقد التأمين التجاري ذا القسط الثابت الذي تتعامل بـه شـركات التأمين التجاري ، عقد فيه غرر كبير مفسد للعقد ، وإن العقد البـديل الذي يحترم اصول التعامل الاسلامي ، هو عقد التأمين التعاوني القائم على اساس التبرع والتعاون» .

إلّا إنـنا نشـير هـنا إلى أنـنا كنا نـخالف هـذا القـرار ، وقـد قـمنا بتصحيحه من طرق متعددة :

أ ـ باعتباره عقداً مستقلاً حديثاً تشمله قاعدة الوفاء بالعقود .

ب ـ باعتباره صلحاً ، وقد ذكرنا أن الكثير مـن العـلماء ـ ومـنهم الإمامية جميعاً ـ لا يحصرون الصلح في الموارد التي يكون فيها حق متنازع عليه بين الطرفين .

جـ ـ باعتباره هبةً معوضة ، ولا نسلّم أن الهبة المعوضة حكمها هو حكم البيع تماماً ، كما ذكر بعض العلماء .

د ـ باعتباره ضماناً مـعوضاً ، يـلتزم فـيه احـد الطـرفين بـجبران الخسارة لقاء التزام الآخر بعوض ، فهذا عقد ينتج ضماناً ، ولا داعي لحصر أسباب الضمان بالكفالة والتعدي والإتلاف .

وعلى أي حال فإننا سننطلق من قرار المجمع آنفاً ، ولكن سـنركز على نقاط اساسية اشار لها هذا القرار :

النقطة الاولى : هل يحتوي عقد التأمين الصحي عـلى غـرر كـبير مفسدٍ للعقد ؟

النـقطة الثـانية : عـقد التأمـين الصـحي وطـبيعته التـعاونية ، وخصوصاً إذا كان في إطار مؤسسة عامة أو مؤسسة حكـومية ، إذ يغلب عليها هنا بوضوح الطابع التعاوني .

النقطة الثالثة : مسألة التأمين الصحي والحرج الاجتماعي .

وسنبحث في كل نقطة من هذه النقاط الثلاث فيما يلي :

النقطة الاولىٰ: هل يحتوي عقد التأمين الصحي علىٰ غرر كبير مفسد للعقد؟

بعد مراجعتي للنصوص اللغوية التي تفسر الغرر ، والنصوص الشرعية التي تنهىٰ عن الغرر ـ ولا ريب في أنها لم تخترع اصطلاحاً جديداً له ، بل تقصد الغرر العرفي الذي نعرفه من كلمات اللغويين ـ وما فهمه الكثير من الفقهاء من هذا المصطلح ، استطعت أن أخلص إلى أن الغرر المتصور هنا ليس من الغرر المنهي عنه ، وهو الجهالة المؤدية إلى التشاحّ الذي يمنع من تنفيذ الصفقة كما يعبر الحنفية[٩] ، أو المخاطرة المفضية إلى التنازع كما يعبر الشيخ الأنصاري[١٠] .

والذي نعتقده أن مسألة الغرر تحتاج من المجامع الفقهية إلى بحوث مفصلة تتناول بالدقة الأمور التالية :

١ ـ تعريف الغرر تعريفاً عرفياً يتناول هذا المفهوم بشكل تاريخي، ويحدده في ضوء النصوص العربية الأصيلة ، بعيداً عن أي تصنع أو إضافة أو تأثر بفهم آخرين لم يعاصروا النص ولم يحيطوا بكل جوانبه . ونحن نعلم أنه ليس هناك اصطلاح فقهي خاص اعتمدته النصوص الاسلامية بعيداً عن مفهومه العرفي ، وهذا هو ديدن الشارع في كثير من الشؤون ، ولا سيما في شؤون المعاملات العرفية .

جاء في لسان العرب في مادة (غرر) بحث مفصل ننقل عنه ما يلي : «غره يغره غراً وغروراً وغرة ... فهو مغرور وغرير : خدعه وأطمعه بالباطل ... وفي الحديث : المؤمن غرٌ كريم ، أي ليس بذي نُكر ، فهو ينخدع لانقياده ولينه ... والغَرور : ما غرك من انسان وشيطان وغيرهما ، وخص يعقوب به الشيطان ... وقوله تعالىٰ : ﴿ولا يغرّنّكم بالله الغَرور﴾ . يريد به زينة الاشياء في الدنيا [عن الفرّاء] ... وأنا غريرك من فلان ، أي أحذّركه ... وقيل : بيع الغرر المنهي عنه : ما كان له ظاهر يغرّ المشتري وباطن مجهول» .

(٩) نقلاً عن نظام التأمين للاستاذ مصطفىٰ الزرقا.

(١٠) المكاسب للشيخ الانصاري: ١٨٥.

هذا وقد ذكرت الموسوعة الفقهية أن كتب اللغة تفسره بالخطر[١١]، وجاء هذا التفسير في كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري ، وأضاف أنه جاء في القاموس أن غرّره بمعنىٰ خدعه وأطمعه في الباطل . وعن النهاية بعد تفسيره الغرة بالغفلة أنه نهي عن بيع الغرر ، وهو ما كان له ظاهر يغر المشتري وباطن مجهول . وقال الأزهري : «بيع ما كان علىٰ غير عهدة ولا ثقة» ، ويدخل فيه البيوع التي لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول[١٢] .

٢ ـ وفي ضوء ذلك تتم معالجة النصوص الاسلامية الواردة في النهي عن الغرر ، فيحدد نوع الغرر المنهي عنه طبعاً بملاحظة مجموع النصوص المصححة لبعض المعاملات ، كتلك التي تصحح عقوداً تشتمل علىٰ جهالة في النتائج . وما اكثر العقود التي تنطوي علىٰ ذلك ، كعقود المزارعة والمساقاة والمضاربة والشركة ، أو علىٰ جهالة وعدم اطمئنان بتحقق النتائج ، كعقد السلم ، حتىٰ عقد القرض وبيع الشرط والبيوع التي تصاحبها خيارات وغيرها ، أو علىٰ جهالة في كمية العمل ، كعقد الحراسة وعقد الوكالة ، خصوصاً عقد الوكالة المطلقة ، حيث يجهل المتعاقدان مدىٰ العمل الذي يمكن أن يتحقق بالحراسة والوكالة العامة وامثالها .

هذا في حين يجد الباحث نصوصاً أخرىٰ تنهىٰ عن بيوع تنطوي علىٰ جهل ، وربما علّلت ذلك بالغرر الحاصل ، وذلك كما في بيع الثمار، وبيع السمك في الماء ، واللبن في الضرع ، والصاع من صبرة ، الأمر الذي يتطلب الدقة في معرفة درجات الجهل المقبولة والاخرىٰ المرفوضة التي تشكل غرراً .

٣ ـ وبعد تحديد هذه الدرجات وتقعيد القواعد يجب أن يتم العمل علىٰ ملاحظة التطبيق الدقيق لها علىٰ الموارد المستحدثة ، بل علىٰ المواد القديمة التي رفضت بحجة الغرر .

(١١) الموسوعة الفقهية ٩ : ١٨٦.

(١٢) راجع المكاسب : ١٨٥.

ولكي نمهّد للموقف نجد أنّ من المستحسن أن نذكر مثالين :
الأول : حول مسألة اشتراط القدرة على التسليم في صحة العقد .
الثاني : مسألة خيار الشرط .

المثال الأول: شرط القدرة على التسليم استناداً للمنع عن بيع الغرر.

استند الفقهاء ، عند عرض مسألة اشتراط القدرة على التسليم في صحة العقد ، إلى مسألة المنع عن الغرر ، وهنا يقول الشيخ الأنصاري: «وبالجملة فالكل متفقون على أخذ الجهالة في معنى الغرر ، سواء تعلق الجهل بأصل وجوده أم بحصوله في يد من انتقل إليه ، أم بصفاته كماً أو كيفاً ، وربما يقال : إن المنساق من الغرر المنهي عنه ، الخطر من حيث الجهل بصفات المبيع ومقداره ، لا مطلق الخطر الشامل لتسليمه ، وعدمه ضرورة حصوله في بيع كل غائب ، خصوصاً إذا كان في بحرٍ ونحوه ، بل هو أوضح شيء من بيع الثمار والزرع ونحوهما ، والحاصل عدم لزوم المخاطرة في مبيع مجهول الحال بالنسبة إلى التسلم وعدمه ، خصوصاً بعد جبره بالخيار لو تعذر .

وفيه أن الخطر من حيث حصول المبيع في يد المشتري أعظم من الجهل بصفاته مع العلم بحصوله ، فلا وجه لتقييد كلام أهل اللغة ، خصوصاً بعد تمثيلهم بالمثالين المذكورين (بيع السمك في الماء ، والطير في الهواء) ، واحتمال إرادة ذكر المثالين لجهالة صفات المبيع لا الجهل بحصوله في يده ، يدفعه ملاحظة اشتهار التمثيل بهما في كلمات الفقهاء للعجز عن التسليم لا للجهالة بالصفات» .

وبعد أن ذكر امثلة على استدلال علماء الشيعة والسنة على اعتبار القدرة على التسليم بالحديث النبوي المشهور ، عقب على ذلك بقوله : «فالأولى أن هذا النهي من الشارع لسدّ باب المخاطرة المفضية إلى التنازع في المعاملات»[١٣] .

(١٣) المكاسب : ١٨٦ .

ويشكل الإمام الخميني‌ﷺ على هذا الاستدلال ، مستعرضاً أقوال اللغويين رافضاً إرجاع المعاني التي ذكروها إلى الجهالة ، ومقرراً أنه ليس من الضروري إرجاعها إلى معنىً جامع ، قائلاً : «وبالجملة الغرر مستعمل في معانٍ كثيرة لا يناسب كثير منها للمقام ، والمناسب منها هو الخدعة ، والنهي عنها ـ كالنهي عن الغش ـ أجنبي عن مسألتنا هذه ، فإرجاع المعاني إلى معنىً واحد أجنبي عن معانيه ، ثم التعميم لما نحن فيه ـ أي اشتراط القدرة على التسليم ـ مما لا يمكن المساعدة عليه ، إلّا أن يتمسك بفهم الأصحاب ، وهو كما ترىٰ ، أو تكشف قرينة دالة علىٰ ذلك ، وهو أيضاً لا يخلو من بعد ، لكن مع ذلك تخطئة الكل مشكلة ، والتقليد بلا حجة كذلك» .

ويقول في نهاية تعليقه ، بعد أن يستعرض الروايات الواردة في الغرر ويشكل على كيفية الاستفادة منها : «والانصاف أن الحكم (اشتراط القدرة علىٰ التسليم في صحة العقد) ثابت وإن كان المستند مخدوشاً»[١٤] ، وهكذا فهو لا يعتبر الإبهام في القدرة علىٰ التسليم من الغرر .

(١٤) البيع ٣ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

ويمكن أن نضيف هنا أن جبر هذا الإبهام بالخيار أمر يقبل التأمل، ولا يبعد قبوله لنفي الغرر المتصور ، وهو الذي اشار إليه الشيخ الأنصاري بتعبير «المخاطرة المفضية إلى التنازع في المعاملات» .

ولا نريد هنا أن نقرر الموقف في مسألة اشتراط هذا الشرط في صحة العقد عموماً ، بقدر استهدافنا القول بأن هذا الإبهام لا يبرر بنفسه ، في نظر بعض كبار الفقهاء ، هذا الاشتراط .

المثال الثاني : خيار الشرط .

ورغم الاختلاف في تسميته ، فقد سمّي خيار الشرط ، والخيار الشرطي ، وخيار التروي ، وبيع الخيار ، اجمعت المذاهب على

مشروعيته ، وقد استدل له تارة بالإجماع ، وأخرىٰ بالأخبار العامة المسوّغة للاشتراط ، من قبيل الخبر الذي ادعي تواتره : «المسلمون عند شروطهم»[١٥] ، وثالثة بالأخبار الخاصة من قبيل ما رواه الدارقطني عن محمد بن اسحاق عن الرجل الأنصاري الذي كانت بلسانه لُوثة(*) ، فكان لا يزال يغبن في البيوع[١٦] ، وما رواه البخاري من حديث : «المتبايعان كل منهما بالخيار علىٰ صاحبه ما لم يتفرقا إلّا بيع الخيار»[١٧] .

فهو عقد مجمع علىٰ صحته إجمالاً ، ولكنه علىٰ أي حال يشتمل علىٰ غرر بالمعنىٰ الشائع للغرر ، وخصوصاً إذا لاحظنا مدة الشرط . وقد ذكرت الموسوعة الكويتية أن الحكمة التي لاحظها الفقهاء في التوقيت هي «ألّا يكون الخيار سبباً من أسباب الجهالة الفاحشة التي تؤدي إلى التنازع ، وهو ما تتحاماه الشريعة في أحكامها»[١٨] .

ونحن نجد الفقهاء يختلفون في هذه المدة ، فهناك من يفوض ذلك للمتعاقدين في حدود المعتاد ، وهناك من يحدد بثلاثة أيام ، وهناك من يفوض للمتعاقدين مطلقاً ، وهو مذهب أحمد ومحمد بن الحسن وأبي يوسف ، وابن أبي ليلىٰ وابن شبرمة والثوري ، وابن المنذر واسحاق بن راهويه ، وأبي ثور وعبيد الله بن الحسن العنبري[١٩] . وقال الشيخ الأنصاري من علماء الإمامية ما نصه : «ولا خلاف في صحة هذا الشرط ، ولا في أنه لا يتقدر بحد عندنا»[٢٠] .

وقال الإمام الخميني : «لا إشكال في صحة اشتراط الخيار في العقد وثبوته بالشرط ... ويشترط تعيين المدة وضبطها بدواً وختماً ، فلو تراضيا علىٰ مدة مجهولة كقدوم الحاج مثلاً بطل البيع لصيرورته غررياً»[٢١] .

وكانت مشكلة الغرر المتصور هنا هي المشكلة الأساسية أمام

(١٥) المكاسب ٥ : ٢٢٨، ط. تبريز.

(*) لُوثة : حُبسة في اللسان.

(١٦) سنن الدارقطني ٣:٥٦، ط دار المحاسن، وغيره.

(١٧) صحيح البخاري ٤:٣٣٧، ط . المطبعة السلفية، وغيره.

(١٨) الموسوعة الكويتية ٢٠:٨٢.

(١٩) م . ن : ٨٣.

(٢٠) المكاسب ٥ : ٢٢٨، ط . تبريز.

(٢١) البيع ٤ : ٢٠٩ .

الفقهاء ، فالجهل هنا موجود لا محالة ، لأن من ليس له الخيار على الأقل لا يعلم بالمدة التي سيبقىٰ معها العقد قائماً .

فربما أجابوا بأن «الجهالة التي لا يرجع الأمر معها غالباً إلى التشاح ، بحيث يكون النادر كالمعدوم ، لا تعد غرراً كتفاوت المكاييل والموازين»[٢٢] ، وربما قيل بأن «حديث : نهى النبيﷺ عن الغرر ، مخصص بخروج الغرر الحاصل من جهالة مدة الخيار ، وإلّا بطلت كل البيوع بجهالة مدة خيار المجلس ، بل لا يضر جهالة أصل ثبوت الخيار ... فيعلم أن المراد من الحديث هو النهي عن بيع يكون المبيع أو الثمن فيه مجهولاً كماً أو وصفاً ، فتكون إضافة البيع إلى الغرر من قبيل الإضافة إلى المفعول»[٢٣] ، وربما قيل بأن «الغرر المذكور لا يضر بصحة المعاملة والشرط ؛ وذلك لأن الغرر الآتي من قبل الاشتراط مشمول للقاعدة ، لا الآتي من قبل عمل صاحب الخيار ، فإنه بعد ثبوت الخيار له فالجهل بعمله متأخراً عن القرار المعلوم لا يضر بالبيع ولا بالشرط»[٢٤] ، كما قد يقال بانه لا دليل على أن كل جهل داخل المعاملة يضر بالعقد[٢٥] .

وأخيراً قد يقال بأن «الظاهر من موارد استعمالات الغرر أنه ما يقرب إلى الخديعة»[٢٦] ، وليس موردنا من موارد الخديعة .

وهذا القول الأخير هو الذي يمكن استفادته من شروح اللغويين ، بتقريب أن الخديعة التي تشير إليها المصادر اللغوية ، إذا أضيفت إلى البيع حملت معنىً معيناً من الخداع ، يمكن تلخيصه بأنه «ما كان له ظاهر يغر وباطن مجهول يجعله في معرض الخطر المعاملي ، وهو الاختلاف بعد ذلك بشكل يصعب معه تعيين الموقف عند النزاع والتشاحّ ، فيحصل الضرر والهلكة والخطر» .

وهذا المعنىٰ يستفاد أيضاً من النصوص الناهية عن الغرر ، ولا مجال هنا لاستعراضها ، وربما كان هو ما توصل إليه الكثير من

(٢٢) المكاسب : ٢٢٨ .

(٢٣) البيع ٤ : ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢٤) م . ن .

(٢٥) م . ن .

(٢٦) تعليقة المرحوم الغروي على المكاسب : ٣٠٠، ط. مجمع الذخائر، قم.

الفقهاء ، فحتىٰ الشيخ الانصاري صاحب المكاسب الذي فسر الغرر بالجهالة يقول بعد البحث : «فالأولىٰ أن هذا النهي من الشارع لسد باب المخاطرة المفضية إلى التنازع في المعاملات»[٢٧] .

وقد رأينا أن الإمام الخميني مثلاً يشكك في اعتبار مجهولية القدرة علىٰ التسليم داخلةً تحت عنوان الغرر[٢٨] .

ويقول أيضاً : «والإنصاف أن اعتبار العلم في غير ذات المبيع والأوصاف التي ترجع إليها لا دليل معتد به عليه ، غاية الأمر إلحاق الأوصاف التي هي دخيلة في معظم المالية ، كالريح والطعم واللون ، فيما يراد منه ذلك ... نعم لا إشكال في لزوم إحراز عدم الفساد والمذهب للمالية لا للغرر ، بل لإحراز تحقق البيع بعد تقومه بالمالية»[٢٩] .

ويقول الشيخ الضرير : «وقد ورد الحديث الصحيح بمنع بيع الغرر ، فوجب الاخذ به ومنع كل بيع فيه غرر ، ومقتضىٰ هذا أن يؤثر الغرر في عقد البيع وحده ، ولكن نظرنا فوجدنا أن الغرر إنما منع في البيع لأنه مظنة العداوة والبغضاء وأكل المال بالباطل ، كما بيّن ذلك رسول اللّهﷺ في حديث النهي عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه ، ولما كان هذا المعنىٰ متحققاً في كل عقود المعاوضات المالية ألحقناها بالبيع »[٣٠] .

وقد استنتج الاستاذ الزرقا هذا المعنىٰ من النصوص قائلاً : «إن الغرر المنهي عنه هو نوع فاحش متجاوز للحدود الطبيعية ، بحيث يجعل العقد كالقمار المحض اعتماداً علىٰ الحظ المجرد في خسارة واحد وربح آخر دون مقابل» .

أما بالنسبة للجهالة فهو يؤكد رأي الحنفية في التمييز بين جهالة وأخرىٰ «فالجهالة التي تؤدي إلى مشكلة تمنع تنفيذ العقد فتبطله ، والجهالة التي لا تأثير لها في التنفيذ لا مانع منها ، وعلىٰ هذا

(٢٧) المكاسب : ١٨٥ .

(٢٨) راجع البيع ٢:٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢٩) البيع ٣ : ٣٥٩.

(٣٠) الغرر في العقود : ٤٢.

يصححون الوكالة العامة»[٣١].

وعلىٰ هذا الاستنتاج كنا قد صححنا ـ كما قلنا من قبل ـ عقد التأمين عـموماً ، ولا نـريد أن نـعيد البـحث ، وإنـما فـصلنا قـليلاً فـي مـعنىٰ الغـرر لنـركز بـعد هـذا عـلىٰ مسألة التأمـين الصـحي ، ونستعرض امكانيات تصحيحه حتىٰ في ضـوء القـرار الذي اتـخذه مـجمع الفـقه الاسلامي المؤرخ فـي ١٦ / ربـيع الثـاني/ ١٤٠٦ هـ ، تـحت الرقـم ٢ ، حيث جاء فيه :

١ ـ إن عقد التأمـين التـجاري ذا القسـط الثـابت الذي تـتعامل بـه شركات التأمين التجاري ، عقد فيه غرر كبير مفسد للعقد ، ولذا فهو حرام شرعاً .

٢ ـ إن العقد البديل الذي يحترم أصول التعامل الاسلامي ، هو عقد التأمين التعاوني القائم علىٰ اساس التبرع والتعاون[٣٢] .

وبالتأمل فيما مضىٰ نجد أن الغرر الموجود في هذا العقد ليس من الغرر الكبير الذي تتحاماه الشريعة ، كما عبرت الموسوعة الكويتية ، وليس مما يرجع الأمر معه إلى التشاح ، كما عبر الشيخ الأنـصاري ، وليس مما يقرب إلى الخديعة ، كما علق المرحوم الغروي ، وليس مما يجعل العـقد فـي مـعرض الخـطر المـعاملي ويـؤدي إلى التـنازع فـي المعاملات ، كما عبر الشيخ الأنصاري في موضع آخـر ، وليس مـن النوع الفاحش المتجاوز للحدود الطبيعية بحيث يجعل العـقد كـالقمار المحض ، كما يعبر الاستاذ الزرقا ، وليس من الجهالة التي تمنع تنفيذ العقد ، كما يعبر الحنفية ، كما أنه لا يشكل مـظنة للـعداوة والبـغضاء واكل المال بالباطل ، كما عبر الشيخ الضرير ، ثم إنه ليس مما كان له ظاهر يضر وباطن مجهول مما يؤدي للاختلاف ويؤدي مـن ثـمَّ إلى الضرر والهلكة والخطر ، كما قلناه في الحصيلة ، ومن ثم لا نستطيع أن نـطلق عـليه عـبارة الضـرر الكـبير ، ليشـمله الحكـم السـابق

(٣١) نظام التأمين:٥١ ـ ٥٢.

(٣٢) مـجلة مـجمع الفـقه الاسـلامي، الدورة الثـانية ٧٣١:٢.

لمجمع الفقه .

هذا ويمكن أن يقال لتأكيد هذا الاستنتاج : إن دراسة الحالة دراسة موضوعية دقيقة ، ومعرفة الظروف التي يعيشها الشخص ، أو دراسة مجموع الحالات التي يعيشها عمال مؤسسة ما ، ومعدل الخسائر التي تصيب هذا المجموع ، يمكن أن توصل إلى حالة من الاطمئنان بالنتائج إجمالاً ، رغم أن الخسائر تختلف من حالة إلى أخرىٰ ، مما يجعل الحسابات تقرب إلى الواقع علىٰ الإجمال لدىٰ المؤسسة المؤمّنة ، في حين نعلم أن الأقساط المدفوعة من قبل المؤمّن له أو لهم واضحة ومحددة .

بحث أصولي :

وعند الشك في شمول أدلة النهي عن الغرر لهذا المورد وغيره ، يمكننا التمسك بالعام في الشبهة المفهومية للمخصص المنفصل ، وتوضيح الأمر فيه إجمالاً هو أن من الواضح أن هناك أدلة عامة أو مطلقة تشمل أفراداً عديدة ، من قبيل : «كل ماءٍ طاهر» ، و ﴿أوفوا بالعقود﴾ ، و ﴿أحل الله البيع﴾ ، وأمثال ذلك . وهناك أدلة مخصصة لمثل هذه العمومات ، من قبيل استثناء ماتغير لونه أو طعمه أو رائحته بالنجاسة من عموم «كل ماء طاهر» ، أو استثناء العقود الغررية من حكم ﴿أوفوا بالعقود﴾ ، أو استثناء البيوع الربوية من ﴿أحل الله البيع﴾ ، وأمثال ذلك .

والأدلة المخصصة أو الأدلة الخاصة تارة تكون واضحة المفهوم ومعلومة المصاديق ، وأخرىٰ تكون هناك شبهة في مفهومها أو مصاديقها .

وهناك بحوث مفصلة في أقسام هذه البحوث ، إلّا أننا سنركز علىٰ البحث الذي يرتبط بموضوعنا نحن ، وهو بحث يُعنون في أصول الفقه لدىٰ الإمامية علىٰ النحو التالي : هل يسري إجمال المخصص ذي

الشبهة المفهومية إلى العام أم لا ؟ ويَعنُون به أنه إذا ورد عام وورد مخصص لذلك العام ، لكن وقعت شبهة في مفهوم الخاص من قبيل موردنا هذا ، فهناك عام يقول : ﴿أوفوا بالعقود﴾ ، والمفروض أن المراد هو العقود العرفية ، أي التي يؤمن العرف بأنها عقود تامة ، وهناك خاص يقول بعدم الوفاء بالعقود الغررية ، ووقع الشك في مفهوم الغرر ، وهو شك بين الأقل والأكثر ، أي لا نعلم بأن الغرر هل يختص بالغرر الفاحش المؤدي للنزاع في المعاملات ، أو يشمل كل جهالة في العقد ؟ فالأقل هو خصوص الغرر المؤدي للنزاع عادة ، والأكثر هو الأعم منه ومن غيره من أنواع الجهل ، إذا ورد ذلك فما هو الموقف في هذه الحالة ؟

يقول الأصوليون في هذه الحالة : إن إجمال الخاص لا يسري إلى العام ، ذلك أن هذا العام قد انعقد ظهوره بشكل كامل ، فشمل كل العقود العرفية ، وعندما يأتي الخاص فإنه يخصصه في القدر المتيقن، وهو هنا الغرر الفاحش المؤدي للنزاع ، ولكنه لا يستطيع التخصيص فيما عدا ذلك ؛ لأنه ، أي الخاص ، لا تعلم حجيته فيه ، أي في القدر الزائد .

فإذا خرج القدر المتيقن من تحت العام بحجة أقوىٰ ، وهي حجة الخاص ، يبقىٰ القدر الزائد غير مزاحم لحجية العام وظهوره فيه[٣٣] . وبتعبير آخر يقول المرحوم الشهيد الصدر ، بعد أن يأتي بمثال للعام هو «أكرم كل فقير» ، ومثال للخاص هو «لا يجب إكرام فساق الفقراء» ، ويتردد مفهوم الفاسق بين مطلق مرتكب الذنب وبين خصوص من ارتكب الكبيرة ، ويقول : «إن مقتضىٰ الحجية ، وهو ظهور العام في العموم بالنسبة لمورد الإجمال ، موجود ، والمانع مفقود ، أما وجود المقتضي فلما تقدم من أن المخصص المنفصل لا يهدم الظهور ، وإنما يتقدم عليه في الحجة بملاك الأظهرية

(٣٣) راجع اصول الفقه للمظفر ١:١٢٠، المطبعة العلمية النجف.

أو القرينية ، وأما عدم المانع فلأن الثابت من المانع عن حجية العموم إنما هو بمقدار فاعل الكبيرة من الذنب ، وأما فاعل الصغيرة فلم يثبت بحسب الفرض خروجه بالتخصيص ، فيبقى العام على حجيته لما تقدم من أن ظهور العام بنفسه حجة في نفي التخصيص المحتمل »[٣٤] .

(٣٤) بحوث في علم الاصول ٣:٢٩٩، تقرير السيد محمود الهاشمي.

وهنا نقول : إن الغرر الذي انتهينا إليه والمنهي عنه لا يشمل موردنا كما قلنا ، فإذا شككنا في شموله لموردنا أي الغرر غير الفاحش الذي لا يؤدي إلى النزاع المعاملي ، فمعنى ذلك أننا شككنا في مفهوم الغرر ، وترددنا فيه بين خصوص الغرر الفاحش المؤدي للنزاع أو ما يشمله ويشمل غيره ، وحينئذٍ يمكننا التمسك بعموم ﴿أوفوا بالعقود﴾ وأمثاله من العمومات والإطلاقات الصحيحة للعقود العرفية ؛ لشمول موردنا هذا دون أن يعارضه الدليل المخصص الذي افترضنا فيه شبهة مفهومية ، فهو لا يقوى على إخراج ما يحتمل شموله من نطاق أفراد العام الذي هو حجة فيه .

إلى هنا ينتهي بحثنا المختص عن النقطة الاولى ، وهي مسألة مدى احتواء عقد التأمين على الغرر المنهي عنه .

النقطة الثانية : التأمين الصحي وطبيعته التعاونية .

ذكرنا فيما سبق أن المالكية يعتبرون جواز الغرر في عقود التبرع والتعاون قاعدة عامة ، واستنتجنا من بعض عبارات الإمامية أنهم أيضاً يجيزون ذلك ، بل إن تعميمهم لآثار الغرر إلى مطلق المعاوضات فيه نظر ، لأنهم لا يقبلون القياس كالظاهرية .

وقد رأينا أيضاً أن مجمع الفقه الاسلامي بجدة قد أخذ بهذا الرأي في قراره حول التأمين ، ونحن نعتقد أن طبيعة عقد التأمين عموماً هي طبيعة تعاونية ، وهو نفس الرأي الذي تبناه الاستاذ مصطفى الزرقا ،

ولكن حتىٰ لو تـنزلنا عـن هـذا الرأي ، فـإننا نـجد أن مسألة التأمـين الصحي ـ رغم ظاهرها المعاوضي ـ تحمل بشكل أكثر وضوحاً معنىٰ التـعاون والتـضامن ، حـتىٰ ولو كـان القـصد مـنها الربـح التـجاري خصوصاً بعد أن حذفنا من البين مسألة التأمين مـن المـرض نـفسه وقصرناه علىٰ العلاج ، ويتأكد هذا الموضوع عندما يتم التـعاقد بـين مؤسسة لها موظفون ومستشفىٰ يؤمن لهم العلاج اللازم ، كما يتأكد أيضاً عندما يتم التـعاقد بـين المـؤسسات الحكـومية والمسـتشفيات الخاصة لتحقيق هذا الغرض .

أما فيما إذا كانت المؤسسات المتعاقدة داخلة كلها تـحت الإطـار الحكومي العام ، فإن العنصر الغـرري لا يـتصور تأثـيره كـثيراً فـي البين ، ولا معنىٰ لتصور النزاع داخل الإطار الواحد .

وهناك نقطة أخرىٰ ربما كان لها دخلها في البين ، وهي تؤكد لنـا الطبيعة التعاونية لهذا العقد ، وهي أن ننظر إلى الحالة الاجتماعية كلاً ، فنقارن بين مجتمع تشرع فيه حالة التأمين الصـحي حـتىٰ مـن قـبل القطاع الخاص ، وآخر ينتفي فيه هذا النوع من التأمين . ومن الطبيعي أن المجتمع الأول ينعم بحالة جيدة من التعاون والتـضامن بـالنسبة للمجتمع الثاني ، مما يؤكد لنا هذه الحالة التعاونية بلا ريب .

ولسنا نرىٰ بأساً فـي وجـود قـصد ربـحي أو تـجاري لدىٰ أحـد المتعاقدين ، للتأثير علىٰ تغيير الطبيعة التـعاونية للـعقد ، تـماماً كـما فـي مسألة الاسـتئجار لقـضاء الصـلوات مـثلاً ، فـإن نـية الحـصول علىٰ مبلغ الاجارة لا تتنافىٰ مع قصد القربة فيها ، كما يقرره العلماء ، وعلىٰ هذا ربما قربت مسألة أخذ الأجرة عـلىٰ الواجـبات كـالمعالجة والتـغسيل والتـعليم ، بـل كـل عـمل يـحتاج إليـه المـجتمع فـي مـختلف المـجالات العـلمية والطـبية والاجـتماعية بـاعتبارها مـن الواجبات الكفائية .

النقطة الثالثة: مسألة الحرج الاجتماعي عند نفي التأمين الصحي.

إن مسألة التأمين الصحي هي حاجة اجتماعية ملحة ، ولا سيما للطبقات الفقيرة ، ولا يمكن التغاضي عنها ؛ لأن ذلك يشكل حرجاً اجتماعياً عاماً حتىٰ ولو لم يكن يمثل حرجاً شخصياً في بعض الموارد .

وقد ذكر الاستاذ الضرير شروطاً لتأثير الغرر ، ومنها ألّا تدعو للعقد حاجة ، معللاً ذلك بقوله : «لأن العقود كلها شرعت لحاجة الناس إليها ، ومن مبادئ الشريعة المجمع عليها رفع الحرج . قال تعالىٰ : ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ ، ومما لا شك فيه أن منع الناس من العقود التي هم في حاجة إليها يجعلهم في حرج ، ولهذا كان من عدل الشارع ورحمته بالناس أن أباح لهم العقود التي يحتاجون إليها ولو كان فيها غرر» ، ثم ذكر أن الحاجة قد تكون عامة وقد تكون خاصة[٣٥] .

(٣٥) الغرر في العقود: ٤٦.

فإذا افترضنا قيام الدولة بعملية التأمين هذه ، فإننا لا نرىٰ مشكلة في البين كما مر ، أما إذا كانت الدولة غير ملتزمة لسبب أو لآخر بذلك، فإن المنع من عملية التأمين الصحي سوف يشكل بلا ريب حالة حرجية تلقي بثقلها الكبير علىٰ عاتق أفراد المجتمع ، ولا تقل ثقلاً عن المصاديق التي تذكرها النصوص الاسلامية لعنوان الحرج .

وقد رأينا أئمة أهل البيت عليهم السلام يذكرون مصاديق للآية الشريفة ﴿**ما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾[٣٦] ، تعدّ عادية بالنسبة لهذه المسألة المهمة ، وهي من قبيل ما جاء في الرواية التالية .

(٣٦) الحج : ٧٨ .

عن الكافي والتهذيب والاستبصار : «أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب، عن علي بن الحسن بن رباط ، عن عبد الأعلىٰ مولىٰ آل سام: قلت لأبي عبد الله [يعني الصادق عليه السلام] : عثرت فانقطع ظفري فجعلت علىٰ إصبعي مرارة ، فكيف أصنع بالوضوء ؟ قال عليه السلام : يعرف هذا

واشباهه من كتاب الله عزّوجل . قال الله عزّوجل : ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ . امسح عليه»[٣٧] .

(٣٧) وسائل الشيعة ١:٣٢٧.

يقول المرحوم البجنوردي في هذا الصدد : «فهذه الآية الكريمة مع الحديث الشريف تدل دلالة واضحةً ، علىٰ أن رفع الأحكام الحرجية مخصوص بهذه الأمة كرامة لنبينا ﷺ ، فلا يمكن أن يكون المراد من الحرج عدم القدرة والطاقة والعجز عن الامتثال ، بمثابة يكون تكليفه في تلك الحالة قبيحاً أو غير ممكن ، فلا شك في أن المراد من التكاليف والأحكام الحرجية ، ولو كانت وضعية ، هو أن يكون الحكم المجعول من طرف الشارع موجباً للضيق والعسر علىٰ النوع أو علىٰ الشخص ؛ لأنه قد يكون العسر النوعي موجباً لرفع الحكم ولو كان بالنسبة لبعض الأشخاص غير حرجي»[٣٨] .

(٣٨) القواعد الفقهية للبجنوردي ١ : ٢١٢ .

ومما لا ريب فيه أيضاً أن دليل (لا حرج) من الأدلة الثانوية نظير (لا ضرر) ، وهو يتقدم علىٰ أدلة الأحكام الأولية المحمولة علىٰ موضوعاتها ، من قبيل نفي الغرر ، والمنفي بدليل لا حرج هو جعل الحكم التشريعي الموجب للحرج .

ملاحظة مهمة

لما كان الحرج النوعي ثابتاً فإن دليل (لا حرج) يسوّغ لولي الأمر بمقتضىٰ تشخيصه لذلك أن يسمع بمثل هذا التأمين ـ إن لم نقل بأنه عقد مسموح به طبق الأصل ـ رفعاً لذلك الحرج النوعي ، إلّا إن الأشخاص يختلفون في ذلك ، والاحتياط يقتضي ألّا يقدم الشخص الذي يشعر بالحرج علىٰ هذا العمل ، حتىٰ مع السماح الاجتماعي العام بذلك . ولكننا ذكرنا قبل هذا أن صحة هذا العقد هي علىٰ القاعدة ، فلا حاجة لمثل هذا الاحتياط .

وإلى هنا قد انتهينا من المبحث الأول بنقاطه الثلاث ، وهو مبحث حكم التأمين الصحي .

المبحث الثاني : حكم اشتراط البرء لاستحقاق المقابل

وهـذه المسألة قـد لا تـرتبط ارتـباطاً وثـيقاً بـموضوع التأمـين الصحي ، غير أن الاطلاع علىٰ نتائجها نافع في البين .

وربما لم تكن المسألة بحاجة إلى توضيح كـثير ، وخـلاصتها أن يشترط المريض علىٰ معالجه أو علىٰ شركة تأمين أن يتحقق البرء ، حتىٰ يستحق الشخص أو الشـركة المـبلغ المـعين ، فـهل يـصح هـذا الشرط ؟ وإذا كان فاسداً فهل يفسد العقد ؟ هذا ما يـجب تـوضيحه . وسيكون بحثنا علىٰ النحو التالي :

١ ـ قاعدة «المؤمنون عند شروطهم» :

هذه القاعدة من المسلّمات الفقهية الاسـلامية ، والأصـل فـيها مـا روي عـن النـبيﷺ مـن قـوله : «**المسلمون عـند شـروطهم ـ أو عـلىٰ شروطهم ـ إلّا شرطاً حرم حلالاً**»[٣٩] .

(٣٩) جاء هذا الحديث في كل الكتب الحديثية، فلا نـطيل في نقل مصادره. يـراجـع مثلاً: وسـائل الشـيعة، ب ٢٠ من أبواب المهور، ح ٤ من كتاب النكاح.

ولا شك في صحة هذا الحديث علىٰ اختلاف تـعابيره ، ومـلخص دلالته أن علىٰ كل مسلم الثبات عند التزاماته والوفاء بـها ، إذ إنـهﷺ هنا في مقام إنشاء الحكم لا الإخبار به .

وفي ضوء ذلك أجمع المسـلمون عـلىٰ وجـوب الوفـاء بـالشروط الصحيحة ، وإن كانوا اختلفوا فـي أمـور كـثيرة مـتفرعة ، مـن قـبيل شمول العبارة للأحكام كلها ، باعتبارها إلزامـات والتـزامـات إلهـية ، أم لا ، وشمول القاعدة للشروط الابتدائية أو اقتصارها علىٰ الشروط المذكورة ضمن العقود ، وهذا ما لا داعي فعلاً للـحديث عـنه ، وإنـما المهم الحديث عن وجود شرائط صحة الشروط في موردنا هذا حتىٰ يمكن الإلزام به .

٢ ـ شرط القدرة :

ذكر العلماء شرائط صحة الشرط ليمكن الإلزام به ، وأولها شرط القـدرة ، أي أنـه يـجب أن يكـون مـقدوراً للـمشروط عـليه . ذلك أن

الاشتراط يعني الجعل في العهدة ، وما لم يكن قادراً عليه لن يكون متمكناً من الوفاء به ، ومن ذلك اشتراط أمور ـ بنحو شرط الفعل أو شرط النتيجة ـ غير داخلة تحت سلطة الانسان ، وإنما تتحقق بإرادة الله تعالىٰ فقط ، كموردنا هذا وهو البرء من المرض ، فهو بيد الله جل وعلا ، وإن كان للانسان أن يهيّئ الظروف الملائمة للشفاء .

والسر في كون هذا الشرط فاسداً هو أنه يحول العقد إلى عقد غرري لمجهولية النتيجة . يقول الشيخ الأنصاري : «لأن تحقق مثل هذا الشرط بضرب من الاتفاق ، ولا يناط بإرادة المشروط عليه ، فيلزم الغرر»(٤٠) .

(٤٠) المكاسب : ٢٧٦ .

ويقول السيد البجنوردي : «فمثل اشتراط جعل الزرع سنبلاً ، والبسر رطباً ، واشتراط كون الدابة بحيث تحمل في المستقبل ، حيث إنها ليست تحت سلطان المشروط عليه ، يكون لغواً أو باطلاً ، بل لو أخذ وصفاً للمبيع في البيع أو لغيره في سائر المعاوضات ، يكون العقد فاسداً لكونه غررياً»(٤١) .

(٤١) القواعد الفقهية ٣:٢٢٦.

وقد قرر العلماء جميعاً أن العقد الذي يدخله الغرر حتىٰ من قبل الشرط الغرري باطل ، علىٰ اختلاف في تعابيرهم(٤٢) .

(٤٢) الموسوعة الفقهية ٢٦: ١١ ـ ١٦.

ولكن اعتبار اختلال شرط القدرة منفذاً للغرر في العقد قد يختلف فيه ، كما سنرىٰ .

وقد جاء في الموسوعة الكويتية التعبير التالي : «القسم الثاني : ما يحكم معه بصحة التصرف سواء أسقطه المشترط أم لم يسقطه ، وهذا القسم يتناول الشروط الباطلة التي تسقط ويصح معها التصرف عند الحنفية، والشروط الباطلة التي يصح معها التصرف عند المالكية، والشروط الفاسدة التي يصح معها التصرف عند الشافعية والحنابلة».

ومما ذكرت من أنواعه «الرابع : اشتراط أمر يؤدي إلىٰ جهالة أو أمر غير مشروع ، كما لو باع بقرة وشرط أن تدر كل يوم صاعاً ، فإن ذلك لا يصح لعدم القدرة عليه ، ولعدم انضباطه»(٤٣) .

(٤٣) نقلاً عن مغني المحتاج ٢ : ٣٣ ـ ٣٤.

٣ ـ محاولة لتصوير القدرة هنا :

وقد يقال في موردنا : إن ظاهر هذا الشرط هو شرط الوصول إلى النتيجة ، وهي البرء إلّا إن واقعه العرفي هو بذل أقصىٰ الجهد للوصول إليها ، فهو شرط فعل وليس شرط نتيجة ، فإن كان هذا هو المراد فلا مشكلة في البين ، ولكنه خلاف ظاهر الاشتراط .

وقد يقال أيضاً : إن هناك من الأمراض ما يمكن للطبيب الماهر أن يطمئن فيها إلى النتيجة ـ بإذن اللّٰه تعالىٰ ـ ، وحينئذٍ لا يعد العرف هذا الشرط شرطاً غير مقدور ، ومن ثم لن يكون غررياً باطلاً . وربما يقاس هذا إلى بعض الشروط الأخرىٰ الصحيحة عرفاً ، من قبيل شرط الإيصال إلى المقصد الفلاني ، أو شرط القضاء علىٰ العدو وتحقيق النصر ، أو شرط استكمال البناء ، واختراع الوسيلة ، وأمثال ذلك مما يتوقف الأمر فيه علىٰ لطف اللّٰه وعنايته ، بل يمكن أن يقال : إن تحقيق كل الشروط متوقف علىٰ ذلك ، فلا فرق بين شرطنا هذا وباقي الشروط .

والإنصاف أن هذا الأمر لا يمكن نفيه في جميع الموارد ولا قبوله في الجميع ، وإنما تختلف الحال فيه من مورد إلى آخر ، فلا يمكننا أن نتصور الفرق بين الشروط المستساغة عرفاً وهذا الشرط في بعض الموارد ؛ وذلك لما قلنا عن الغرر من قبل ، ولما نجده وجداناً من إمكان تحقيق النتيجة بكل ثقة ـ مع التوكل علىٰ اللّٰه تعالىٰ ـ في مثل هذه الموارد .

٤ ـ بعض الشروط المشابهة :

هذا وقد ذكر فقهاء الإمامية بعض المسائل المشابهة ، من قبيل اشتراط أن تحمل الدابة في المستقبل ، حيث ذكر الشيخ الأنصاري أن العلّامة الحلي أبطل هذا الاشتراط ؛ لأنه غرر عرفاً ، ولكن نقل عن الشيخ الطوسي والقاضي ابن البراج أنهما حكما بلزوم العقد مع تحقق

الحمل ، وبجواز الفسخ إذا لم يتحقق ، حيث إن الظاهر ـ كما استفاده الشهيد الأول في الدروس ـ هو تزلزل العقد باشتراط مجهول التحقق، وهذا يعني وجود خلاف في اشتراط القدرة على الشرط عند الفقهاء[٤٤]، ولعل ذكر الخيار هنا هو لرفع حالة الغرر المؤدية للنزاع ، وهو ما اشرنا إليه عند بحثنا عن اشتراط القدرة على التسليم وأدائه إلى الغرر عند عدم العلم به .

(٤٤) المكاسب : ٢٧٦ .

ومن الأمثلة التي تذكر ما لو اشترط على المشتري بيع السلعة المشتراة من زيد ، فإن المشتري إنما يقدر على الإيجاب فقط لا العقد المركب ، فالقبول ليس تحت قدرته ، ومع ذلك فقد جزم العلّامة في التذكرة بصحة هذا الشرط غير المقدور تماماً ، فقال : «لو اشترط بيعه على زيد فامتنع زيد من شرائه ، احتمل ثبوت الخيار بين الفسخ والإمضاء والعدم ، إذ تقديره : بعهُ على زيد إن اشتراه» . وهنا يقول الشيخ الأنصاري معلقاً : «ولا أعرف وجهاً للاحتمال الأول ، إذ على تقدير إرادة اشتراط الإيجاب فقط قد حصل الشرط ، وعلى تقدير إرادة اشتراط المجموع المركب ينبغي البطلان ، إلّا أن يحمل على صورة الوثوق بالاشتراء ، فاشتراط النتيجة بناءً على حصولها بمجرد الإيجاب ، فاتفاق امتناعه من الشراء بمنزلة تعذر الشرط ، وعليه يحمل قوله في التذكرة : ولو اشترط على البائع إقامة كفيل على العهدة فلم يوجد أو امتنع (الكفيل) المعين ثبت للمشتري الخيار»[٤٥] .

(٤٥) م . ن .

وهكذا نجد أن هناك مجالاً للتخريج على أساس الوثوق بالنتيجة ، كما عبر الشيخ الأنصاري في جعل الاشتراط عرفياً ، أما الغرر فيتلافى حينئذٍ بخيار تخلف الشرط ولا يعود من الغرر المنهي عنه .

هذا ويمكننا أن نطرح الاسلوب التالي للحل . لقد ذكر الإمام الخميني أن العقلاء يستخدمون أسلوب الاشتراط وأسلوب

الخيار عند تخلف الشرط ، ويترتب لديهم عند الاشتراط حقان : أحدهما : حق إلزام المشروط عليه بالعمل به ، والثاني : حق الخيار عند التخلف .

فلو كان الحق الثاني تابعاً للحق الأول ، بمعنىٰ أنه مع عدم وجود حق للإلزام لا يوجد حق الخيار ، فإن أمر العقد يدور بين اللزوم والفساد ، ويقع الشرط غير المقدور باطلاً .

أما لو كان الحق الثاني تابعاً لمطلق تخلف الشرط ، اختيارياً كان أم لا ، صح الشرط ، وترتب علىٰ تخلف الخيار تماماً لو طرأ التعذر بعد العقد ، فهم لا يحكمون ببطلان العقد حينئذٍ ولا بلزومه بل يحكمون بالخيار للتخلف ، فالقدرة ليست شرطاً لصحة الشرط ، بل هي شرط عقلي لجواز الزامه علىٰ العمل به . هذا ماهو الحال لدىٰ العقلاء ، فإذا دخلنا الساحة الشرعية ولاحظنا قوله ﷺ : «**المؤمنون عند شروطهم**» ، الدال بكل وضوح علىٰ الإلزام ، فحينئذٍ قد نقول : إن الأحكام الكلية القانونية لا تتقيد بالقدرة كما لا تتقيد بالعلم ، ويكون الحكم الفعلي ثابتاً لموضوعه علم به المكلف أم لا ، قدر عليه أم لا ، وحينئذٍ فوجوب تحقق الشرط ثابت ، والعذر عن الاتيان به لا يوجب بطلانه رأساً ، فيترتب عليه الخيار .

وقد نقول : بأن التكليف الكلي ينحل إلى تكاليف ولا يعقل تعلقه بالعاجز ، فإن ذلك لا يوجب بطلان هذا الشرط ، نظير البطلان في الشرط المخالف للكتاب أو السنة ؛ لأن غاية الأمر قصور الأدلة عن إيجاب العمل بهذا الشرط ، وتكفل الخيار عند التخلف ، فلا تدل علىٰ عدم الخيار عند عدم الوجوب .

وعندئذ نقول : ليس هناك دليل شرعي علىٰ بطلان هذا الشرط ، كما في موردنا هذا ، ويبقىٰ العمل العقلائي الذي أشرنا إليه من إيجاب الخيار عملاً معتبراً ، ولا رادع شرعي عنه[٤٦] .

(٤٦) راجع البيع ٥ : ١٤٤ ـ ١٤٧.

٥ ـ إن كان الشرط فاسداً فهل يفسد العقد ؟

وإذا افترضنا فساد هذا الشرط فإنه لا يجب الوفاء به ، وإذا كان الشرط يعود إلى الغرر في العقد فإنه يبطله ؛ لأنه عقد منهي عنه .

والظاهر من بعض العلماء[٤٧] كابن زهرة ، وهو من قدماء الإمامية ، في الغنية أن الشرط غير المقدور كصيرورة الزرع سنبلاً والرطب تمراً ، يؤدي إلى صيرورة البيع غير مقدور على تسليمه فيعود غررياً ، ولكن العلّامة الحلي في التذكرة يصرح بوقوع الخلاف في الشرط غير المقدور ، ممثلاً بالمثالين المذكورين ، وينسب القول بصحة العقد إلى بعض العلماء .

(٤٧) سلسلة الينابيع الفقهية ١٣ : ٢٠٩.

ويعلق المرحوم الأنصاري عليه بقوله : «والحق أن الشرط غير المقدور من حيث هو غير مقدور لا يوجب تعذر التسليم في أحد العوضين ، نعم لو أوجبه فهو خارج عن محل النزاع كالشرط المجهول ، حيث يوجب كون المشروط بيع الغرر»[٤٨] .

(٤٨) المكاسب : ٢٨٧ .

ويمكن أن نشير هنا إلى ما قلناه في مسألة اشتراط القدرة على التسليم ، من أن وجود الخيار هناك قد يرفع الغرر المتصور فراجع ذلك .

وعلى أي حال لا يبعد القول بأن مثل هذا الشرط لا يدخل العقد في الغرر ، حتى لو قلنا بفساده ، فيبقى مجال للبحث عن صحة العقد مع عدم تحقق الشرط ؛ وذلك لأنه مشمول لعمومات الصحة والوفاء .

٦ ـ الاشكالات على صحة مثل هذا العقد الصحيح والباطل شرطه :

وقد ذكر صاحب المكاسب منها أربعة وأجاب عنها ، ولكنه توقف في النهاية عن الإفتاء ، وهي :

أولاً : أن للشرط قسطاً من العوض مجهولاً ، فإذا سقط لفساده صار العوض مجهولاً .

وأجاب عنه بالنقض في مسألة سقوط الشرط الفاسد في النكاح مع

صحته ، وبالحل مانعاً أن الشرط يقابل بشيء وإن كان له دخل في زيادة العوض ونقصانه ، ولذلك لم يكن في فقده إلّا الخيار بين الفسخ والإمضاء مجاناً ، ومقرراً أن التفاوت بين المتصف بالشرط وغيره منضبط وليس مجهولاً ، ومؤكداً أن الجهالة الطارئة على العوض لا تقدح بعد أن تم العقد بلا جهل عند الإنشاء .

ثانياً : أن التراخي إنما وقع على النحو الخاص ، فإذا تعذر لم يبق التراخي على ماهو عليه .

وأجاب عنه بمنع كون ارتباط الشرط بالعقد يحوج انتفاءه إلى معاوضة جديدة تماماً لو تبين نقص أحد العوضين ، فإنه لا يبطل العقد من الأصل وإن كان يوجب الخيار .

ثالثاً : ذكر بعض الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي يبدو منها فساد أصل العقد ، وأجاب عنها .

واستدل لصحة هذا العقد بروايات ، من قبيل حديث نافع أن عائشة ساومت بريرة فخرج إلى الصلاة ، فلما جاء قالت : «إنهم أبوا أن يبيعوها إلّا أن يشترطوا الولاء ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : **إنما الولاء لمن أعتق**»[٤٩] ، والظاهر منه صحة العقد وبطلان الشرط .

وأخيراً تردد في المسألة قائلاً : «والإنصاف أن المسألة في غاية الإشكال»[٥٠] .

(٤٩) صحيح البخاري ٣: ٩٤ ط . إحياء التراث، والرواية رواها مشايخ الإمامية في اصولهم.

(٥٠) المكاسب : ٢٨٩ .

٧ ـ ما الحكم لو أسقط المشروط له الشرط الفاسد والمفسد للعقد؟

إن قلنا بأن العقد فاسد من الأول فلا أثر لهذا الإسقاط ، ولكننا لم نقل به . والله اعلم .

ملخص البحث :

قمنا بعون الله وتوفيقه بالخطوات التالية :

أولاً : عرّفنا بالتأمين الصحي نفسه ، ولم نر ضرورة للتعرض لتفاصيل البطاقات الصحية .

ثـانياً: للـوصول إلى الحكـم الشـرعي للـتأمين الصـحي سلكنا الخطوات التالية:

أ ـ ركزنا على أن المشكلة الأساسية في هـذا العقد هـي مشكلة الغرر ، فبحثنا بإيجاز عن نوع الغرر المنهي عنه ، وذكرنا ضرورة التعمق ـ أكثر من ذي قبل ـ في هذا البحث المهم ، وللتمهيد لمعرفة النتيجة تعرضنا لمثالين مهمّين يقوم البحث فيهما على نوع الغرر الذي يصاحبهما ، وهما ، مسألة اشتراط القدرة على التسليم ، ومسألة خيار الشرط ، وخلصنا في النتيجة إلى أن الغرر المنهي عنه هو ما كان له ظاهر يغر وباطن مجهول يجعله في معرض الخطر المعاملي ، وهو الاختلاف والنزاع بعد ذلك بشكل يصعب معه تعيين الموقف عند التشاح ، فيحصل الضرر والهلكة والخطر .

ب ـ قمنا بتطبيق النتيجة على موردنا (التأمين الصحي) فلم نجد فيه مصداقاً لهذه النتيجة .

جـ ـ ذكرنا بحثاً أصولياً يوضح الموقف عند الشك في مثل هذا المورد ، وهو بحث (التمسك بالعام في الشبهة المفهومية للدليل المخصص) ، ورأينا أيضاً أنه لصالح تصحيح المورد ، وانسجامه مع القواعد .

د ـ بحثنا عن الطبيعة التعاونية للتأمين الصحي ، وأكدناها من خلال نظرة اجتماعية عامة .

هـ ـ ذكرنا مدى الحرج الاجتماعي الذي يتحقق بنفي موضوع التأمين الصحي ، والحرج من العناوين الثانوية التي تتقدم على عناوين الأحكام الأولية حتى ترتفع الحالة الحرجية .

ثالثاً: تعرضنا لحكم اشتراط البرء لاستحقاق المقابل عبر الخطوات التالية:

أ ـ توضيح قاعدة المؤمنون عند شروطهم .

ب ـ ضرورة أخذ شرط القدرة في الشروط اللازم الوفاء بها .

جـ ـ محاولة لتصوير وجود هذا الشرط في مورد مسألتنا .

د ـ الحديث عن بعض الشروط المشابهة التي ذكرها الفقهاء .

هـ ـ تعرضنا لأسلوب يحل المشكلة على أساسٍ من السلوك العقلائي غير المنهي عنه من قبل الشارع .

و ـ مع افتراض فساد هذا الشرط هل يبطل العقد ؟ هذا ما ذكرناه هنا.

ز ـ حل بعض الإشكالات على النتيجة والاستدلال عليها .

ح ـ الحكم فيما لو أسقط المشروط له الشرط الفاسد .

مشروع القرار المقترح :

أما بعد ، فإن مجمع الفقه الاسلامي قرر :

١ ـ أن عقد التأمين الصحي جائز ؛ وذلك :

أولاً : لعدم بلوغ الغرر فيه إلى الحد الكثير .

ثانياً : لطبيعته التعاونية .

ثالثاً : للحاجة الاجتماعية إليه .

٢ ـ من المرجح أن تشكل شركات تعاونية لهذا الغرض ، أو تعمل الحكومات على تأمين هذه الحاجة لموظفيها بل لمواطنيها .

٣ ـ لا يختلف الحال فيما لو كانت هناك واسطة في العقد من شخص أو شركة تعاونية أو تجارية ، وإن كان من المرجح عدم إدخال الشركات التجارية في البين .

٤ ـ لو اشترط شخص على الطبيب المعالج البرء لاستحقاق المقابل ، فإنه يراعى في تصحيح هذا الشرط نوع المرض ، وقدرة المعالج ، وعند التخلف يثبت خيار تخلف الشرط ، فله الفسخ فيعود لأجرة المثل وله الإمضاء .

والله تعالى اعلم .

دراسات

نظام العبادات في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

٢

سماحة السيد
محمد باقر الحكيم

جـ ـ شهر رمضان

يعتبر شهر رمضان أفضل شهور السنة على الاطلاق كما نصت على ذلك الروايات العديدة ، كما سيأتي .

وقد عللت هذه الأفضلية في القرآن الكريم بنزول القرآن فيه : ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان﴾ ، ووجود ليلة القدر فيه التي هي خير من ألف شهر ، كما أنها ليلة مباركة يفرق فيها كل أمر حكيم ، والظاهر أنه لأجل ذلك فرض الله تعالىٰ هذا الواجب الاسلامي المهم ـ وهو الصوم ـ فيه لفضله وعلو شأنه وزيادة في الاهتمام به ، فهو شهر الصيام والصبر والقيام لوجود النوافل الكثيرة فيه ، وهو شهر الاعتكاف بالمسجد وهو شهر القرآن الكريم وتعلّم الاسلام والشريعة ، وشهر الدعاء والمناجاة وشهر الذكر وشهر الصدقة والانفاق وشهر جهاد النفس وجهاد العدو ، وشهر التوبة وشهر المغفرة والرحمة وشهر العتق من النار والفوز بالجنّة .

ولعل من أروع النصوص التي جاءت تتحدث عن شهر رمضان وفضله خطبة رسول الله التي خطبها في آخر جمعة من شعبان ليعرف فيها بشهر رمضان ، فقد رواها الصدوق﵀ في كتابيه الأمالي والعيون بسند معتبر عن الإمام الرضا﵇ في السلسلة الذهبية عن أبيه الإمام موسىٰ بن جعفر عن أبيه الإمام جعفر بن محمد عن أبيه الإمام محمد بن علي عن أبيه الإمام علي بن الحسين عن أبيه الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء عن أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ وعلىٰ جميع الأئمة الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً قال : « **إن رسول الله ﷺ خطبنا ذات يوم فقال : أيها الناس ، إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيامه أفضل الأيام ، ولياليه أفضل الليالي ، وساعاته أفضل الساعات ، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله . أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب ، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة ، وقلوب طاهرة ، أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه ، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم ، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ، وتصدّقوا علىٰ فقرائكم ومساكينكم ، ووقّروا كباركم ، وارحموا صغاركم ، وصلوا أرحامكم ، واحفظوا ألسنتكم ؛ وغضّوا عمّا لا يحل النظر إليه أبصاركم ، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم ، وتحننوا علىٰ أيتام الناس يتحنّن علىٰ أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه أيديكم بالدّعاء في أوقات صلاتكم ، فإنها أفضل الساعات ، ينظر الله عزوجل فيها بالرحمة إلى عباده ، يجيبهم إذا ناجوه ، ويلبيهم إذا نادوه ، ويعطيهم إذا سألوه ، ويستجيب لهم إذا دعوه . أيها الناس ، إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفّفوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا أن الله أقسم بعزته ألّا يعذّب المصلين والسّاجدين ، وألّا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين . أيها**

الناس ، من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق نسمة ومغفرة لما مضىٰ من ذنوبه . قيل : يا رسول الله ، فليس كلنا نقدر علىٰ ذلك . فقالﷺ : اتقوا النار ولو بشق تمرة ، اتقوا النار ولو بشربة من ماء . أيها الناس ، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازاً علىٰ الصراط يوم تزل فيه الاقدام ، ومن خفّف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه ، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه ؛ ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النّار ، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين ، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور . أيها الناس إن ابواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة ، فاسألوا ربكم ألّا يغلقها عنكم ، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ألّا يفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ألّا يسلطها عليكم . قال أمير المؤمنينعليه السلام : فقمت فقلت : يا رسول الله ، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن ، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله»[1] الحديث .

(١) وسائل الشيعة ٧ : ٢٢٦، ح ٢٠ .

والحديث عن فضل شهر رمضان حديث واسع لما يحظىٰ به من أهمية خاصة ، وما ورد فيه من النصوص الكثيرة ، ولكن الشيء المهم الذي أكده النبيﷺ في خطبته والأئمة الأطهار عليهم الصلاة والسلام هو :

أولاً : الاستفادة من هذا الشهر الشريف والموسم العظيم الذي تتحول فيه الأوقات والأعمال إلى أوقات وأعمال ذات مداليل خاصة واسعة في الكم والكيف ، وتتضاعف فيه السيئات والحسنات ، وتتهيأ فيه الفرصة لأن يتحول كل عمل للإنسان إلى عمل صالح وإلى أعلىٰ درجات الصلاح .

ثـانيا: أن الصـوم فيه لا يـعني الإمسـاك عـن الطـعام والشـرب فحسب ، بل الورع المطلق عن كل المحارم والسيئات والابتعاد عن كل العيوب والنواقص .

ثالثاً: التنوع في العبادة والممارسة العملية التي تقرّب الإنسان من الله تعالىٰ ، بحيث يكون شاملاً لكل أنواع العبادة بدون استثناء ، كما سوف نلاحظ ذلك في استعراض العبادات والأعمال في هذا الشهر .

رابـعاً: وضـع مـنهاج عـملي مـفصل وشـامل لتكـثيف وتـصعيد الممارسة العبادية بحيث يشمل كل الأوقات والأزمنة في هذا الشهر .

خامساً: وهو ما ذكرناه في ليلة القدر في بحث الأيام والليالي ، من اتخاذ القرارات المصيرية بشأن الانسان من قبل الله تـعالىٰ فـي هـذا الشهر ولا سيما في ليلة القدر ، الأمـر الذي يـراد مـنه نـزول الرحـمة الإلهية بشأن هذا الانسان .

ومن الملاحظ أيضاً أن الاهتمام بهذا الشهر الشريف مـما يـجمع عليه جميع المسلمين ، بحيث تحول في مجموعه إلى شعار يتميز به المسلمون عن غيرهم ، سواء في الشكل أو المضمون الفريد الذي لا يشبههم فيه أحد من الأمم والجماعات .

ولكن المنهاج الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام يبقىٰ منهاجاً متميزاً عن سائر ما يعرفه المسلمون في خصائصه وتفاصيله ، كما سوف نتبين ذلك إن شاء الله .

أعمال شهر رمضان

يمكن تقسيم أعمال شهر رمضان إلى صنفين رئيسين ، وسوف نحاول الاقتصار علىٰ عناوينها مع الإشـارة إلى مـضمونها ، ونـترك التفاصيل إلى مراجعة كتب الدعاء والأعمال ومنها مفاتيح الجنان .

الصنف الأول: الأعمال العامة .

الصنف الثاني: الأعمال المختصة بليالٍ وأيام معينة .

الصنف الأول : الأعمال العامة

توجد في الصنف الأول عدة أقسام :

القسم الأول : الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام .

القسم الثاني : الأعمال الخاصة بالليالي .

القسم الثالث : الأعمال الخاصة بالاسحار .

القسم الرابع : الأعمال الخاصة بالأيام .

١ ـ الأعمال المشتركة بين الليالي والأيام

أما القسم الأول وهو الأعمال المشتركة فقد ذكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء عدة أمور ، منها :

الأول : الدعاء بعد الفريضة أو في كل وقت ، فقد ذكر العلّامة القمي في مفاتيح الجنان أربعة نصوص للأدعية بعد الفرائض ، ثلاثة منها بعد الفريضة ، والرابع في كل وقت وهو الدعاء المعروف بدعاء الحج[٢] ، وهي أدعية ذات مضامين عالية تشتمل على طلب التوفيق للحج وليلة القدر والعتق من النار ودخول الجنة وتوسعة الرزق . والاهتمام بحل مشاكل المسلمين وتحقيق مصالحهم[٣] .

وقد روى الكليني والصدوق بسند معتبر دعاءً آخر فيه تفصيل[٤] .

الثاني : قراءة القرآن وتلاوته والإكثار من ذلك والتدبر فيه ، فقد ورد في بعض الروايات أن الانسان يحسن به أن يختم القرآن في الشهر مرة في سائر الشهور والأيام ، وأما في شهر رمضان فالأفضل أن يختمه مرة واحدة في كل ثلاثة أيام[٥] . وقد ورد في الكافي بطريق معتبر عن أبي الحسن موسى عليه السلام استحباب ختمه في كل يوم وليلة مرة أو أكثر ، وذكر الثواب الجزيل في إهداء الختمة إلى رسول الله والأئمة عليهم السلام من بعده ، إذ يكون جزاؤه هو أن يحشر معهم في يوم القيامة[٦] .

الثالث : الذكر كالاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير ، فقد روي

(٢) جامع احاديث الشيعة ٩: ٧٤، عن الكافي ومصباح الكفعمي .

(٣) مفاتيح الجنان:١٧٦ ـ ١٧٧.

(٤) جامع احاديث الشيعة ٩ : ٧١، ح ١٦٣.

(٥) م . ن : ١٣، ح ٢٦، عن أصول الكافي.

(٦) م . ن : ١٧٨ .

أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان إذا دخل شهر رمضان لا يتكلم إلّا بالدعاء والتسبيح والاستغفار والتكبير[٧].

الرابع: الصلاة حيث أعدّ في هذا الشهر منهاج للنوافل في الليالي والأيام يحسن بالانسان أداؤه قدر الإمكان.

٢ ـ الأعمال الخاصة بالليالي

وأما القسم الثاني وهو الأعمال الخاصة بالليالي فقد ذكر أصحاب كتب الأعمال والدعاء أموراً:

الأول: الإفطار وهو تناول الطعام، والشراب، ويستحب تأخيره عن صلاة العشاء، وله مستحبات مثل الإفطار على التمر أو الرطب أو الحلواء، كما أنه يستحب الدعاء عنده مثل قوله: «اللّهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت» أو غيره من الأدعية.

وكذلك أن يقول عند أول لقمه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم يا واسع المغفرة اغفر لي»، فإن في مثل هذه الأعمال أجراً عظيماً كالمغفرة، أو أجر صيام من صام في ذلك اليوم.

وكذلك قراءة سورة القدر عند الإفطار[٨].

الثاني: الصدقة عند الإفطار ولا سيما بما يفطّر به الصائمين ولو بعدد من التمر أو شربة من الماء حسب القدرة والاستطاعة واليسر. ولهذا العمل أجر عظيم حيث يكون له أجر ذلك الصائم دون نقصان أجره وأجر ما عمله من خير بقوة ذلك الطعام، أو أجر عتق ثلاثين رقبة وتكون دعوته مستجابة[٩].

الثالث: قراءة سورة معينة من القرآن مثل القدر ألف مرة أو الدخان مئة مرة كل ليلة إن تيسر ذلك[١٠].

الرابع: الدعاء، وأهم صيغه المعروفة هو دعاء الافتتاح الذي يحتوي على مضامين عالية وعلى صلاة على النبي وآله وعلى دعاء خاص للإمام الحجة المهدي المنتظر.

(٧) م. ن: ١٧٨. ولا شك أن المقصود من هذه النصوص هو الاشارة إلى الحالة العامة للإمام عليه السلام، ما لم يزاحم هذا العمل عملاً آخر أفضل أو قضاء الحاجات الضرورية العادية للانسان.

(٨) مفاتيح الجنان: ١٧٨.

(٩) م. ن: ١٧٨.

(١٠) م. ن: ١٧٩، ولعل قراءة القدر تعادل الأذكار في شهر رمضان، أو تعوض عن قراءة القرآن المطلوبة لمن لا يتيسر له ذلك. واللّه هو العالم.

وقد ذكر العلّامة القمي صيغاً ثلاثة أخرىٰ من الدعاء لكل ليلة[١١].

الخامس: الصلاة، حيث يستحب له أن يصلي ألف ركعة في جميع ليالي شهر رمضان يقسمها علىٰ لياليه، وتسمىٰ بنوافل شهر رمضان، وتوجد في تقسيمها صيغ عديدة اختار العلّامة القمي منها هذه الصيغة التي اختارها قبله الشيخ المفيدﷺ، ونسبها أيضاً إلى المشهور، وهي أن يُصلىٰ عشرون ركعة في كل ليلة من الليالي العشر الأولىٰ والثانية، يسلّم بعد كل ركعتين ويؤتىٰ بثمانية ركعات منها بعد صلاة المغرب والباقي بعد صلاة العشاء، ويؤتىٰ بثلاثين ركعة علىٰ النحو السابق في كل ليلة من الليالي العشر الأواخر فيكون المجموع سبعمئة ركعة، ويأتي في كل من الليلة التاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين بمئة ركعة، فيكون المجموع ألفاً من الركعات.

كما يستحب أن يأتي في كل ليلة بصلاة ركعتين بالحمد مرة والتوحيد ثلاث مرات ثم يقول بعد السلام: «سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو» ثم يأتي بالتسبيحات الأربع سبع مرات ثم يقول: «سبحانك سبحانك سبحانك. يا عظيم اغفر لي الذنب العظيم» ثم يصلي علىٰ النبي وآله عشر مرات.

فقد ذكر الكفعمي في هامش كتابه البلد الأمين أنه من اتىٰ بهذه الصلاة غفر الله له سبعين ألف سيئة[١٢].

٣ـ الأعمال الخاصة بالأسحار

وأما القسم الثالث وهو الأعمال الخاصة بالأسحار من الليالي، فقد ذكر الشيخ الطوسي وغيره من أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور:

الأول: تناول السحور ولو شيئاً قليلاً من الطعام أو الشراب،

(١١) م. ن: ١٧٩ ـ ١٨٣.

(١٢) م. ن: ١٨٣ ـ ١٨٤.

وأفضله السويق والتمر ، وله آداب منها قراءة سورة القدر عنده .

الثاني: الدعاء والمناجاة لله تعالىٰ ، وهما أهم أعمال هذا الوقت ، وقد ذكرت مجموعة من الأدعية المهمة يأتي في مقدمتها دعاء (البهاء) الذي يشتمل علىٰ الدعاء بتمجيد الله تعالىٰ والتوسل به بصفاته ، وهو دعاء مروي عن الإمام الرضا عليه السلام حيث ذكر أنه دعاء جده الإمام الباقر عليه السلام . وقد ورد بشأنه أنه يستجاب في قضاء الحاجات .

وكذلك الدعاء الرائع العظيم الفريد الذي رواه أبو حمزة الثمالي والمعروف باسمه ، والذي قال فيه إن الإمام زين العابدين كان يصلي عامة الليل في شهر رمضان ، فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء : «**الهي لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكر بي في حيلتك**» إلى آخر الدعاء ، وهو من الأدعية الطويلة المتينة القوية في بيانها وإنشائها ، والعالية في مضامينها والمتنوعة في أساليبها والمتعددة في فصولها . وله دور عظيم في التربية والبناء الروحي وفي تقوية العلاقة بالله تعالىٰ وتعليم مناجاته والثناء عليه وتمجيده .

ويمثل هذا الدعاء وما يقاربه أو يشابهه امتيازاً لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وتأكيداً لعلمهم وإمامتهم ودورهم في الحياة الإسلامية ، وتوضيحاً لمنهجهم في بناء الجماعة الصالحة والأهداف السامية لهذا البناء ، ومنها إيجاد هذه الجماعة المتكاملة في جانبها الروحي والمعنوي .

وبالإضافة إلى هذين الدعاءين وردت أدعية أخرىٰ يمكن الاطلاع عليها من خلال مراجعة مفاتيح الجنان[١٣] .

٤ ـ الأعمال الخاصة بالأيام

وأما القسم الرابع وهو الأعمال الخاصة بأيام شهر رمضان ، فقد ذكر أصحاب كتب الدعاء والأعمال عدة أمور أيضاً :

(١٣) م.ن: ١٨٤ ـ ٢٠٢، وفي الليل أو في السحر أو ما بعد السحور يجب علىٰ الصائم أن ينوي صوم غد من أيام شهر رمضان.

الأول : الدعاء ، حيث وردت مجموعة من نصوص وصيغ دُعـائية في أيام شهر رمضان ، أهمها ما ذكره الشيخ الطوسي في المـصباح والسيد ابن طاووس الذي أوله : «**اللّهم هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن**»(١٤).

(١٤) م . ن : ٢٠٢ .

وكذلك ذكر دعاءً آخر تشبه مقدمته دعاء البهاء ، ويتضمن بـعد ذلك الصلاة علىٰ النبيﷺ وعلىٰ أهل بـيته والأنـبياء والمـلائكة ، ثـم الدعاء لرسول اللّهﷺ والثناء عليه(١٥).

(١٥) م . ن : ٢١٣ ـ ٢١٤ .

الثاني : الذكر للّه تعالىٰ وتمجيده وتعداد أسمائه ، وقد ذكر نـصاً يشتمل علىٰ عشر فقرات من التسبيحات في كل فقرة عشر تسبيحات تتناول شرح سمع اللّه وبصره وخلقه وعلمه وملكه وغير ذلك(١٦).

(١٦) م . ن : ٢٠٧ .

الثالث : الصلاة والسلام علىٰ النبي وآله ، وقد ذكر كل من الشـيخ الطوسي والسيد ابن طاووس نصاً رائعاً في الصلاة والسلام والثـناء والمدح لرسول اللّه وآله المعصومينعليهم السلام ، يبدأ بـقوله تـعالىٰ :« ﴿**إن اللّه وملائكته يصلّون علىٰ النبي يا أيها الذيـن آمـنوا صـلوا عـليه وسـلّموا تسليماً﴾ لبيك يا رب العالمين ...** »(١٧).

(١٧) م . ن : ٢١٠ .

الصنف الثاني : الأعمال المختصة بليالٍ وأيام معينة

وينقسم الصنف الثاني إلى عدة أقسام أيضاً :

القسم الأول : أعمال الليلة الاولىٰ ويومها .

القسم الثاني : الأعمال الخاصة بالليالي البيض .

القسم الثالث : أعمال ليالي القدر .

القسم الرابع : أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع .

القسم الخامس : أعمال الأيام والليالي المخصوصة .

١ ـ أعمال الليلة الأولىٰ ويومها

لقـد أعـار الاسـلام وأهـل البيت الكـرامعليهم السلام الليلة الأولىٰ لشـهر رمضان عناية خاصة ، وكذلك الحال في اليوم الأول . ويـتجسد ذلك

في عدة أمور :

الأول: استهلال الشهر واستقباله ، حيث نجد الروايات متظافرة على أن النبيﷺ وأهل بيته كانوا يعيرون الاستهلال أهمية خاصة ، حتى أصبح من المستحبات المؤكدة[١٨] ، وله دعاء جاءت له صيغ متعددة مروية عن رسول اللّهﷺ وعن أهل بيته الأئمة المعصومينعليهم السلام[١٩] ، ولعل من أروع هذه الصيغ الدعاء الثالث والأربعين من الصحيفة السجادية .

الثاني: الغسل والطهور لا سيما في النهر الجاري وصب الماء على الرأس ثلاثين كفاً .

الثالث: زيارة الإمام الحسينعليه السلام .

الرابع: الصلاة حيث يبدأ بنوافل رمضان ويضيف إليها صلاة ركعتين يقرأ فيها الحمد مرة والإنعام مرة ، ويسأل اللّه أن يقيه المخاوف والأسقام .

الخامس: الدعاء ، وقد ذكرت عدة صيغ للأدعية الشريفة في هذه الليلة المباركة ، ومنها دعاء الإمام الجوادعليه السلام الذي يرويه عنه ابن طاووس : «**اللّهم يا من عليك التدبير وهو على كل شيء قدير ...**» ، وكذلك دعاء الليلة الأخيرة من شعبان .

وقد ذكر دعاء الجوشن الكبير ودعاء الحج من أدعية هذه الليلة أيضاً .

ويشترك اليوم الأول من حيث النوع في مجمل هذه الأعمال باستثناء الاستهلال وزيارة الإمام الحسينعليه السلام ، وإن كانت صيغ الصلاة والدعاء مختلفة .

وقد روى الكليني والشيخ الطوسي وغيرهما ـ على ما نقل عنهما العلّامة المجلسي ـ بسند صحيح عن الإمام موسى الكاظمعليه السلام دعاءً خاصاً باليوم الأول من هذا الشهر ، يبدأ بقوله : «**اللّهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء ...**»[٢٠] .

(١٨) وقد ذكر العلّامة القمي أن بعض العلماء أوجبه.

(١٩) مفاتيح الجنان: ٢١٥.

(٢٠) م.ن: ٢١٧ ـ ٢٢١، وقد ذكر في دعاء الإمام الكاظمعليه السلام قال : «ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان في أول السنة» وقد فهم العلماء من ذلك اليوم الأول أو الليلة الأولى منه.

٢ ـ الأعمال الخاصة بالليالي البيض

تشترك الليالي البيض ومنها الليلة الخامسة عشرة للاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان بصلاة خاصة ذكرناها في أعمال شهر رجب .

ولكن بالإضافة إلى ذلك ذكر الغسل وبعض الصلوات الأخرىٰ في الليالي البيض لشهر رمضان ، واختصت الليلة الخامسة عشرة بعدة أعمال :

أ ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام .

ب ـ الصلاة حيث ذكرت لها صيغتان : إحداهما : عشر ركعات عند قبر الإمام الحسين عليه السلام من بعد العشاء غير صلاة الليل ، يقرأ في كل منهما الفاتحة مرة والتوحيد عشر مرات . وثانيهما : صلاة مئة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة التوحيد عشر مرات[٢١] .

(٢١) م . ن : ٢٢٣ .

٣ ـ أعمال ليالي القدر

لقد تقدم الحديث عن أعمال ليالي القدر الثلاث العامة والخاصة كل واحدة منها ، وكذلك الحديث عن أهمية ليلة القدر ، وذلك في بحث الليالي والأيام من نظام الشعائر .

٤ ـ أعمال العشر الأواخر من شهر رمضان والوداع

اختصت العشر الأواخر من شهر رمضان بأهمية خاصة كما أشرنا سابقاً ، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وآله يطوي فراشه ويشد مئزره للعبادة فيها . ويمثل العمل فيها تصعيداً لحركة العبادة في شهر رمضان ، لا سيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار وجود الاحتمال الأقوىٰ في وقوع ليلة القدر فيها .

وقد ورد لهذه الليالي بعض الأعمال والأدعية الخاصة .

فعلىٰ مستوىٰ الأدعية وردت أدعية خاصة بكل ليلة من هذه

الليالي ، كما وردت بعض نصوص الأدعية لكل هذه الليالي العشرة ، ومنها دعاء : « **اللّهم إنك قلت في كتابك المنزل شهر رمضان ...**» .

كما ورد الغسل في الليلة السابعة والعشرين ، والدعاء من أول الليل إلى آخره بما روي عن الإمام زين العابدين : « **اللّهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت** » .

وقد ورد في الليلة الأخيرة واليوم الأخير مجموعة خاصة من الأعمال تعبر عن وداع هذا الشهر الشريف ، ومنها :

أ ـ الغسل في الليلة الأخيرة .

ب ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام .

جـ ـ قراءة سورة الأنعام والكهف ويس .

د ـ الاستغفار مئة مرة .

هـ ـ نصوص من الأدعية ، ولعل أحسنها الدعاء الخامس والأبعون من الصحيفة السجادية ، وأن يقول ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام : «**اللّهم لا تجعله آخر العهد من صيامي لشهر رمضان ، وأعوذ بك أن يطلع فجر هذه الليلة إلّا وقد غفرت لي**» حيث يغفر اللّه له إن شاء اللّه[٢٢] .

(٢٢) م . ن : ٢٣٦ .

ومنها الصلاة التي رواها الكفعمي وابن طاووس عن النبي صلى الله عليه وآله ، وهي عشر ركعات يقرأ في كل منها الفاتحة مرة واحدة والتوحيد عشر مرات ، ويقول في ركوعه وسجوده عشر مرات التسبيحات الأربع ويتشهد ويسلم في كل ركعتين ، ثم بعد الفراغ يستغفر اللّه ألف مرة ويسجد ويقول : «**يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا أرحم الراحمين يا إله الأولين والآخرين اغفر لنا ذنوبنا وتقبل منا صلواتنا وصيامنا وقيامنا**» .

(٢٣) م . ن : ٢٣٧ .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه لا يقوم من سجوده حتى يغفر اللّه له[٢٣] .

٥ ـ أعمال الأيام والليالي المخصوصة

فقد ذكر العلّامة القمي عن المجلسي﵀ في زاد المعاد صلوات خاصة بكل ليلة من ليالي شهر رمضان ، وكذلك أدعية خاصة بكل يوم من أيامه يمكن مراجعة تفاصيلها في المفاتيح[٢٤] .

(٢٤) م . ن : ٢٣٨ ـ ٢٤٢، وتأمل في ملاحظة العلّامة القمي على الأدعية في الصفحة ٢٤٢.

ملاحظة : يبدو من خلال هذا الاستعراض واضحاً ما ذكرناه في البداية من أن هذا الشهر الشريف يمتاز عن بقية الشهور بهذا المنهج العبادي الواسع ، والمتنوع ، والذي أريد فيه للانسان الصالح أن يتكامل روحياً ومعنوياً ، وللجماعة الصالحة أن تحقق الهدف من وجودها ، وهو عبادة الله تعالىٰ علىٰ الأرض ، وتصبح مؤهلة ومعدة إعداداً كاملاً لاتخاذ القرارات المصيرية بشأنها في ليالي القدر ، وليلة العيد التي هي ليلة الوفاء بالأجر كما جاء ذلك في الرواية الشريفة عن أهل البيت﵈ .

منهج عبادة الحج والعشر الأوائل من ذي الحجة

تعتبر عبادة الحج من اهم العبادات الاسلامية . وتذكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الأهمية والأفضلية ، وأنه أحد الجهادين . فقد روي الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيىٰ الكاهلي قال : «سمعت أبا عبد الله يقول ويذكر الحج فقال : قال رسول الله ﷺ : **هو أحد الجهادين ، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء . أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلّا الصلاة ، وفي الحج ههنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج**»[٢٥] .

(٢٥) وسائل الشيعة ٨: ٧٧، ح٢، عن فروع الكافي.

كما أن الحج عماد الدين وقوام وجوده ، فقد ورد في الحديث : «**لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة**»[٢٦] .

(٢٦) م . ن : ١٤، ح ٥ ، عن فروع الكافي. والحديث معتبر السند.

ولهذه العبادة جذر تاريخي يمتد إلى ما قبل وجود آدم علىٰ الأرض ، وإن كانت الدعوة إلى الحج فرضاً واجباً علىٰ الناس جميعاً قد بدأت من إبراهيم﵇ .

فقد روىٰ الكليني بسند معتبر عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال : «لما أفاض آدم من منىٰ تلقّته الملائكة فقالت : يا آدم ، بر حجك . أمّا أنّا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجه بألفي عام»(٢٧) .

(٢٧) م . ن : ٥ ، ح ٦ ، عن فروع الكافي.

كما روى أيضاً بسند معتبر عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال : «لما أُمر إبراهيم وإسماعيلعليهما السلام ببناء البيت وتم بناؤه ، قعد إبراهيم علىٰ ركن ثم نادىٰ : هلمّ الحجّ ، فلو نادىٰ هلمّوا إلى الحج لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيّا مخلوقاً ، ولكنه نادىٰ : هلم الحجّ ، فلبّ الناس في أصلاب الرجال : لبيك داعي اللّه عزوجل لبيك داعي اللّه ، فمن لبّىٰ عشراً يحجّ عشراً ، ومن لبّى خمساً يحجّ خمساً ، ومن لبّى أكثر من ذلك فبعدد ذلك ، ومن لبّىٰ واحداً حجّ واحداً ، ومن لم يلبّ لم يحجّ»(٢٨) .

(٢٨) م . ن : ٥ ، ح ٩ .

ويجب الحج في العمر مرة واحدة علىٰ الانسان البالغ المستطيع الذي يملك مصارف السفر ونفقاته ، ويرجع إلى أهله مع وجود ما يكفيهم دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب في حياته المعيشية أو حرج في أوضاعه الشخصية . ولكن في نفس الوقت يستحب للانسان استحباباً مؤكداً تكراره ، فهو أفضل من كثير من العبادات(٢٩) .

(٢٩) فقد ورد أن الحج أفضل من العتق والصدقة والجهاد ـ كما سوف نشير ـ وأنه يستحب تقديمه علىٰ حوائج الدنيا، إلى غير ذلك من التفاصيل التي تعطي للحج بنظر أهل البيت قيمة عالية وخصوصية مميزة. راجع جامع أحاديث الشيعة ١٠: ١٤٩ ـ ٢١٦، أبواب فضائل الحج.

ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج ، ويجب علىٰ ولي أمر المسلمين الزام المسلمين أن يقوموا بأداء هذا الواجب والاتفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي .

وهناك تفاصيل كثيرة ترتبط بهذا الموضوع تناولها الفقهاء في كتاب الحج والرسائل العملية الخاصة به المسماة (مناسك الحج) .

ويكاد أن يتفق المسلمون علىٰ انواع الحج الثلاثة وتفاصيل اعماله الاساسية ، وهذا من البركات الالهية بالأمة الاسلامية ويعبر عن وحدتها .

فأقسام الحج ثلاثة :

١ ـ التمتع ، وهو أفضلها واهمها ، وهو واجب علىٰ الافراد الذين

يسكنون في مناطق تبعد عن مكة أكثر من تسعين كيلو متراً تقريباً ، وهم من يعبر عنهم القرآن الكريم : ﴿ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام﴾ ، ويصطلح عليهم الفقهاء بأهل الآفاق .

٢ ـ الإفراد ، وهو أن يحرم بالحج أولاً من الميقات أو من منزله ثم يأتي بعمرة مفردة بعده ، ويجب على الافراد الذين يكونون قريبين من مكة من حاضري المسجد الحرام ، ويتميز عن حج التمتع بالاضافة إلى موضوع الاحرام بالحج أنه لا هدي ولا أضحية فيه .

٣ ـ القِران ، وهو كحج الإفراد ولكن يقرن فيه الحاج احرامه بوضع شعار على هديه الذي يسوقه معه منذ بداية الاحرام حتى يذبحه في منى يوم العيد .

وخلاصة حج التمتع هي أن يحرم الحاج بعمرة التمتع من أحد المواقيت الخمسة التي وضعها رسول اللّه لأهل الآفاق ، وهي ذو الحليفة لأهل المدينة ومن يمر عليها ، والجحفة لأهل الشام ومن يمر عليها ، ويلملم لأهل اليمن ومن يمر في طريقهم ، وقرن المنازل لأهل نجد ومن يمر في طريقهم ، ووادي العقيق لأهل العراق ومن يمر في طريقهم .

والاحرام هو أن يتجرد الانسان من ملابسه العادية ويلبس ثوبي الاحرام الذين يكونان على شكل رداء وازار غير مخيطين ، ويلبي بالعمرة فيقول : لبيك اللّهم لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحج والعمرة لك لا شريك لك . ويمتنع بعد ذلك عن مجموعة من المحللات والمحرمات ، ومنها النساء والطيب واللباس وتغطية الرأس والفسوق والجدال والصيد الخ .

ثم يأتي مكة فيطوف بالكعبة الشريفة سبعة اشواط مبتدئاً بالركن الذي يقع فيه الحجر الأسود ، ويختم به ثم يصلي ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم .

ثم يأتي إلى الصفا فيبدأ بالسعي منها إلى المروة ، وهما جبلان صغيران يمشي بينهما سبع مرات ، أربع مرات من الصفا إلى المروة وثلاث مرات من المروة إلى الصفا حيث يختم السعي بالمروة .

ثم يقصّر بأن يأخذ شيئاً من شعره أو اظافره .

وبعد التقصير يحل من احرامه ويرجع إلى حاله الطبيعي ، ويبقىٰ ينتظر وقت الحج حيث يحسن به أن يحرم مرة اخرىٰ بالحج من مكة المكرمة يوم الثامن من ذي الحجة ، ويخرج إلى عرفات ليمكث فيها من زوال الشمس إلى غروبها يوم التاسع من ذي الحجة ، وهو المسمىٰ بالوقوف في عرفات .

وبعد غروب الشمس ينفر ويتحرك إلى المشعر الحرام ليبقىٰ فيه إلى طلوع الشمس ، وفي اليوم العاشر يأتي إلى منىٰ ليرمي جمرة العقبة بسبع حصيات صغار يلتقطها من الحرم ومنه المشعر ، ثم يذبح هديه من الغنم أو البقر أو الجمال ، ثم يحلق رأسه أو يقصّر فيتحلل من احرامه عدا الطيب والنساء .

ثم يأتي البيت الحرام مرة اخرىٰ ليطوف حول الكعبة سبعة اشواط ويصلي عند مقام إبراهيم ، ويسعىٰ بين الصفا والمروة كذلك سبعة اشواط فيحل له الطيب .

وعليه أن يأتي بطواف آخر لتحل له النساء ، وهو ما يسمىٰ في مصطلحات فقه أهل البيت عليهم السلام بطواف النساء ، وفي فقه الجمهور بطواف الوداع .

كما علىٰ الحاج أن يبيت في منىٰ ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة من أول الليل إلى منتصفه ، أو من منتصفه إلى آخره علىٰ الأقل . وإن كان يستحب له ـ بل يجب عليه في بعض الحالات ـ أن يبيت الليلة الثالثة عشرة .

وعليه أيضاً أن يرمي الجمرات الثلاث الأولىٰ (الصغرىٰ) والثانية

(الوسطىٰ) والثالثة (العقبة) التي رماها يوم العيد بسبع حصيات لكل منها ، وذلك يوم الحادي عشر والثاني عشر ، وكذلك الثالث عشر لمن بات ليلته في منىٰ .

هذه هي خلاصة صورة حج التمتع وواجباته في نظر فقه أهل البيت عليهم السلام ، وهناك تفاصيل وآداب ومستحبات وفروض يتعرض لها الحاج لا مجال لذكرها .

وتكاد أن تكون هذه الصورة مطابقة تماماً لما يذهب إليه بقية مذاهب المسلمين ، باستثناء بعض التفاصيل القليلة جداً أو الخيارات أو التقديم والتأخير في الآثار والمترتبات أو الشروع في الاعمال .

ويمكن أن نشير هنا إلى بعض الميزات التي تتميز بها هذه العبادة عن غيرها من العبادات الأخرىٰ ، ونذكر منها ثلاثاً :

الأولى: أن هذه العبادة ـ كما أشرنا ـ تشتمل علىٰ عدة انواع من العبادات كالصلاة والصوم والجهاد والزكاة ، فالطواف بالبيت صلاة بالاضافة إلى وجود صلاة الطواف ، والاحرام مع محرماته نوع من الصوم والامساك عن الطيبات والشهوات ، والانفاق والهدي نوع من الزكاة ، والمشقة والسفر والاعمال المضنية نوع من الجهاد ، بالاضافة إلى العبادات الأخرىٰ كالوقوف والرمي والحلق فإنها ذات طبيعة مميزة لا ينظر لها في العبادات الأخرىٰ .

الثانية : الممارسة الجماعية الواسعة لهذه العبادة ، حيث يأتي المسلمون الحجاج من طبقات الأمة كلها ، ومن كل فج عميق ، ليؤدّوا هذه الفريضة في ايام معلومات بشكل جماعي ، ويلبوا فيها النداء الالهي الذي اطلقه إبراهيم عليه السلام ، يتحركون به علىٰ صعيد واحد وبشكل واحد يعبر عن المساواة الحقيقية بين بني البشر ، ويحقق الوحدة الكاملة للأمة بشكل عملي .

الثالثة : تنوع الاهداف المنشودة من هذه العبادة ، سواء علىٰ

مستوىٰ الفرد أو الجماعة ، أو في جانبها المادي والروحي ، أو في ابعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والاخلاقية .

وشرح ذلك ـ وإن كان يحتاج إلى حديث واسع ـ يحسن بنا أن نشير فيه إلى بعض نصوص أهل البيت عليهم السلام التي تناولت بعض الابعاد الروحية والمادية ، وكذلك الاهداف المقدسة التي استهدفتها هذه العبادة الشريفة .

«وفرض عليكم حج بيته الحرام ، الذي جعله قبلة للأنام . يردونه ورود الانعام ، ويألهون إليه ولوه الحمام ، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته ، وإذعانهم لعزته . واختار من خلقه سماعاً اجابوا إليه دعوته ، وصدَّقوا كلمته ، ووقفوا مواقف انبيائه ، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه . يحرزون الارباح في متجر عبادته ، ويتبادرون عنده موعد مغفرته . جعله سبحانه وتعالىٰ للاسلام علماً ، وللعائذين حرماً . فرض حقه واوجب حجه ، وكتب عليكم وفادته ، فقال سبحانه : ﴿ولله علىٰ الناس حِجُّ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً ومن كفر فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين﴾»[٣٠].

(٣٠) نهج البلاغة، خ ١ .

وقد روىٰ الصدوق ، عن الفضل بن شاذان (في حديث العلل التي سمعها من الرضا عليه السلام) قال : «فإن قال فلم امر الحج ؟ قيل : لعلة الوفادة إلى الله عزوجل وطلب الزيادة ، والخروج من كل ما اقترف العبد تائباً مما مضىٰ مستأنفاً لما يستقبل ، مع ما فيه من اخراج الاموال وتعب الابدان والاشتغال عن الأهل والولد وحظر الانفس عن اللذات ، شاخصاً في الحر والبرد ثابتاً ذلك عليه دائماً ، مع الخضوع والاستكانة والتذلل ، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع وذلك لطلب الرغبة إلى الله والرهبة منه وترك قساوة القلب وخسارة الانفس ونسيان الذكر ، وانقطاع الرجاء والامل وتجديد الحقوق وحظر الانفس لجميع من في شرق الارض وغربها ، ومن في البر والبحر ممن يحج وممن لم يحج من بين تاجر وجالب وبايع ومشترٍ وكاسب ومسكين ومكارٍ وفقير ، وقضاء حوائج أهل الاطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه

من التفقّه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية كما قال الله عزوجل : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين وليـنذروا قـومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وليشهدوا منافع لهم﴾ فإن قال : فلم امروا بحجة واحدة لا أكثر من ذلك ، قيل : لأن الله عزوجل وضع الفرائض على ادنى القوم مرة ، كما قال عزوجل : ﴿فما استيسر من الهدي﴾ يعني شاة ليسـع القـوي والضعيف ، وكذلك سائر الفرائض إنما وضعت على ادنى القوم قوة فكان من تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ، ثم رغب بعد اهل القوة بقدر طاقتهم»[٣١].

وروى الصدوق أيضاً عن محمد بن سنان أن ابا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله أن علة الحج «الوفادة إلى الله عزوجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف ، وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل ، وما فيه من استخراج الاموال وتـعب الابدان وحظرها عن الشهوات واللذات ، والتقرب في الوفادة إلى الله عزوجل والخضوع والاستكانة والذل ، شاخصاً في الحر والبرد والأمن والخوف دائباً في ذلك دائماً .

وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع والرغبة والرهبة إلى الله عزوجل ، ومنه ترك قساوة القلب وخساسة الانـفس ونسـيان الذكـر وانـقطاع الرجـاء والأمل ، وتجديد الحقوق وحظر الانفس عن الفساد ومنفعة من فـي المشـرق والمغرب ومن في البر والبحر وممن يحج وممن لا يحج ، مـن تـاجر وجـالب وبايع ومشترٍ وكاتب ومسكين ، وقضاء حوائج اهـل الاطـراف والمـواضـع الممكن لهم الاجتماع فيها . كذلك ليشهدوا منافع لهم . وعلة فرض الحـج مـرة واحدة لأن الله تعالى وضع الفرائض على ادنى القوم قوة فمن تلك الفرائض الحج المفروض واحداً ثم رغب اهل القوة على قدر طاقتهم »[٣٢] .

(٣١) جامع احاديث الشيعة ٢٢٦:١٠.

(٣٢) م . ن : ٢٢٧ .

شبهة ورد

سماحة الشيخ
محمد النيل
(السودان)

● **معنى الشيعة في اللغة**

قال ابن منظور: «الشيعة: القوم الذين يجتمعون على أمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة».

وقال الزجاج: «الشيعة: أتباع الرجل وأنصاره».

وقال الازهري: «الشيعة: قوم يَهْوَوْنَ هوى عترة النبي ﷺ ويوالونهم».

وقل غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة، عرف أنه منهم، وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة.

هذا ما جاء في لسان العرب ٨: ١٨٨ و ١٨٩ (مادة شيع).

وفي قاموس المعجم الوسيط: «الشيعة: الفرقة والجماعة ... والأتباع والأنصار ... ويقال: هم شيعة فلان، وشيعة كذا من الآراء، وفرقة كبيرة من ا لمسلمين اجتمعوا على حب علي وآله وأحقيتهم بالإمامة».

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة شيعة بمعنى الأتباع والأنصار، فقال: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾.

كيف نشأ التشيع

هناك آراء وتفسيرات حول نشوء التشيع :

الرأي الأول : يرجع ظاهرة التشيع إلى جذور خارجية ، وأصحاب هذا الاتجاه ينحون منحيين مختلفين :

المنحىٰ الأول يحاول نسب الظاهرة إلى أصل يهودي .

ومن المؤرخين والباحثين الذين تبنوا هذا المنحى الطبري في تاريخه ، ومحمد فريد وجدي في دائرة المعارف .

قال الطبري في تاريخة : «عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ... ثم قال لهم : لكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ومحمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الاوصياء» .

وقال محمد فريد وجدي في دائرة المعارف : «كان ابن السوداء (عبد الله ابن سبأ) في الأصل يهودياً من الحيرة فأظهر الاسلام ، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوقاً ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً ، وأن علياً وصي محمد» .

الملاحظات العابرة أمام هذا الرأي

ملاحظاتنا العابرة والعاجلة علىٰ هذا المنحى في الآتي :

أولاً : المصدر التاريخي الأول الذي دون قضية عبد الله بن سبأ هو الطبري ، ومنه استقت بقية المصادر الأخرىٰ القديمة والحديثة .

ثانياً : الأساس الوحيد الذي اعتمده الطبري في تدوين هذه القضية هو روايات سيف بن عمر .

ثالثا : إذا استطاع البحث العلمي أن يسقط وثاقة سيف بن عمر

على مستوى الرواية ، وأن يثبت أسطورية ابن سبأ على مستوى الواقع التاريخي ، فإن هذا المنحى ينهار من أساسه .

وفعلاً دفع هذا الموضوع إلى دراسات علمية تاريخية مستوعبة اكدت الحقيقتين آنفاً ، ولطالب هذا أن يقرأ الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين ، وعبد الله بن سبأ في مجلدين للعلّامة السيد مرتضى العسكري وهوية التشيع للدكتور أحمد الوائلي .

وقد أثبت هؤلاء العلماء أن سيف بن عمر واضع أسطورة عبد الله ابن سبأ رجل كذاب ، وأنه ليس لعبد الله بن سبأ وجود في العالم الخارجي ، فضلاً عن أن يكون منشأ لمذهب آل البيت عليهم السلام .

ولابد من التنبيه على أن إثبات أصالة آراء الشيعة وبنائها على الكتاب والسنة يغنينا عن هذا البحث ، كما أن الطبري نفسه قد ألف في السنوات الأخيرة من عمره ، كتاباً في ولاية علي عليه السلام في خمس وثمانين من طرق حديث الغدير وأسماه كتاب الولاية .

المنحى الثاني يحاول نسب الظاهرة إلى أصل فارسي ، وأن الفرس إنما اختاروا التشيع من مذاهب الاسلام مذهباً لأنفسهم ، كي يحتفظوا تحت ستاره بعقائدهم القديمة . وهذا الاتجاه نجد له صدىً واضحاً في كتابات ودراسات أكثر المستشرقين ، كما نجد له إيماءات من بعض الكتاب المسلمين ، كأبي زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الاسلامية ، وأحمد عطية الله في كتابه القاموس الاسلامي .

الملاحظات العابرة والعاجلة على هذا المنحى

أقول : إنما تحتمل هذه التهمة فيما إذا كان الشيعة ايرانيين فقط ، أو كانت الفرقة الأولى من الشيعة فارسية ، أو كان جميع الذين أسلموا من الفرس أو أكثرهم على الأقل ،وأنهم اختاروا مذهب التشيع من أول الأمر ، بينما نرى أن لا سابقة للفرس في التشيع ، سوى سلمان

الفارسيﷺ ، وأن أكثر الذين أسلموا من الفرس ما اختاروا مـذهب التشيع من أول الأمر ، بل نرىٰ أن أكـثر عـلماء المسـلمين مـنهم فـي التفسير والحديث وعلم الكلام والأدب من السنة لا من الشيعة ، بـل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة ، وأن هـذا الأمـر استمر بهم إلى ما قـبل الصـفوية ، فـإن أكـثر بـلدان ايـران إلى عـهد الصفوية كانوا سنة لا شيعة ، وكان الفرس كسائر المسلمين يسبون أمير المؤمنين عليـاًﷺ علىٰ منابرهم بـتأثير مـن دعـايات الأمـويين . حتى قيل إن بعض مدن ايران قاومت منع عمر بن عـبد العـزيز مـن ذلك، فأصرت علىٰ سب عليﷺ ، ونجد كما أسلفنا أن أكـابر عـلماء السنة إلى ما قبل عهد الدولة الصفوية كانوا من الفرس ، من المفسرين والفـقهاء والمـحدثين والأدبـاء والمـتكلمين واللـغويين والفـلاسفة وغيرهم .

فإن أبا حنيفة الإمـام الأعـظم للسـنة كـان فـارسياً ، والبـخاري صـاحب الصـحيح وأكـبر مـحدثي السـنة فـارسي ، وسـيبويه إمـام النحويين فـارسي ، والجـوهري صـاحب كـتاب الصـحاح فـي اللـغة فارسي ، والفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط في اللغة فارسي ، والزمخشري أكبر وأقدم المفسرين فارسي ، وهكذا الطبري والرازي وغيرهم ، وأبو عبيدة وواصل ابن عطاء فارسيان ، وهؤلاء كلهم من علماء السنة ، وهكذا كان أكثر علماء ايران والفرس سنة ، وأمام هؤلاء نرىٰ عدداً كبيراً من الفقهاء الشيعة حتىٰ القرن السابع الهـجري غـير ايرانيين أو فارسيين ، كابن الجنيد وابن أبي عقيل والشـيخ المـفيد ، والسيد مرتضىٰ علم الهدىٰ والقاضي عـبد العـزيز بـن البـراج وأبـي الصلاح الحلبي ، والسيد أبي المكارم بن زهرة وابـن إدريس الحـلي والمحقق الحلي ، والعلّامة الحلي والشهيد الأول والشهيد الثاني .

نعم إن أكثر الفرس تشيعوا منذ عهد الصفوية فما بعده . ونحن لا

نريد أن نقول : إن التشيع لم يعرف في ايران إلّا في العهد الصفوي ، إذ لا شك أن ايران منذ صدر الاسلام كانت أصلح تربة لبذرة التشيع من المناطق الأخرىٰ .

والحقيقة أن اسلام الفرس يعزى لسبب واحد ، هو أن الفارسي رأى الاسلام منسجماً مع روحه الحية ، ووجد فيه ضالته المنشودة ، ولهذا اشتاق إلى أمة الاسلام أكثر من أي أمة أخرىٰ ، فدخل فيه بل طفق يخدمه أكبر خدمة ممكنة .

إن الباعث الذي شد واجتذب الفارسي إلى الاسلام أكثر من غيره ، لهو المساواة والعدالة التي افتقدهما وحرم منهما منذ قرون ، فكان في انتظارهما أشد الانتظار ورأى أيضاً أن أعدل المسلمين العرب وأدعاهم إلى العدل والمساواة مع سائر المسلمين بدون أية عصبية بل بعاطفة رحيمة ، إنما هم أهل بيت الرسول الكريم ﷺ ؛ إذ كانوا ملاذ العدل ومهده في الاسلام ، ولا سيما للمسلمين من غير العرب .

الرأي الثاني : يؤرخ لولادة التشيع بزمن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، وهو الإمام السادس من ائمة أهل البيت عليهم السلام ، كما يقول علي عبد الرازق في كتابه الاسلام وفلسفة الحكم : «ومنهم من يؤرخ هذه الولادة بزمن الإمام جعفر الصادق ، حين قام فيه تلميذه هشام بن الحكم بدور واضع قواعد التشيع ومهندس بنائه الفكري ، حسب قول الدكتور محمد عمارة ، علىٰ القاعدة الرئيسية التي قام عليها التشيع ، وهي النص على عليّ بالخلافة والوصية إليه بهما ، وهما لم يعرفا إلّا في عهد الإمام الصادق وهشام بن الحكم ».

الرأي الثالث : يعتبر التشيع ظاهرة تمخضت عن الظروف والملابسات التي أنتجتها واقعة كربلاء ، وما أفرزته من تطورات جديدة داخل الساحة الاسلامية .

ويمكن أن نلمس هذا الاتجاه عند الدكتور كامل مصطفىٰ الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع حيث قال : « إن دلالة الاصطلاح (شيعة) علىٰ الكتلة التي ندرسها من المسلمين ، وانصرافه إليهم دون غيرهم ، قد بدأ بحركة التوابين التي ظهرت سنة ٦١ هـ ، وانتهت بالفشل سنة ٦٥ هـ ، وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة» .

الرأي الرابع : ينسب ولادة التشيع إلى أيام خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث توافرت الظروف الملائمة لبروز هذه الحالة .

ونجد عند ابن النديم في الفهرست هذا اللون من التوجه في تفسير الظاهرة الشيعية ، حيث قال : «لما خالف طلحة والزبير علىٰ علي عليه السلام ، وأبيا إلّا الطلب بدم عثمان بن عفان ، وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتىٰ يفيئا إلى أمر الله جل اسمه ، سمىٰ من اتبعه علىٰ ذلك الشيعة ، فكان يقول : شيعتي...» .

وهناك من الباحثين من يفترض أن ولادة التشيع كانت يوم واقعة صفين ، كعبد الله نعمة في كتابه روح التشيع .

الرأي الخامس : يفترض أن ولادة التشيع كانت في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، نتيجة لأحداث وتناقضات برزت في داخل المجتمع الاسلامي ، هيأت جواً ملائماً لنشوء الفرق والأحزاب والانتماءات .

ومن الذاهبين لذلك جماعة من المؤرخين والمتكلمين ، منهم ابن حزم الاندلسي وجماعة آخرون ذكرهم يحيىٰ هاشم في كتابه عوامل وأهداف نشأة علم الكلام بالتفصيل .

الرأي السادس : يؤرخ لولادة التشيع بالمرحلة التاريخية المبكرة التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة ، ونلمس هذا الرأي في كلمات بعض الباحثين والمؤرخين ، ومنهم اليعقوبي في تاريخه حيث قال :

«وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام ، وخالد ابن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي ابن كعب» .

ومنهم الدكتور أحمد أمين في كتابه فجر الاسلام حيث قال : «وكانت البذرة الأولىٰ للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبيﷺ أن أهل البيت أولىٰ الناس بخلافته» .

ومنهم الدكتور محمد علي أبو ريان في كتابه تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام حيث قال : «وكان علي بن أبي طالب يرىٰ في الخلافة حقاً شرعياً له ، فهو ابن عم الرسولﷺ وزوج ابنته فاطمة ، وأول من آمن بالرسالة ، والتف حوله اتباع كانوا يرون الخلافة يجب أن تؤول إلى آل البيت ، وعلىٰ رأسهم علي بن أبي طالب» .

الرؤية الحقيقة حول نشوء التشيع ومراحله

الرأي السابع : وهو الرأي الصائب في نشوء التشيع ، أن التشيع ليس أمراً مستحدثاً ، بل إننا من خلال قراءة المصادر التاريخية ، وكتب الحديث والتفسير واللغة ، نستطيع أن نعرف البدايات الأولىٰ لولادة مصطلح الشيعة .

ففي مناسبات عديدة طرح الرسول الأعظمﷺ هذا المصطلح ، وجذَّره في وعي الأمة ، وأصَّله في ذاكرتها ، وعمَّقه في وجدانها .

وبحجم ما أكدت تصريحات الرسول الأعظمﷺ وخطاباته هذا المصطلح ، فقد تكونت نخبة متميزة من صحابتهﷺ كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وغيرهم ، وهذه النخبة تحمل هوىً وحباً لعلي بن أبي طالبعليه السلام في

أيـام الرسـول الأعـظمﷺ، حـتى أصـبح لفـظ الشـيعة لقـباً لهـؤلاء الصحابة .

ذكر أبو حاتم في كتاب الزينة : «أن أول اسـم لمـذهب ظـهر فـي الاسلام هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة هم أبـو ذر ، وعمار ، والمقداد ، وسلمان الفارسي .

وقال أبو محمد الحسن بـن مـوسىٰ النـوبختي فـي كـتابه الفـرق والمقالات : «الشيعة هم فرقة علي بن أبي طـالب ، المسـمون بشـيعة علي في زمان النبيﷺ وما بعده ، معروفون بانقطاعهم إليه والقـول بإمامته» .

نماذج من النصوص الدالة علىٰ نشوء التشيع فـي أيـام الرسـولﷺ وتحت رعايته

روى بن حجر المكي في الصواعق عن الديلمي أن رسول اللّٰهﷺ قال : «**يا علي ، أنت وشيعتك تردون عليَّ الحـوض رواء مـرويين ، مـبيضة وجوهكم ، وإن عدوك يردون عليَّ الحوض ظماء مقمحين**» .

وقال بعد ما أورد قوله تعالىٰ : ﴿**إن الذين آمنوا وعـملوا الصـالحات أولئك هم خير البرية**﴾ : «أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابـن عباس ، أن هذه الآية لما نزلت ، قالﷺ لعلي : «**هو أنت وشيعتك . تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين**» .

وقال : «وأخرج الدارقطني عن رسـول اللّٰـهﷺ أنـه قـال : «**يـا أبـا الحسن ، أما أنت وشيعتك في الجنة**» .

وقال : «وأخرج أحمد في المناقب أنهﷺ قال لعلي: « **أما ترضى أنك معي في الجنة ، والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجـنا خـلف ذريتنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا**» .

وقال : «وأخرج الطبراني أنهﷺ قال لعلي : «**أول أربعة يدخلون الجنة**

أنا وأنت والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا»[1] .

وروى السيوطي في الدر المنثور عن ابن عساكر بسنده عن جابر ابن عبد الله قال : «كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله : **والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، فنزل قوله تعالىٰ : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** .

وقال : «وأخرج بن عدي عن ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالىٰ : **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾** ، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : **هم أنت وشيعتك»** .

وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال : «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : **ألم تسمع قوله تعالىٰ : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ ؟ هم أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب . تدعون غدا محجّلين»** .

وروى الخطيب البغدادي في كتابه موضح أوهام الجمع والتفريق بسنده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : **«يا أبا الحسن ، أما إنك وشيعتك في الجنة»** .

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها) قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندي ، فقعدت إليه فاطمة عليها السلام ليلة ومعها علي عليه السلام ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه فقال : **أبشر يا علي. أنت وشيعتك في الجنة»** .

وروى في مجمعه أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام : **«أنت معي وشيعتك في الجنة»** .

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .

وروىٰ ابن المغازلي الشافعي في المناقب بسنده عن أنس بن مالك قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب**

(١) راجع الصواعق المحرقة : ٩٦.

عليهم ، ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال : هم من شيعتك وأنت إمامهم» .

رواه الخوارزمي في مناقبه ، وابن حسنويه الموصلي في در بحر المناقب ، والقندوزي الحنفي في الينابيع .

وروى الحموينى الشافعي في فرائد السمطين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : «كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام ، فقال صلى الله عليه وآله : **قد أتاكم أخي . ثم قال صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» .**

وأخرج الحاكم الحسكاني الحنفي في شواهد التنزيل ج ٣ / ص ٣٥٦ ـ ٣٦٦ ، الأحاديث من ١١٣٥ إلى ١١٤٨ ، بالإسناد إلى علي عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **يا علي ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ ؟ هم شيعتك ، وموعدي وموعدك الحوض . يدعون غدا محجّلين» .**

ومن المصادر الأخرى التي ذكرت نزول الآية ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ في علي عليه السلام وشيعته ، وأنهم هم الفائزون يوم القيامة :

١ ـ تفسير الطبري .

٢ ـ روح المعاني للآلوسي .

٣ ـ جواهر العقدين للسمهودي .

٤ ـ تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي .

٥ ـ فتح القدير للشوكاني .

٦ ـ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر.

٧ ـ انساب الاشراف للبلاذري .

٨ ـ نظم درر السمطين للزرندي .

٩ ـ كفاية الطالب للكنجي الشافعي .

١٠ ـ المناقب للخوارزمي .

١١ ـ نور الأبصار للشبلنجي .

١٢ ـ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .

١٣ ـ رشفة الصادي لأبي بكر بن شهاب .

١٤ ـ فرائد السمطين للحموييني .

وهكذا نصل إلى حقيقة كبرىٰ في معرفة جذور التشيع ونشأة المصطلح وميلاده علىٰ عهد رسول اللهﷺ .

إن مشاهير علماء المسلمين من المحدثين والمفسرين واللغويين يوضحون أن الشيعة هم اتباع أهل البيت وأولياؤهم ، وأن الرسول الأكرمﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ ، هو الذي سمى اتباع عليعليه السلام بهذا الاسم .

ومن ذلك نفهم أن الرسولﷺ كان يمهد لتعريف أمته بمستقبل الأحداث والتطورات في حياتها من بعده ، كجزء من البيان والتبليغ ؛ ليحدد من ينبغي لهم أن يهفوا إليه من بعده ، ومن يشايعون ويتبعون.

إن هذه الحقائق العلمية تلغي كل تفسير وتخرّص وتشويه لنشأة التشيع وهويته الحقيقية ، فالبذرة الأولىٰ لنشأة التشيع ، إذن كانت علىٰ عهد رسول اللهﷺ ، غير أنه تطور يوم وفاتهﷺ إلى تكتل سياسي وخط فكري حول الإمام عليعليه السلام ، يستلهم من ذلك البيان النبوي فكره وموقفه ، فسمي هذا التكتل بالشيعة .

ولأجل أن نعرف شيعة علي من الصحابة نأتي بأسماء رواد الشيعة علىٰ وجه الإجمال ، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى ما كتب حولهم من المؤلفات ، وسنأتي بأسماء تلك الكتب في آخر البحث .

روّاد التشيع في عصر النبي

إن الإحالة إلى الكتب المؤلفة في ذلك المضمار لا تخلو من عسر وغموض ، فلأجل ذلك نأتي باسماء جمع من الصحابة الشيعة

المعروفين بالتشيع :

١ ـ عبد الله بن عباس . ٢ ـ الفضل بن العباس . ٣ ـ عبيد الله بن العباس . ٤ ـ قثم بن العباس . ٥ ـ عبد الرحمن بن العباس . ٦ ـ تمام بن العباس . ٧ ـ عقيل بن أبي طالب . ٨ ـ أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب . ٩ ـ نوفل ابن الحرث . ١٠ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ١١ ـ عون ابن جعفر . ١٢ ـ محمد بن جعفر . ١٣ ـ ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب . ١٤ ـ الطفيل بن الحرث . ١٥ ـ المغيرة بن نوفل بن الحارث . ١٦ ـ عبد الله ابن الحرث بن نوفل . ١٧ ـ عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث . ١٨ ـ العباس بن ربيعة بن الحرث . ١٩ ـ العباس ابن عتبة بن أبي لهب . ٢٠ ـ عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث . ٢١ ـ جعفر بن أبي سفيان ابن الحرث .

هؤلاء من مشاهير بني هاشم ، وأما غيرهم فإليك أسماء جمع منهم :

٢٢ ـ سلمان المحمدي . ٢٣ ـ المقداد بن الأسود الكندي . ٢٤ ـ أبو ذر الغفاري . ٢٥ ـ عمار بن ياسر . ٢٦ ـ حذيفة بن اليمان . ٢٧ ـ خزيمة بن ثابت . ٢٨ ـ أبو أيوب الانصاري مضيف النبي . ٢٩ ـ أبو الهيثم مالك بن التيهان . ٣٠ ـ أبي بن كعب . ٣١ ـ سعد بن عبادة . ٣٢ ـ قيس ابن سعد بن عبادة . ٣٣ ـ عدي بن حاتم . ٣٤ ـ عبادة بن الصامت . ٣٥ ـ بلال بن حنيف . ٣٦ ـ أبو رافع مولىٰ رسول الله . ٣٧ ـ هاشم بن عتبة . ٣٨ ـ عثمان بن حنيف . ٣٩ ـ سهل ابن حنيف . ٤٠ ـ حكيم بن جبلة العبدي . ٤١ ـ خالد بن سعيد بن العاص . ٤٢ ـ ابن الحصيب الأسلمي . ٤٣ ـ هند بن أبي هالة التميمي . ٤٤ ـ جابر بن هبيرة . ٤٥ ـ حجر بن عدي الكندي . ٤٦ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي . ٤٧ ـ جابر بن عبد الله الانصاري . ٤٨ ـ محمد ابن الخليفة أبي بكر. ٤٩ ـ أبان بن سعيد بن العاص . ٥٠ ـ زيد بن

صوحان الزيدي .

هؤلاء خمسون صحابياً من الطبقة العليا للشيعة ، فمن أراد التفصيل والوقوف علىٰ حياتهم وتشيعهم فليرجع إلى الكتب المؤلفة في الرجال ، ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة .

وفي الختام نذكر ما ذكره محمد كرد علي في كتابه خطط الشام قال : «عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، مثل سلمان الفارسي القائل : بايعنا رسول اللّه علىٰ النصح للمسلمين ، والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول : أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الأربع ، قال : الصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج . قيل : فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب . قيل له : وإنها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هي مفروضة معهن ، ومثل أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ابن اليمان» .

كيفية نشأة الشيعة في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله

بعد أن عرفنا بداية نشأة الشيعة ، التي سميت أول مرة في زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بشيعة علي أول إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام ، لابد أن ننبه أن ظهور الدعوة الاسلامية وتقدمها وانتشارها خلال ثلاث وعشرين سنة ، زمن البعثة النبوية ، أدت إلى ظهور مثل هذه الطائفة بين صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لدلائل منها :

١ ـ في الأيام الأولىٰ من بعثته صلى الله عليه وآله أُمر أن يدعو عشيرته الأقربين ، فصرح في جمعهم أن أول من يبايعه علىٰ هذا الأمر سيكون خليفته ووصيه من بعده ، فأحجم القوم جميعاً إلّا علياً الذي قام وقال : «أنا يانبي اللّه» ، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله برقبته وقال : «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي

فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» .

وهذا قول الشيعة وجماعة آخرين من أكابر أهل السنة ، منهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام النسائي والطبري ، والسيوطي والثعلبي وأبو نعيم والبغوي واليعقوبي ، وابن كثير وصاحب السيرة الحلبية والمتقي الهندي .

ويستحيل عادة على قائد نهضة في أيامها الأولى أن يعيّن أحد اصحابه وزيراً وخليفة له على الآخرين ، دون أن يكون معروفاً عند الخلّص من اصحابه واعوانه ، أو أن يكتفي بهذا القدر من التعريف دون أن يطلعه على مهمته طوال حياته ودعوته أو أن يجعله بعيداً عن مسؤوليات الوزارة والخلافة ، ولا يفرّق بينه وبين الآخرين .

٢ ـ أن النبي الأكرم ﷺ ـ وفقاً للروايات المستفيضة عن طرق أهل السنة والشيعة ـ صرّح أن علياً عليه السلام مصون من المعصية والخطأ في أقواله وأفعاله، وأن كل ما يقوم به مطابق للدعوة والرسالة ، وأنه أعلم الناس بالعلوم الاسلامية وشريعة السماء .

ومن ذلك قوله : «**علي مع الحق والقرآن ، والحق والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا الحوض**» . نقل هذا الحديث عن خمسة عشر طريقاً من السنة ، وأحد عشر طريقاً من الشيعة ، ورواته هم أم المؤمنين أم سلمة وابن عباس وأبو بكر وأم المؤمنين عائشة ، وعلي وأبو سعيد الخدري وأبو ليلى وأبو أيوب الانصاري .

هذا فضلاً عن روايات مدينة العلم والثقلين واصحاب الكساء وغيرها .

٣ ـ قام الإمام علي عليه السلام بخدمات جمة وتضحيات جليلة للرسالة ، كمنامه في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة ، وبطولاته التي لا مثيل لها في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وغيرها .

٤ ـ حادثة غدير خم التي أعلن فيها النبي ﷺ الولاية العامة

لعلي عليه السلام ، بجعله ولياً للمسلمين له ما كان للرسول عليهم.

ومن الطبيعي أن هذه الخصائص والفضائل التي انفرد بها الإمام علي عليه السلام ، والتي هي موضع اتفاق الجميع ، والعلاقة الخاصة التي كانت بينه وبين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، جعلت له مؤيدين ومحبين مخلصين من صحابة النبي وأنصاره ، كما أثارت لدىٰ خصومه وأبنائهم الحقد والحسد .

القرآن الكريم والسنة الشريفة أساس عقائد الشيعة الإمامية

قال الإمام شيخ الطائفة أبو جعفر محمد الطوسي :

(المسألة ١) معرفة الله واجبة علىٰ كل مكلف ؛ بدليل أنه منعم ، فيجب معرفته .

(المسألة ٢) الله تعالىٰ موجود ؛ بدليل أنه صنع العالم ، وأعطاه الوجود ، وكل من كان كذلك فهو موجود .

(المسألة ٣) الله تعالىٰ واجب الوجود لذاته ؛ بمعنىٰ أنه لا يفتقر في وجوده إلى غيره ، ولا يجوز عليه العدم ؛ بدليل أنه لو كان ممكناً لافتقر إلى صانع ، كافتقار هذا العالم ، وذلك محال علىٰ المنعم المعبود.

(المسألة ٤) الله تعالىٰ قديم أزلي ، بمعنىٰ أن وجوده لم يسبقه العدم ، باق أبدي ، بمعنىٰ أن وجوده لن يلحقه العدم .

(المسألة ٥) الله تعالىٰ قادر مختار ، بمعنىٰ أنه إن شاء يفعل فعل ، وإن شاء أن يترك ترك ؛ بدليل أنه صنع العالم في وقت دون آخر .

(المسألة ٦) الله تعالىٰ قادر علىٰ كل مقدرة ، وعالم بكل معلوم ؛ بدليل أن نسبة جميع المقدورات والمعلومات إلى ذاته المقدسة المنزّهة علىٰ السوية ، فاختصاص قدرته تعالىٰ وعلمه ببعض دون بعض ترجيح بلا مرجح ، وهو محال .

(المسألة ٧) اللّه تعالىٰ عالم ، بمعنىٰ أن الأشياء منكشفة واضحة له، حاضرة عنده غير غائبة عنه ؛ بدليل أنه تعالىٰ فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة .

(المسألة ٨) اللّه تعالىٰ يدرك لا بجارحة ، بل بمعنىٰ أنه يعلم ما يدرك بالحواس ؛ لأنه منزّه عن الجسم ولوازمه ؛ بدليل قوله تعالىٰ : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[٢] ، فمعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿إنه هو السميع البصير﴾[٣] أنه عالم بالمسموعات لا بأذن ، وبالمبصرات لا بعين .

(٢) الأنعام : ١٠٣ .

(٣) الإسراء : ١، غافر : ٥٦.

(المسألة ٩) اللّه تعالىٰ حي ، بمعنىٰ أنه يصح منه أن يقدر ويعلم ؛ بدليل أنه ثبتت له القدرة والعلم ، وكل من ثبت له ذلك فهو حي بالضرورة .

(المسألة ١٠) اللّه تعالىٰ متكلم لا بجارحة ، بل بمعنىٰ أنه أوجد الكلام في جرم من الأجرام ، أو جسم من الأجسام ، لإيصال عظمته إلى الخلق ؛ بدليل قوله تعالىٰ : ﴿وكلّم اللّه موسىٰ تكليماً﴾[٤] ، ولأنه قادر ، فالكلام ممكن .

(٤) النساء : ١٦٤ .

(المسألة ١١) اللّه تعالىٰ صادق ، بمعنىٰ أنه لا يقول إلّا الحق الواقع؛ بدليل أن كل كذب قبيح ، واللّه تعالىٰ منزّه عن القبيح .

(المسألة ١٢) اللّه تعالىٰ مريد ، بمعنىٰ أنه رجّح الفعل إذا علم المصلحة (يعني أنه غير مضطر وأن إرادته غير واقعة تحت إرادة أخرىٰ ، بل هي الإرادة العليا التي إن رأىٰ صلاحاً فعل ، وإن رأىٰ فساداً لم يفعل ، باختيار منه تعالىٰ) ؛ بدليل أنه ترك إيجاد بعض الموجودات في وقت دون وقت ، مع علمه وقدرته ـ علىٰ كل حال ـ بالسوية ، ولأنه نهىٰ ، وهو يدل علىٰ الكراهة .

(المسألة ١٣) أنه تعالىٰ واحد ، بمعنىٰ أنه لا شريك له في الألوهية ؛ بدليل قوله : ﴿قل هو اللّه أحد﴾[٥] ، ولأنه لو كان له شريك لوقع التمانع،

(٥) الإخلاص : ١ .

ففسد النظام ، كما قال تعالىٰ : ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾[٦] .

(٦) الأنبياء : ٢٢ .

(المسألة ١٤) اللّٰه تعالىٰ غير مركب من شيء ؛ بدليل أنه لو كان مركباً لكان مفتقراً إلى الأجزاء ، والمفتقر ممكن .

(المسألة ١٥) اللّٰه تعالىٰ ليس بجسم ، ولا عرض ، ولا جوهر ؛ بدليل أنه لو كان أحد هذه الأشياء لكان ممكناً مفتقراً إلى صانع ، وهو محال .

(المسألة ١٦) اللّٰه تعالىٰ ليس بمرئي بحاسة البصر في الدنيا والآخرة ؛ بدليل أنه تعالىٰ مجرّد ، ولأن كل مرئي لابد أن يكون له الجسم والجهة ، واللّٰه تعالىٰ منزّه عنهما ، ولأنه تعالىٰ قال : ﴿لن تراني﴾[٧] ، وقال : ﴿لا تُدركه الأبصار﴾[٨] .

(٧) الأعراف : ١٤٣ .

(٨) الأنعام : ١٠٣ .

(المسألة ١٧) اللّٰه تعالىٰ ليس محلاً للحوادث ، وإلّا لكان حادثاً ، وحدوثه محال .

(المسألة ١٨) اللّٰه تعالىٰ لا يتصف بالحلول ؛ بدليل أنه يلزم قيام الواجب بالممكن ، وذلك محال .

(المسألة ١٩) اللّٰه تعالىٰ لا يتّحد بغيره ؛ لأن الاتحاد صيرورة الشيء واحداً من غير زيادة ونقصان ، وذلك محال ، واللّٰه لا يتصف بالمحال .

(المسألة ٢٠) اللّٰه تعالىٰ منفي عنه المعاني والصفات الزائدة ، بمعنىٰ أنه ليس عالماً بالعلم ، ولا قادراً بالقدرة (بل علم كلّه ، وقدرة كلّه ؛ بدليل أنه لو كان كذلك لزم كونه محلاً للحوادث لو كانت حادثة ، وتعدّد القدماء لو كانت قديمة ، وهما محالان ، وأيضاً لزم افتقار الواجب لصفاته المغايرة له ، فيصير ممكناً وهو ممتنع ؛ والدليل عليه أنه واجب الوجود لذاته ، فلا يكون مفتقراً .

(المسألة ٢١) اللّٰه تعالىٰ ليس في جهة ولا مكان ؛ بدليل أن كل ما في الجهة والمكان مفتقر إليهما ، وأيضاً قد ثبت أنه تعالىٰ ليس بجسم

ولا جوهر ولا عرض ، فلا يكون في المكان والجهة .

(المسألة ٢٢) اللّٰه تعالىٰ ليس له ولد ولا صاحبة ؛ بدليل أنه قد ثبت عدم افتقاره إلى غيره ، ولأن كل ما سواه تعالىٰ ممكن ، فكيف يصير الممكن واجباً بالذات ، ولقوله تعالىٰ : ﴿ليس كمثله شيء﴾[٩] و ﴿مثل عيسىٰ عند اللّٰه كمثل آدم خلقه من تراب﴾[١٠] .

(٩) الشورىٰ : ١١ .

(١٠) آل عمران : ٥٩ .

(المسألة ٢٣) اللّٰه تعالىٰ عدل حكيم ، بمعنىٰ أنه لا يفعل قبيحاً ولا يخل بالواجب ؛ بدليل أن فعل القبيح قبيح ، والإخلال بالواجب نقص عليه ، فاللّٰه تعالىٰ منزّه عن كل قبيح وإخلال بالواجب .

(المسألة ٢٤) الرضا بالقضاء والقدر واجب ، وكل ما كان أو يكون فهو بالقضاء والقدر ، ولا يلزم بهما الجبر والظلم ؛ لأن القدر والقضاء ها هنا بمعنىٰ العلم والبيان ، والمعنىٰ أنه تعالىٰ يعلم كل ما هو (كائن أو يكون)[١١] .

(١١) الإضافة منا لاكمال العبارة .

(المسألة ٢٥) كل ما فعله اللّٰه تعالىٰ فهو أصلح ، وإلّا لزم العبث ، وليس تعالىٰ بعابث ، لقوله : ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾[١٢] .

(١٢) المؤمنون : ١١٥ .

(المسألة ٢٦) اللطف علىٰ اللّٰه واجب ؛ لأنه خلق الخلق وجعل فيهم الشهوة ، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء ، وذلك قبيح ، (واللّٰه لا يفعل القبيح) فاللطيف هو نصب الأدلة ، وإكمال العقل ، وإرسال الرسل في زمانهم ، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام ؛ لئلا ينقطع خيط غرضه .

(المسألة ٢٧) نبينا محمد بن عبد اللّٰه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رسول اللّٰه ﷺ حقاً صدقاً ؛ بدليل أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزات علىٰ يده ، فثبت أنه رسول حقاً . وأكبر المعجزات (القرآن المجيد) والفرقان المجيد الفارق بين الحق والباطل ، باق إلى يوم القيامة ، حجة علىٰ كافة النسمة . ووجه كونه معجزاً فرط فصاحته وبلاغته ، بحيث ما تمكن أحد من أهل الفصاحة والبلاغة حيث تُحدّوا به ، أن يأتوا ولو بسورة صغيرة ، أو آية تامة مثله ، واعتقادنا أن

القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمدﷺ هو ما بين الدفتين ، وهو مافي أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك . ومن نسب إلينا أن نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب .

(المسألة ٢٨) كان نبينا نبياً على نفسه قبل البعثة ، وبعدها رسولاً إلى كافة النسمة ؛ لأنه قال : «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» ، وإلّا لزم تفضيل المفضول وهو قبيح .

(المسألة ٢٩) جميع الأنبياء كانوا معصومين مطهرين عن العيوب والذنوب كلها ، وعن السهو والنسيان في الأفعال والأقوال ، من أول الأعمار إلى اللحد ؛ بدليل أنهم لو فعلوا المعصية أو طرأ عليهم السهو لسقط محلّهم من القلوب ، فارتفع الوثوق والاعتماد على أقوالهم وأفعالهم ، فتبطل فائدة النبوة ، فما ورد في الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التأويل .

(المسألة ٣٠) يجب أن يكون الأنبياء أعلم وأفضل أهل زمانهم ، لأن تفضيل المفضول قبيح .

(المسألة ٣١) نبينا خاتم النبيين والمرسلين ، بمعنى أنه لا نبي بعده إلى يوم القيامة . يقول تعالى : ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[١٣] .

(المسألة ٣٢) نبينا أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ لأنه ثبتت نبوته ، وأخبر بأفضليته ، فهو أفضل ، لما قال لفاطمةعليها السلام : «**أبوك خير الأنبياء ، وبعلك خير الأوصياء ، وأنت سيدة نساء العالمين ، وولدك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما**»[١٤] .

(المسألة ٣٣)معراج الرسول بالجسم العنصري علانية ، غير منام ، حق، والأخبار عليه بالتواتر ناطقة صريحة ، وأنه مر بالأفلاك من أبوابها من دون حاجة إلى الخرق والالتئام ، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالها .

(١٣) الأحزاب : ٤٠ .

(١٤) راجع ينابيع المودة : ٤٣٤ ـ ٤٣٦ .

(المسألة ٣٤) دين نبينا ناسخ للأديان السابقة ؛ لأن المصالح تتبدل حسب الزمان والأشخاص ، كما تتبدل المعالجات لمريض بحسب تبدل المزاج والمرض .

(المسألة ٣٥) الإمام بعد نبينا علي بن أبي طالب عليه السلام ، بدليل قوله صلى الله عليه وآله : **«يا علي ، أنت أخي ووارث علمي ، وأنت الخليفة من بعدي ، وأنت قاضي ديني ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي »**[١٥] . قوله : **«سلّموا علىٰ عليّ بإمرة المؤمنين ، واسمعوا له واطيعوا له ، وتعلموا منه ولا تعلّموه»**[١٦] . وقوله : **«من كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه»**[١٧] .

(المسألة ٣٦) الأئمة بعد علي عليه السلام أحد عشر من ذريته ، الأول منهم ولده الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد الصادق ، ثم موسىٰ بن جعفر ، ثم علي بن موسىٰ ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم الخلف الحجة القائم المهدي الهادي ابن الحسن صاحب الزمان ، فكلهم أئمة الناس واحد بعد واحد حقاً ؛ بدليل أن كل إمام منهم نص علىٰ من بعده نصاً متواتراً بالخلافة ، وقوله : **«الحسين إمام ابن امام ، أخو إمام أبو الائمة التسعة ، تاسعهم قائمهم ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»** .

(المسألة ٣٧) يجب أن يكون الائمة معصومين مطهرين من الذنوب كلّها، صغيرة وكبيرة ، عمداً وسهواً ، ومن السهو في الأفعال والأقوال، بدليل أنهم لو فعلوا المعصية لسقط محلهم من القلب وارتفع الوثوق ، وكيف يُهدَون بالضالين المضلّين ؟ ! ولا معصوم غير الأئمة الاثني عشر إجماعاً ، فثبتت إمامتهم .

(المسألة ٣٨) يجب أن يكون الأئمة أفضل وأعلم ، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضول ، أو الترجيح بلا مرجح ، ولا يحصل الانقياد به ، وذلك قبيح عقلاً ونقلاً ، وفضل ائمتنا وعلمهم مشهور ، بل

(١٥) راجع صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ـ ١٢١ باب فضائل علي عليه السلام ، وصحيح البخاري ٥ : ١٩ باب مناقب علي عليه السلام ، و ٦ : ٣ باب غزوة تبوك، ومسند احمد ١ : ١٧٤ ـ ١٧٧، و ٣ : ٣٢، و ٦ : ٣٦٩.

(١٦) راجع البحار ٣٧ : ٢٩٠ ـ ٣٤٠.

(١٧) راجع مسند أحمد ١ : ٨٤ ـ ١٥٢، و ٤ : ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢، و ٥ : ٣٦٦ ـ ٤١٩، وسنن الترمذي ٥ : ٦٣٣.

أفضليتهم أظهر من الشمس وأبين من الأمس .

(المسألة ٣٩) يجب أن نعتقد أن آباء نبينا وأئمتنا مسلمون أبداً ، بل أكثرهم كانوا أوصياء ، فالأخبار عند أهل البيت على إسلام أبي طالب مقطوعة ، وسيرته أدلة عليه ، ومثله مثل مؤمن آل فرعون .

(المسألة ٤٠) الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن قد تولد في زمان أبيه ، وهو غائب حي باقٍ إلى بقاء الدنيا ، لأن كل زمان لابد فيه من إمام معصوم ؛ لما انعقد عليه اجماع الأمة على أنه لا يخلو زمان من حجة ظاهرة مشهورة ، أو خافية مستورة ، ولأن اللطف في كل زمان واجب ، والإمام لطف ، فوجوده واجب .

(المسألة ٤١) لا استبعاد في طول عمره ؛ لأن غيره من الأمم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعداً ، كشعيب ونوح ولقمان والخضر وعيسى عليهم السلام وإبليس والدجال ، ولأن الأمر ممكن ، والله قادر على جميع الممكنات .

(المسألة ٤٢) غيبة المهدي لا تكون من قبل نفسه ؛ لأنه معصوم ، فلا يخل بواجب ، ولا من قبل الله تعالى ؛ لأنه عدل حكيم فلا يفعل القبيح ؛ لأن الإخفاء عن الأنظار وحرمان العباد الإفادات قبيحان ، فغيبته لكثرة العدو والكفار ، ولقلة الناصر .

(المسألة ٤٣) لابد من ظهور المهدي ؛ بدليل قول النبي صلى الله عليه وآله : «**لو لم يبق من الدنيا إلّا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي ، اسمه اسمي وكنيته كنيتي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**»[١٨] ، ويجب على كل مخلوق متابعته .

(المسألة ٤٤) في غيبة الإمام فائدة ، كما تنير الشمس تحت السحاب ، والمشكاة من وراء الحجاب .

(المسألة ٤٥) يرجع بعض ائمتنا المعصومين في زمان المهدي مع جماعة من الأمم السابقة واللاحقة ، لإظهار دولتهم وحقهم ، وبه

(١٨) راجع سنن أبي داود ٤: ١٠٦ ـ ١٠٧، وكنز العمال ١٤: ٢٦٤ ـ ٢٦٧.

قطعت المتواترات من الروايات والآيات كقوله تعالىٰ : ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾[١٩] ، فالاعتقاد به واجب .

(المسألة ٤٦) إن الله يعيد الأجسام الفانية كما هي في الدنيا ؛ ليوصل كل حق إلى المستحقين ، وذلك أمر ممكن ، والأنبياء أخبروا به ، ولا سيما القرآن المجيد مشحون به ، ولا مجال للتأويل ، فالاعتقاد بالمعاد الجسماني واجب .

(المسألة ٤٧) كل ما أخبر به النبي أو الإمام فاعتقاده واجب ، كإخبارهم عن نبوة الأنبياء السابقين ، والكتب المنزلة ، ووجود الملائكة ، واحوال القبر وعذابه وثوابه وسؤال منكر ونكير ، والإحياء فيه ، واحوال القيامة وأهوالها ، والنشور ، والحساب والميزان ، والصراط ، وإنطاق الجوارح ، ووجود الجنة والنار ، والحوض الذي يسقي منه أمير المؤمنين العطاشىٰ يوم القيامة ، وشفاعة النبي والأئمة لأهل الكبائر من محبيهم ، إلى غير ذلك ؛ بدليل أنه أخبر بذلك المعصومون .

(المسألة ٤٨) التوبة ـ وهي الندم علىٰ القبيح في الماضي ، والترك في الحال ، والعزم علىٰ عدم المعاودة إليه في الاستقبال ـ واجبة لدلالة السمع علىٰ وجوبها ، ولأن دفع الضرر واجب عقلاً .

(المسألة ٤٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، بشرط تجويز التأثير والأمن من الضرر[٢٠] .

ومن هذه الرسائل نفهم ما يلي :

١ ـ أن مثل هذه الرسالة دليل واضح علىٰ أن جل عقائد الشيعة ، مأخوذة من الكتاب والسنة ، وكلمات ائمتهم ، وأن الشيعة كانت في أواخر القرن الثاني ذات عقائد منتظمة ومستوعبة لجميع ما يرتبط بالمعارف الإلهية ، فترىٰ أن ما كتبه الإمام الرضا ، وما عرضه السيد

(١٩) النمل : ٨٣ . أصل الرجعة إجماعي، والكيفية الواردة في المتن ليست كذلك.

(٢٠) طبعت الرسالة مع جواهر الفقه للقاضي ابن البراج، وفي ضمن الرسائل العشر للشيخ الطوسي قدس سره.

عبد العظيم الحسني علىٰ الإمام الهادي ، هو السائد في جملة أمثال هذه الرسائل .

٢ ـ أنه يوجد في ثنايا هذه الرسائل آراء خاصة لمؤلّفيها ، ربما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهم من علماء الشيعة ، فليس كل ما جاء فيها عقيدة أجمع عليها علماء الشيعة ومؤلّفوهم ، ولكن المجموع من حيث هو يمثل عقائد الشيعة في مجال صفاته سبحانه وأفعاله ، وما يرجع إلى النبوة والإمامة والحياة الأخروية ، خصوصاً ما يرجع إلىٰ الاعتقاد بمقامات الائمة وصفاتهم ، فمن أراد أن يطّلع علىٰ عقائد الشيعة فليرجع إليها بدلاً من الرجوع إلى الكتب المؤلفة من قبل أعدائهم وخصمائهم .

٣ ـ أن الإمعان في الأصول التي جاءت في أمثال هذه الكتب والرسائل ، يعرب عن موافقة الشيعة في أكثر المسائل العقائدية لعامة المسلمين ، وربما يختلفون عنهم في أصول تختص بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول .

قال الإمام الباقر (ع) :

لا تذهب بكم المذاهب ، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عزّ وجلّ .

اصول الكافي ٢ : ٧٣

فنون وآداب

السيد
محمد جمال الهاشمي

عـادت الذكـرىٰ لنـا فـاحتفلي
واعرضي المـاضي علىٰ المستقبلِ
واعـيدي بـاسم طٰـه مـوسماً
للـتهاني حـافلاً بـالجذلِ
واسألي التـاريخَ عـن مـعجزةٍ
فـهو عـنوان كـتاب الأزلِ
هـبّت الصـحراءُ مـن رقـدتها
وتـهادتْ فـي الصِـراط الأَمـثلِ
ولدتْ للـحقِ نـاموسَ الهـدىٰ
وهـي غـيرَ الظـلم لم تـحتملِ
مـولدُ الثـورة مـا أَقـدسَه
انـه تـاريخُ وعـي المـللِ
سـائلي البـطحاءَ مـاذا راعَـها
وهـي فـي عـالمها المـنعزلِ
واسألي الأَصـنامَ مِـن عـليائها
مَـنْ رمـاها للـحضيضِ الأسـفلِ

واسألي فـارسَ كـيف انـخمدتْ
نـارُها هـل جـفَّ زيتُ المشعلِ
وادخـلي البـيتَ فـفي جـانبه
امـةٌ مـجموعةٌ فـي رجـلِ
شَـيبةُ الحـمدِ ومـا أَعـظَمه
قـائداً حـازَ وسـامَ البـطلِ
كـم له دونَ العـلا مـن مَـوقفٍ
سـار فـي الدهـر مسـيرَ المَـثلِ
وانـظري الوفّـاد تسـعىٰ حـوله
وتـحيّي كـفَّه بـالقُبَلِ
واسـمعي الشـاعر يشـدو راويـاً
فَـنّه عـن نـغمات البـلبلِ
يـلفظ المـعنىٰ بـما يـنشده
والمـعاني مـعجزاتُ الجُـمَلِ
يـنثر الدمـعةَ فـي بسـمته
هـل تـذوّقتْ الرثـا فـي الغـزلِ
ثـمِلَ المـحفلُ مـن ألحـانه
وانـتشىٰ مـن شـعره المـرتجلِ
انـظريه ثـورةً هـادئة
وامـاناً بـاعثاً للـوجلِ
يـبعثُ الافـراحَ فـي انـغامه
هـاتفاً بـاسم الوليـد المـقبلِ
فمشت في الحفل من ذكر اسمه
نشـوةٌ هـزّت وقـار المـحفلِ

ليت شـعري هـل وعـىٰ بـاطنُه
أن هـذا اسـمُ النـبيِّ المـرسلِ

تـركَ الأُمّـةَ فـي عـاداتـها
وانـزوىٰ فـي غـاره المـنعزلِ

يـرمقُ الاجـواءَ فـي مـنظاره
خـارفاً حُـجْبَ الظـلام المسدَلِ

مـاهي الاصـنامُ مـا تأثـيرُها
فـي نـظام العـالَم المكـتملِ

لِـمَ يسـري الفكـرُ فـي منحرَف
عـن صـراط الواقـع المـعتدلِ

هـذه العـاداتُ امـضىٰ فـتكةً
بـالورىٰ مـن فَـتَكات الأسـلِ

نـزل الوحـيُ عـليه فـانبرىٰ
يـمحقُ اليأس بـنور الأمـلِ

يـحمل المِشـعلَ بـاليمنىٰ وقـد
خـصَّ يسـراه لحـمل المـعولِ

فـي سبيل الحق كـم مـن مشكـل
حـلَّه درسـاً وكـم مـن معضلِ

جـاهدَ الأَطـماع حـتّىٰ انهزمتْ
تسـتر العـارَ بـذيل الفشـلِ

فـإذا الدنـيا بـصبح مُشـرق
بـعدما بـاتت بـليل أليـلِ

* * *

دراسات

المدخل إلى النظام الاجتماعي الإسلامي

٢

السيد منذر الحكيم

١٩ ـ عناصر المحتوىٰ الداخلي للانسان

عرفنا أن التغييرات الاجتماعية كلها ، ترتبط في الدرجة الاولىٰ بالمحتوىٰ الداخلي للانسان ، الذي يُمسك بيده زمام الأمر ، ويوجه السلوك الانساني في كل مجال .

إذن لحل المشكلة الاجتماعية لابد من معرفة جميع العناصر المكوِّنة لهذا المحتوىٰ الداخلي ، ومعرفة موقع كل عنصر ونوع العلاقة القائمة بين هذه العناصر ، والعوامل المؤثرة في تكييف كل عنصر وتوجيهه .

ويتكوّن المحتوى الداخلي للانسان من ثلاثة عناصر علىٰ الأقل ، هي غريزة حب الذات ، والعقل المفكّر ، والارادة المنفذّة .

والعقل المفكّر من هذه العناصر هو العنصر الأهم ، الذي بإمكانه أن يوجه الغريزة والارادة معاً ، فالغريزة لا تبصر إلّا من خلال الفكر ، أو المحتوى الفكري الذي يحصل عليه الانسان ويؤمن به ، والعقل المفكّر أو المحتوىٰ الفكري هو الذي يميّز للانسان ما يصلحه وما ينفعه عما لا ينفعه ولا يُصلحه .

ومن هنا كان المحتوىٰ الفكري للانسان هو الذي يجرّه إلى الإيثار أو الاستئثار ، وذلك من خلال النظرة التي تتوفر لديه ويقتنع بها عن الكون والحياة ، فالنظرة المادية التي تلخص كل منافع الانسان في الحياة المادية المحدودة ، هي التي تدعوه إلى الاستئثار ، والايمان بأن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهي قنطرة إلى الحياة الأبدية التي لا يمكن اجتيازها إلّا بالإيثار والزهد ، هو الذي يدعو الانسان للتحرّر من كل ما يعيق الوصول إلى هذا الهدف الكبير ، وهو الذي يحقق للانسانية مصالحها الاجتماعية ، التي تبتنىٰ علىٰ العدل والتقوىٰ والزهد في الدنيا وايثار الآخرين ، للوصول إلى الكمال المطلوب[1] .

وبهذا يمكن التوفيق بين الدوافع الذاتية والمصالح الاجتماعية دون إلغاء أحدهما ، بل بجمعها في إطار رؤية واقعية إلهية . ومن هنا يكون الدين صاحب الدور الأساسي لحل المشكلة الاجتماعية ، بتوظيفه للدوافع الذاتية لحساب المصالح الاجتماعية العامة .

(١) راجع للتوسع: الانسان المعاصر والمشكلة الاجتماعية للشهيد الصدر: ٦٦ ـ ٨٦، وراجع الصف: ١١، والقصص: ٧٧.

٢٠ ـ العلاقة بين عناصر المحتوى الداخلي

عرفنا أن المحتوىٰ الداخلي يتكون من عناصر ثلاثة بل أربعة ، هي غريزة حب الذات ، والعقل المفكّر ، والمحتوىٰ الفكري ، والإرادة المنفذة للمحتوىٰ الفكري ، الموجهة لكل السلوك الانساني علىٰ أساس المحتوىٰ الفكري المخزون في ذهن الانسان .

فالغريزة هي الدافع الأول للحركة ، ولكنها تحتاج إلى توجيه فكري، والعقل بإمكانه أن يدخل لتمييز الأفكار الصحيحة عن الخاطئة، كما أنه يدفع الانسان نحو اكتساب العلم والمعرفة ، فالغريزة والعقل الغريزي الفطري يتعاضدان للحصول علىٰ المحتوىٰ الفكري السليم ، والفكر هو حصيلة السعي العلمي الذي يبذله الانسان ، فما آمن به من معلومات ، سواء اعتمد علىٰ العقل أو علىٰ أي مصدر آخر ، كان ذلك هو المحتوىٰ الفكري ، والمنظار الذي ينظر من خلاله إلى الحياة . وما

الإرادة إلّا أداة لتنفيذ وتحقيق الأفكار التي آمن بها الانسان .

ومن هنا كان السلوك الفردي أو الاجتماعي نتيجة طبيعية للمحتوى الفكري الذي يحصل عليه الانسان ، فإن كان سليماً وتاماً كان سلوكه صحيحاً ونافعاً ، وإن كان المحتوىٰ مشوباً أو خاطئاً كان سلوكه منحرفاً . إذن لابد من التركيز علىٰ المحتوىٰ الفكري للانسان ، والسعي للحصول علىٰ العوامل الموثرة في تكوين هذا المحتوىٰ .

وإذا صنّفنا مجموعة العوامل المؤثرة في صياغة الفكر ، وجدنا أن أهم عامل في هذا المجال هو الهدف النهائي الذي يختاره الانسان لنفسه في الحياة ، وهذا الهدف النهائي يجسّد المثل الأعلىٰ للانسان ، ويكون هو الإله الذي يعبده ويسعىٰ للوصول إليه . وتختلف الأهداف كمالاً ونقصاً ، كما تختلف قوّةً وضعفاً وسلامةً وانحرافاً ؛ ومن هنا لزم دراسة أنواع الأهداف وتصنيفها ، والتعرّف علىٰ خصائص كل هدف وآثاره ، والأسباب المؤدية إلى اختياره[٢] .

(٢) راجع للتوسع: المدرسة القرآنية للشهيد الصدر: ١٣٩ ـ ١٤٧، المحاضرة ٩.

٢١ ـ المثل الاعلىٰ ودوره في صياغة الفكر والإرادة والسلوك

الهدف الأعلىٰ أو الهدف النهائي للانسان في الحياة ، هو أهم العوامل التي تؤثر في صياغة الفكر الانساني ، وتوجيه سلوكه في الحياة الفردية والاجتماعية .

والمثل الأعلىٰ هو الذي يحدّد الغايات التفصيلية والأهداف الجزئية في الحياة ، ومن هنا كان المثل الأعلىٰ هو المحور الذي يستقطب عملية البناء الداخلي للانسان .

«وبقدر ما يكون المثل الأعلىٰ للجماعة البشرية صالحاً وعالياً وممتدّاً ، تكون الغايات صالحة وممتدة ، وبقدر ما يكون هذا المثل الأعلىٰ محدوداً ومنخفضاً ، تكون الغايات المنبثقة عنه محدودة ومنخفضة أيضاً»[٣] .

(٣) راجع المدرسة القرآنية: ١٤٥ ـ ١٤٧.

«إذن المثل الأعلىٰ هو نقطة البدء في بناء المحتوىٰ الداخلي

للجماعة البشرية ، وهذا المثل الأعلىٰ يرتبط في الحقيقة بوجهة نظر عامة إلى الحياة والكون»[٤] .

(٤) م . ن .

«ومن خلال الطاقة الروحية التي تتناسب مع ذلك المثل الأعلىٰ ، ومع وجهة نظرها إلى الحياة والكون ، تحقق إرادتها للسير نحو هذا المثل الاعلىٰ»[٥] .

(٥) م . ن .

«وكل جماعة اختارت مثلها الأعلىٰ ، فقد اختارت في الحقيقة سبيلها وطريقها ومنعطفات هذا السبيل»[٦] .

(٦) م . ن .

فالمثل الأعلىٰ هو القائد الآمر المطاع الموجّه لكل حركة الانسان فرداً ومجتمعاً ، وهذه هي صفات الإله المعبود للانسان ، ومن هنا عبّر القرآن الكريم عن هذا المثل الأعلىٰ بالإله[٧] ، وإن كان هو الهوىٰ حينما يتصاعد تصاعداً مصطنعاً ، فيصبح هو الغاية القصوىٰ للانسان .

(٧) الفرقان : ٤٣ .

أ ـ وتنقسم المثل العليا التي تتبناها الجماعات البشرية إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ المثل العليا المنخفضة ، وهي المثل العليا المنتزعة من الواقع الموجود ، وتكون تكراراً للواقع .

٢ ـ المثل العليا المحدودة ، وهي المثل العليا المتطلعة إلى المستقبل القريب المحدود .

٣ ـ المثل الأعلىٰ المطلق ، وهو المثل الأعلىٰ اللامحدود ، وينحصر في مصداق واحد .

ب ـ أسباب اختيار المثل الأعلىٰ .

١ ـ يعود اختيار المثل الأعلىٰ المنخفض إلى أحد سببين :

الأول : الجمود والضياع والخمول والجهل التي تسيطر علىٰ الانسان ، وهو عامل داخلي .

الثاني : التسلط الفرعوني الذي لا يسمح للانسان بالتطلع إلى المستقبل ، وهو عامل خارجي ، ولا يؤثر إلّا إذا كان العامل الذاتي

والداخلي قوياً وفاعلاً .

٢ ـ ويعود اختيار المثل الأعلىٰ المحدود إلى عدم القناعة بالموروث، ونشاط روح التجديد والتطوير عند الانسان ، فيختار مثلاً أعلىٰ غير تكراري ، بل يكون طموحاً مستقبلياً ينزع إلى الوصول إليه ، ولكنه نتيجة لوجود درجة من الجهل ، يختار هدفاً أعلىٰ محدوداً ، ثم يحوّله إلى هدف أعلىٰ مطلق فيقنع بهذا الهدف المحدود بالرغم من أنه ينطوي علىٰ حبّ قوي للكمال المطلق ، فبهذه النظرة المستعجلة للأفق المستقبلي يقنع بالمحدود بدلاً عن اللامحدود .

٣ ـ ويعود السبب في اختيار المثل الأعلىٰ اللامحدود إلى نشاط العقل ، أو تنشيطه من خلال التعقل والتجربة والممارسة العلمية المتطورة ، والحذر من تبديل المحدود إلى المطلق ، وعدم القناعة إلّا بما يكون مثلاً أعلىٰ يستحق التأليه والعبادة ، ليعود علىٰ الانسان بكل ما يمكن أن يحقّقه من ثمار ، وكل ما يمكن أن يحوّله من طاقات كامنة في وجوده نحو كمالات تنتظره في آفاق هذا الوجود الفسيح .

وهكذا تتوافق الفطرة مع العقل لاختيار المثل الأعلىٰ الجدير بالاختيار .

جـ الآثار المترتبة علىٰ اختيار كل نوع .

وباعتبار الخصائص التي يتميز بها كل نوع من أنواع المثل العليا ، تترتب آثار عملية في الحياة الاجتماعية ، لا يمكن للانسان أن يغيّرها أو يفلت منها ، إلّا إذا اصطدم بالواقع ، وغيّر أهدافه تغييراً ينتهي به إلى فكرٍ وطموح جديدين ، وحينئذٍ سوف يحصد ثمار ما يختاره من مثل أعلىٰ من جديد .

١ ـ المثل الأعلىٰ المنخفض ، وهو الذي ينتزع من واقع الجماعة بحدودها وقيودها ، سوف يكون هو الطموح المستقبلي للانسان . وحيث إنه واقع موجود ومستقبل متحقق ، فحينئذٍ سوف لا يكون

هناك أي تطوّر في المجتمع ؛ لأن ما يطمح إليه يكون موجوداً عنده ، وهكذا سوف يُصاب المجتمع بالجمود والركود الحقيقي ، طبعاً بعد أن يحوّل الانسان هذا الواقع المحدود إلى أمر مطلق ، حينما يعتبره مثلاً أعلىٰ وهدفاً نهائياً للحياة . ولهذا سوف تكون حركة التاريخ حركة تكرارية؛ لأن المستقبل سوف لايزيد علىٰ الواقع الموجود شيئاً.

وقد أشار القرآن الكريم إلىٰ هذا الصنف من الجماعات ، مع اسباب تبنّيهم لهذه الأهداف النهائية المنخفضة في الموارد التالية : البقرة : ١٧٠ ، والمائدة : ١٠٤ ، ويونس : ٧٨ ، وهود : ٦٢ ، وإبراهيم : ١٠ ، والزخرف : ٢٢ .

وتتلخّص رسالة الأنبياء علىٰ مرّ التاريخ في الثورة علىٰ هذا الواقع علىٰ مستويين ، باعتبار وجود عاملين متلازمين عادة لركود المجتمعات البشرية ، بالرغم من انطواء الفطرة البشرية علىٰ حب الكمال ، وعلىٰ استعداد تام للحركة التكاملية في الحياة ؛ فالعامل الخارجي كما قلنا هو الطاغوت أو التسلط الفرعوني علىٰ مرّ التاريخ ؛ فإن من مصلحة الفراعنة تحجيم الرؤية الاجتماعية في حدود الواقع الموجود الذي يتحكمون فيه ، فإن تجاوز هذا الواقع يعني انهيار السلطة الفرعونية ، والطاغوت المتحكم في رقاب أبناء ذلك المجتمع[٨] ، والأنبياء يقومون بكسر الحواجز النفسية التي أوجدها التسلط الفرعوني في مجتمعاتهم ، طبعاً بعد أن يقوموا بكسر الحواجز الفكرية التي تشكل السبب الأول في الخضوع للتسلط الفرعوني . والحواجز الفكرية هي عدم الاعتناء بالعقل ، وعدم التعقل أو عدم الاعتماد عليه ، مما يؤدي إلى الجمود الفكري الذي يمهّد الأرضية المناسبة للخضوع للتخطيط الفرعوني ، وقبول الهيمنة الفرعونية من قبل أبناء المجتمع ، الذي لا يريد ان يفكر أو يتعقّل في الأمور ويلاحظ عواقبها[٩] .

(٨) راجع القصص : ٣٨، وغافر: ٢٩، والمؤمنون: ٤٥ ـ ٤٧.

(٩) الزمر: ١٧ ـ ١٨. راجع المدرسة القرآنية: ١٥٣ ـ ١٥٥، المحاضرة ٩.

وأما العواقب التي تترتّب على مثل هذا الاختيار للمُثل العليا المنخفضة ، فقد أوضحها الشهيد الصدر قائلاً : «هذه المثل العليا المنخفضة المنتزعة عن الواقع في كثير من الاحيان تتخذ طابع الدين... من أجل اعطائها قدسيّة تحافظ على بقائها واستمرارها على الساحة».

بل إن الحقيقة : أن كل مثل أعلىٰ من هذه المثل العليا المنخفضة لا ينفك عن الثوب الديني سواء أبرز بشكل صريح أو لم يُبرَز : لأن المثل الأعلىٰ دائماً يحتلّ مركز الإله بحسب التعبير القرآني ، ودائماً تستبطن علاقة الأمة بمثلها الأعلىٰ نوعاً من العبادة لهذا المثل الأعلىٰ ، وليس الدين بشكله العام إلّا علاقة عابدٍ بمعبود .

إن هذه الأديان التي تفرزها هذه المثل العليا المنخفضة أديان محدودة تبعاً لمحدودية نفس هذه المثل ، أو بالتعبير الأحرىٰ : الأديان التي يفرزها الانسان من خلال صُنع هذه المُثل ومن خلال عملقة هذه المثل وتطويرها الىٰ مطلقات ، هذه الأديان تكون أدياناً محدودة ضئيلة ، أديان التجزئة في مقابل دين التوحيد ذي المثل الأعلىٰ القادر على استيعاب البشرية بأبعادها . إن الدين الذي يصنعه الانسان وهذا المثل الأعلىٰ الذي هو نتاج بشري لا يمكن أن يكون هو الدين القيّم ، ولا يمكن أن يكون هو المصعِّد الحقيقي للمسيرة البشرية ؛ لأن المسيرة البشرية لا يمكن أن تخلق إلٰهها بيدها .

إذا تقدّمنا خطوة في تحليل ومراقبة اوضاع هذه الأمة التي تتمسك بمثَلٍ من هذا القبيل نجد أن هذه الأمة بالتدريج سوف تفقد ولاءها لهذا المثل أيضاً . لأن هذا المثل بعد أن يفقد فاعليتّه وقدرته على العطاء ، هذه الجماعة تفقد بالتدريج ولاءَها له . ومعنىٰ ذلك ان القاعدة الجماهيرية سوف تتمزّق وحدتها لأنّ وحدتها إنما هي بالمثل الواحد فاذا ضاع المَثَل ضاعت هذه القاعدة . ولهذا تصاب بالتشتّت كما قال تعالىٰ : «**تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّىٰ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**»[١٠] .

(١٠) الحشر : ١٤ .

بأسهم بينهم شديد باعتبار أن التناقضات تبدأ في داخل هذه الأمة التي لا يجمعها مثل أعلىٰ ولا تـجمعها طـريقة مـثلىٰ . قـلوب مـتفرقة وأهواء متشتتة ، وعقول مجمدة . في حالة من هذا القبيل لا تبقىٰ أُمة . وإنما يبقى شبح أمة فقط . وفي ظل هذا الشبح سوف ينصرف كل فرد إلى همومه الصغيرة وقضاياه المحدودة ؛ لأنـه لا يـوجد هـناك مـثل أعلىٰ تلتف حوله الطاقات وتحشد من أجله التـضحيات ، وقـد عـلّمنا التاريخ أنه في حالة من هذا القبيل .

«توجد ثلاثة إجراءات (وبدائل) يـمكن أن تـنطبق عـلىٰ هـذه الأمـة الشبح :

الإجراء الأول: أن تتداعىٰ هذه الأمة أمام غزو عسكري من الخارج ؛ لأن هذه الأمة أُفرغت من محتواها ، وتخلّت عن وجودها كأمة وبقيت كأفراد ، كل انسان يفكّر في طعامه ولباسه ودار سُكناه ، ولا يفكر في الأُمـة ، وهـذا مـا وقـع بـالفعل حـينما سـقطت حـضارة المسـلمين بأيدي التتار .

الإجراء الثاني: الذوبان في مثل أعلىٰ أجنبي مستورد من الخارج ، بعد فقدان المثل الأعلىٰ النابع من الأمة فاعليته واصالته ، فالأمة تفتش عن مثل أعلىٰ من الخارج لتعطيه ولاءها وتمنحه قيادتها .

الإجراء الثالث: أن تنشأ في أعماق الأمة بذور اعادة المثل الأعلىٰ من جديد ، بمستوى العصر الذي تعيشه تلك الأمة»[١١] .

إن هذه الإجراءات الثلاثة قد اجتمعت كلها علىٰ الأمة الاسلامية ، إذ سقطت حضارتها أمام الغزو الخارجي ، وبدأت مـجموعة مـن أفـراد الأمة تفتش عن مُثل عُليا جديدة ومستوردة ، بـينما بـدأ روّاد الفكـر الاسـلامي والعـلماء مـن المسـلمين بـمحاولة صـياغة المـثل الأعـلىٰ الاسلامي من جديد ، وفق حاجة العصر ومتطلبات الزمن .

(١١) راجـــع المـــدرسة القـــرآنـــية: ١٥٧ ـ ١٦٣، المحاضرة ١٠.

٢ ـ المثل الأعلىٰ المحدود ، وهو الذي ينتزع من خطوة واحدة من المستقبل ، يمثل طموحاً محدوداً مقيّداً ، ولم يستطع أن يتجاوز المسافات الطويلة ؛ لأنه لا يستوعب برؤيته طريق الكمال الانساني الطويل ، والانسان لا يمكنه أن يستوعب المطلق مادام الذهن البشري محدوداً بطبيعته ، وإنما هو يستوعب نفحة من المطلق ، وهذا أمر طبيعي وموضوعي ، ولكن الخطير هنا هو تحويل المحدود إلى مثل أعلىٰ مطلق .

وهذا المثل الأعلىٰ المحدود بطبيعته سوف يدفع هذا الانسان خطوة نحو الأمام ، ولكن سرعان ما ينتهي عند حدوده القصوىٰ ، فيتحول إلى عائق عن التطور بعد أن يستنفد أغراضه ، وبعد أن يصبح واقعاً قائماً ، فيكون مثلاً أعلىٰ منخفضاً وتكراريّاً للمجتمع ، فتعود كل آثاره التي ذكرناها بالتفصيل[١٢] .

إلّا أن يرفع اليد عنه مثلاً ، ويختار أعلىٰ أعلىٰ منه ، ليتخلّص من كل تبعاته وآثاره ، ويتبنّىٰ ما يقتضيه المثل الأعلىٰ الجديد من آثار ونتائج وثمار .

٣ ـ المثل الاعلىٰ اللامحدود ، وهو المثل المطلق الحقيقي المنحصر في اللّه سبحانه وتعالىٰ ، وهنا سوف لا يجعل الانسان الهدف المحدود ، مطلقاً ، لأنه المطلق الحقيقي بذاته . وليس هذا المثل الأعلىٰ من نتاج الانسان نفسه ، كما أنه ليس تكراراً للواقع ، بل هو موجود مطلق في الخارج ، له قدرته المطلقة ، وله علمه المطلق ، وله عدله المطلق . والذهن البشري ، وإن كان محدوداً لا يحيط بالمطلق ، سوف لا يفرز تناقضاً حينما يختاره مثلاً أعلىٰ مطلقاً . إنه يمسك بحزمة من النور المطلق ، إلّا أنه يميز بين ما يمسك به وبين مثله الاعلىٰ الموجود خارج حدود ذهنه .

إن الحركة التي تتولد من اختيار هذا المثل الأعلىٰ المطلق حقيقة ،

(١٢) لاحظ الآية ٣٠ من سورة النور، و ٤١ من سورة العنكبوت، والصفحات ١٦٥ ـ ١٧٥ من المدرسة القرآنية، المحاضرة ١٠.

تتميز عن كل حركةٍ سواها بمجموعة كبيرة من المميزات ، منها الاستمرار ، والتكامل ، والفاعلية ، والشمول ، والقوة ، والانسجام ، وارتفاع العقبات ، وحل التناقضات ، مع توفّر الضمانات الكافية لبلوغ الانسان لأهدافه التي وُجد من أجلها ، والكمال المطلق الذي فطر على النزوع إليه ، والذي لا ينتهي عند حدٍّ من الحدود .

إن المطلق الحقيقي غير محدود ، ومن هنا كان السير نحوه سيراً دائباً لا حدّ له ولا انقطاع من جهة ، وسيراً تكاملياً متسامياً نحو الكمال المطلق ، وهذا هو المنسجم مع فطرة النزوع إلى الكمال المطلق ، ومن هنا ولأجل هذا الانسجام سوف تكون الحركة التكاملية قوية وفاعلة باستمرار ، كما سوف تكون سريعة وذات خطوات عملاقة حينما تقاس إلى غيرها من الحركات . والرصيد الذي تملكه هذه الحركة يُعطي صاحبها قدرةً وصموداً كبيرين امام كل القوىٰ المحدودة ، والتيارات المنحرفة عن هذا المثل الأعلىٰ ، دون تراجع أو انهزام . وباعتبار الإطلاق الواقعي سوف تكون الحركة شاملة لكل أبعاد وجود الانسان ، ولكل مراحل الوجود ، فهي حركة تكاملية في عالم الدنيا ، ولعالم ما وراء هذه الدنيا المحدودة المنتهية والمتصلة بسائر عوالم الوجود .

إن التغيير الجذري الذي يُحدثه الإيمان بهذا المثل الأعلىٰ ، كفيل بحلّ التناقضات الاجتماعية والفردية ، بدءاً من الداخل إلى خارج وجود الفرد ، حلّاً ذا ضمانات قوية وكافية ، يبلغ بالانسان إلى درجة العصمة التي تحول بينه وبين التقهقر والتراجع أمام نزوات الذات ، ومغريات الحياة المادية الصاخبة .

ومن هنا كانت عقيدة التوحيد الخالص هي الأساس لكل تغيير واقعي جذري في المجتمع الانساني ، ولهذا أصبحت اصل الأصول ، وروح الدين الحنيف الذي تمثل في خط الأنبياء علىٰ مدىٰ التاريخ[١٣] .

(١٣) للتفصيل راجع المدرسة القرآنية: ١٧٩ ـ ٢٠٠، الدرس الحادي عشر.

٢٢ ـ التغيير الاجتماعي : عوامله ، قوانينه ، كيفيته

خلق الله الانسان وزوده بفطرة حب الذات والنزوع إلى الكمال ، كما زوده بالعقل القادر على الفهم وتحصيل الرؤية الصحيحة عن الكون والحياة ، مع حرية الإرادة في مجال اختيار الطريق الذي يسلكه في الحياة .

وكل فساد اجتماعي إنما ينشأ من فساد الأجزاء التي يتألف منها المجتمع ، أي فساد الأفراد . قال تعالىٰ : ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس**﴾[١٤] . إذن فساد السلوك الفردي وانحرافه في كل مجتمع هو عامل ظهور الفساد في المجتمع ، كما أن صلاح الأفراد وسلامة سلوكهم هو عامل صلاح المجتمع وسلامته . قال تعالى : ﴿**إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾[١٥] . إذن هناك علاقة طردية بين سلامة الأفراد وسلامة المجتمع ، وفساد الأفراد وفساد المجتمع ؛ فكل تغيير سياسي أو اقتصادي يكون فرعاً ، ويتقوّم بالتغيير المتمثل في سلوك أبناء ذلك المجتمع .

(١٤) الروم : ٤١ .

(١٥) الرعد : ١١ .

وأما سلوك الأفراد فبالإمكان تغييره وتطويره ، تبعاً لتغيير المحتوى الداخلي الذي يمكن تحقيقه من خلال إرادتهم واختيارهم ، عبر قناتي الفكر والعاطفة ، فالرؤية التي تسيطر علىٰ روح الفرد ، والأفكار التي يختارها عن الكون والحياة ، وعن السعادة والشقاء ، والخير والشرّ ، والنقص والكمال ، هي التي تُملي عليه نمطاً خاصاً من السلوك في الحياة . وهكذا يتوقف التغيير الاجتماعي علىٰ تغيير المحتوى الداخلي للأفراد ، بنحو يشكل تياراً اجتماعياً يأخذ بزمام الأمور في مجتمعٍ ما ، ليحدث التغيير المناسب . في ذلك المجتمع ؛ وبهذا تحتاج كل ثورة اجتماعية إلى قاعدة ثورية تتجسد في مجموعة من أبناء المجتمع ، تحمل مشعل التغيير والاصلاح ، بعد أن تكون قد آمنت بفساد الأوضاع أو بفساد المصير ، على أن تملك رؤية واضحة

وعملية لعملية التغيير ، ومنهجاً عملياً تسير عليه الأمة في الحياة . وهكذا سلك الأنبياء في مجال الاصلاح الاجتماعي ، بدءاً بالعمل الثقافي والتغيير الفكري والعقيدي ، فالتغيير الروحي والأخلاقي ، ثم التغيير السلوكي الفردي حتى اكتمال بناء القاعدة الثورية ، ورعاية هذه القاعدة وتربيتها ، والسير بها نحو بناء الدولة والنظام الاجتماعي المتمثل في نظام سياسي وإداري واقتصادي جديد[١٦] .

٢٣ ـ الانهيار الاجتماعي : أسبابه ، سننه

١ ـ ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ [١٧] .

٢ ـ ﴿ الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ [١٨] .

٣ ـ ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾ [١٩] .

٤ ـ ﴿ وما كان ربّك ليُهلك القرىٰ بظلمٍ وأهلها مُصلحون﴾ [٢٠] .

٥ ـ ﴿ وكم أهلكنا من قريةٍ بطِرت معيشتها﴾ [٢١] .

٦ ـ ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ... فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [٢٢] .

٧ ـ ﴿ قال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودن في ملّتنا فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم﴾ [٢٣] .

٨ ـ ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [٢٤] .

٩ ـ ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ... فأهلكناهم بذنوبهم﴾ [٢٥]

١٠ ـ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ [٢٦] .

فالشرك ، والكفر ، والظلم ، والنزاع ، وكفران النعم ، وبطر المعيشة، والفسق ، وكثرة الفساد هي عوامل الانهيار الاجتماعي التي

(١٦) الاسلام يقود الحياة : ١٥٦ ـ ١٦٠ .

(١٧) الروم : ٤١ .

(١٨) الفجر: ١١ ـ ١٣.

(١٩) الإسراء: ١٦ .

(٢٠) هود : ١١٧ .

(٢١) القصص : ٥٨ .

(٢٢) النحل : ١١٢ .

(٢٣) إبراهيم : ١٣ ـ ١٤ .

(٢٤) الأنفال : ٤٦ .

(٢٥) الأنعام : ٦ .

(٢٦) العنكبوت : ٤١ .

كشف عنها القرآن الكريم ، وأشار إلى السنن الاجتماعية التي جرت على المجتمعات البشرية ، ولم تتخلف عنها قيد شعرة .

والانهيار الاجتماعي قد يكون سريعاً ، وقد يكون بطيئاً ، تبعاً لسرعة العوامل وقوّتها في تحطيم عرى المجتمع ، وتفكيك قواه ، وفصم عراه .

وقد أشار القرآن الكريم إلى سنة الاستدراج ، المتمثلة في القسوة التدريجية للقلوب نتيجة للظلم والذنوب ، التي تترك بصماتها على روح الانسان فتبتعد عن الله وعن رؤية الواقع رؤية صحيحة ، نتيجة لتزيين الشيطان والانبهار بزخارف الحياة السُفلى ، وإذا بالانحراف يتفاقم ، وبالتردي يزداد سرعة ، ويتحقق الموضوع لسنة التراكم والدمار التي أشير إليها بقوله تعالى : ﴿ **فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ (٢٧) .

(٢٧) الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥.

٢٤ ـ مراحل تطور المجتمع البشري

الحضانة . الوحدة الفطرية . الاختلاف . الانسجام والوحدة العقائدية .

١ ـ مرحلة الحضانة (والتمهيد لدور الخلافة) :

«قدّر الله لآدم عليه السلام أن يكون هو الممثل الأول للانسانية التي استخلفها على الأرض . وكل طفل يجد في أبويه وجدّهما العائلي الحضانة اللازمة كي يبلغ رشده ، ويستقل في مواجهة مشاكل الحياة وتحقيق أهداف الخلافة ، غير أن آدم كان بحاجة إلى دار حضانة استثنائية يجد فيها التنمية والتوعية ، التي تؤهله لممارسة دور الخلافة على الأرض من ناحية فهم الحياة ومشاكلها المادية ، ومن ناحية مسؤولياتها الخلقية والروحية . وقد عبّر القرآن عن هذه الدار

التي وُفّرت للانسان الأول بالجنة ، إذ حقق الله فيها لآدم وحواء كل وسائل الاستقرار ، وكفل لهما كل الحاجات[٢٨] . وكان لابد في هذه المرحلة من تربية الاحساس الخلقي ، وزرع الشعور بالمسؤولية ، وتعميقه عن طريق امتحانه بما يوجه إليه من تكاليف وأوامر . والتكليف بالإمساك عن شجرة معينة ترويض للانسان على أن يتحكم في نزواته ، ويكتفي من الاستمتاع بطيبات الدنيا بالحدود المعقولة من الإشباع ؛ لأن الحرص هو الأساس لكل ما شهده المسرح بعد ذلك من ألوان استغلال الانسان للانسان . وقد استطاعت المعصية التي ارتكبها آدم وحواء أن تحدث هزّة روحية كبيرة في نفسهما ، وتفجّر في أعماقهما الوجدان الأخلاقي من خلال مشاعر الندم على التفريط بالتكليف الالهي . وهكذا تكامل وعي آدم في وقت نضجت لديه خبرات الحياة المتنوعة . وتعلّم الاسماء كلها»[٢٩] .

ويبدو أن تعليم الأسماء كلها لآدم لم يكن كافياً لتولي مهمة الخلافة ، بل لم يكن بدّ أن يؤمر وينهىٰ ، ويقوم بتجربة واقعية يتضح لديه من خلالها كيفية إغواء الشيطان ، وكيفية التزيين ودعوة الانسان نحو المعصية ؛ ليتسنىٰ له التصدي لهذا الإغواء ، وتجنب طريق الشيطان ، وبهذا سوف يكون مضمون السير نحو الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الحياة . ومن هنا وبعد هذه المرحلة أُهبط آدم إلى الأرض ، وبدأت البشرية خوض مرحلة ثانية علىٰ أساس التوجيه الإلهي والهدىٰ الرباني .

٢ ـ مرحلة الوحدة الفطرية (من الخلافة)

بدأت الجماعة البشرية خلافتها علىٰ الأرض بإنشاء المجتمع الموحد ، علىٰ أساس الفطرة الإلهية التي تتضمن الإيمان بالله الواحد ، ورفض كل ألوان الشرك والطاغوت[٣٠] ، ومارس الأنبياء في هذه المرحلة مهمة الشهيد الرباني من الهداية والتوجيه والرقابة .

(٢٨) البقرة: ٢٩ ـ ٣٩، وطه: ١١٨ .

(٢٩) خلافة الانسان وشهادة الانبياء من الاسلام يقود الحياة: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٣٠) الروم : ٣٠ .

٣ـ مرحلة الاختلاف

وبعد فترة من الزمن بدأ التنافس والتناقض والاستغلال والسيطرة والتملك ، إذ نمت خبرات الأفراد المتفاوتة في الاستعداد ، وظهر الفساد وسفك الدماء واختلاف المواقع الاجتماعية ، وانقسم المجتمع الموحّد إلى أقوياء وضعفاء ومتوسطين ، ومستغلّين ومستضعفين ، ومن هنا كانت الثورة على يد الأنبياء من أجل إعادة مجتمع التوحيد من جديد ، على أساس وعي أعمق من أساس الفطرة ، لاستئناف الجماعة دورها الرباني في خلافة الله على الأرض[٣١] .

(٣١) الاسلام يقود الحياة: ١٥٤ ـ ١٥٦.

إن مرحلة الاختلاف في المرحلة الطويلة في تاريخ البشرية ، وهي مرحلة حاسمة ؛ إذ تتكامل من خلالها البشرية ، ويتم نضجها المطلوب في مجال تحقيق أهداف الخلافة الربانية على الأرض .

إن الأهداف العليا للخلافة إنما تتجسد بشكل كامل في مجتمع متضامن منسجم ، متوحّد على أساس الوعي الكامل ، وعلى أساس العقيدة الصحيحة ، والثقافة الموحّدة ، والإيمان بالتوحيد إيماناً يسيطر على كل خلايا الحرص الهابط ، وعلى كل النزوات ، وعلى كل أسباب التشتت والتناقض والصراع ، لينتهي بالانسانية إلى تفجير كل طاقاتها في سبيل الهدى والخير ، ويحول دون تشتت طاقاتها أو اضمحلالها أو ركودها توقفها أمام المسيرة التكاملية الرشيدة .

ومن هنا كانت الحرية (حرية الإرادة) أصلاً ثابتاً في حركة الانسان التكاملية ، وكانت المسؤولية على أساس الإيمان بهذه الحرية ، التي لابد لها من ضريبة ، ولابد من فجوات وثغرات ، ولابد لهذه الثغرات من علاج ، «وأكبر الظن أن هذه الحقيقة هي التي اثارت في نفوس الملائكة المخاوف من مصير هذه الخلافة ، وإمكانية انحرافها عن الطريق السوي إلى طريق الفساد»[٣٢] ، ولكن الملائكة فاتهم أن هذا الكائن الحر لا تعني حريته إهمال الله له ، بل تغيير شكل الرعاية

(٣٢) الاسلام يقود الحياة: ١٣٨ .

والتربية ، وذلك من خلال التعليم والتربية على ضوء الهدى الإلهي ، والكتاب المنير ، والانبياء الشهداء على هذه المسيرة التي تبتنى على مبدأ حرية الإرادة في هذه الحياة . ومن هنا كان خط الشهادة المتمثل في القيادة الربانية على يد الأنبياء والرسل ، من أجل صيانة الانسان الخليفة عن الانحراف ، وتوجيهه نحو أهداف الخلافة الرشيدة[٣٣] .

والشهيد مرجع فكري وتشريعي مشرف على سير الجماعة ، ومنسجم مع الرسالة الربانية ، ومسؤول عن التدخل لتعديل المسيرة وإعادتها إلى طريقها الصحيح ، إذا وجد انحرافاً في التطبيق . وقد صنّف القرآن الكريم الشهداء إلى نبيين وربانيين وأحبار ، أي الائمة والعلماء الذين استوعبوا الرسالة استيعاباً معمّقاً ، بحيث يتحكم في كل سلوكهم ، ويجرّدهم من تحكم الهوى في تصرّفاتهم ؛ ليتسنى لهم تسلم خط الشهادة ، وتزعّم القيادة الرشيدة في حالة غياب الإمام المعصوم ، والنبي المعصوم .

وهكذا تستمر العملية التربوية التي أوكلت مهمتها للأنبياء ، بإعطاء قيادتها إلى خلفائهم وخلفاء خلفاءهم ، حتى تتهيّأ البشرية للدخول إلى الدور الجديد من أدوار تطوّر المجتمع البشري ، وهو دور استتباب الأمن على أساس الوعي والإيمان ، الذي بشّرت به الآيات القرآنية المباركة في سورتي النور والقصص[٣٤] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ملامح هذا الدور المتمثل في حكومة الصالحين على أرجاء المعمورة تحت راية لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله[٣٥] .

* * *

(٣٣) م . ن: ١٤٤ ـ ١٤٨.

(٣٤) النور: ٥٥، والقصص: ٥.

(٣٥) ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾. راجع بحث حول المهدي للشهيد الصدر.

نقد

قراءة في الإصلاح والإصلاح الديني

* الشيخ علي السبتي (كندا)

يروق للبعض[1] أن يرقى منبر النقد والتقويم لا لتطوير فكرة، والوقوف على نقاط الضعف ومواطن الخلل فيها لمعالجتها، والتغلب عليها عن طريق إبداء نظر متين ورأي حكيم للوصول إلى الأمثل والأحسن، ولكن لإثارة جملة من المبهمات والإشكالات، وإغراق الموضوع بعبارات ومصطلحات أبعد ما تكون عن هدف عملية النقد، وهو معالجة الفكرة وتطويرها وتقويمها.

وهذا ما وقع فيه البعض عند طرح بعض القضايا على مائدة النقد والنقاش، خصوصاً عندما تكون تلك القضايا مدار بحث وجدال شهدته ساحات المنازلات الفكرية في الآونة الاخيرة.

ونحن هنا نحاول أن نسلّط الضوء على بعض ما ينشر بين الفينة والأخرى حول مسألة الإصلاح والتجديد في الفكر الديني، لاستكشاف الموقف الحقيقي والسليم، دون الاستغراق في طرح الشعارات والكلمات الرنانة والمصطلحات الحديثة، حرصاً على

(١) إشارة إلى ما نشر في أسبوعية المغترب التي تصدر في كندا في أعدادها ١٢٣ ـ ١٢٦.

سلامة الفكرة ، وإيماناً بضرورة إفشاء روح النقد البناء ، دون الوقوع في مزالق التحديث والخلط المفاهيمي .

ومن خلال ما طرح حول هذا الموضوع ، أمكننا مناقشة وتلخيص الإشكالات والمآخذ في خمسة محاور رئيسية ، هي كالتالي :

أولاً:

اعتبار معالجة مسألة الإصلاح في المؤسسات الدينية إصلاحاً دينياً ، وقد وقع في هذا الخلط كثير من الكتاب ، مما أدّىٰ إلى خطأ مفاهيمي فادح . والفارق بين الأمرين بيّن وواضح ؛ فالإصلاح الديني هو عملية تغيير للأسس والمنطلقات ، والتصورات التي يحملها دين من الأديان عن الكون والحياة ، وعلاقات الناس وادوارهم وغير تلك ، وبعبارة أخرىٰ هو عملية هدم وبناء وترميم ـ وفق ما يقتضيه الإصلاح ـ لتلك الأمور ، مما قد يعرّض جوهر الفكرة إلى المسخ أو النسخ والتغيير والتحريف . أما إصلاح المؤسسات الدينية فهو عملية تخليصها من الفساد الإداري ، وحالات الفوضىٰ والضياع التي تهدد دورها ، والغاية المرجوة من وجودها ، وتحولها إلى شركات انتفاعية تعيش الإحباط والتخلف والرجعية ، لذا نحن نتفق مع الدعوات إلى إصلاح المؤسسات الدينية ، أو إلى نقد التفسير الديني الذي يبرر وجود تلك المؤسسات ، ولكن بشرط عدم التعدي في النقد إلى المس بنفس المقدسات الدينية المسلَّمة ، التي يقرّها ويثبتها نص القرآن الصريح أو السنة النبوية القطعية السند ، لا لأننا نؤمن بدكتاتورية في عالم الفكر ، وإنما لأن لكل حوار بنّاء أسساً ومقومات ينطلق منها ليعالج ما استعصىٰ أو أشكل عليه ، أو لم يتقبله الذوق العقلي . أما عندما نعمد إلى نسف تلك الأسس وإنكار تلك المقدمات ، فعندها لن يكون هناك سبيل لحوار بنّاء مفيد ، وإنما لهذيان فكري ، وجدال عقيم لا يولد إلّا ضياعاً وتشتتاً لا يرجىٰ بعده سبيل ؛ إذ يمكن ادعاء

تصحيح التفسير بالحدود التي وضعها الشارع المقدس ؛ لأنه ـ أي التفسير ـ نتاج بشري .

ولتقريب المعنىٰ أكثر نذكر نموذجاً من الخلط والتشويش الذي وقع فيه بعض دعاة التجديد والإصلاح ، عندما أرادوا تحليل واحدة من ثوابت العقيدة الاسلامية وهي العصمة ، ومما قالوا فيها أنها نتاج خليط غير متجانس بين التاريخي والفقهي والكلامي ، وأنها صنيعة قوىٰ الاستبداد السياسي والديني .

أليس من الواضح جداً أن أصحاب الاعتقاد بالعصمة ، بما تمثل من حاجة بشرية إلى القدوة والنموذج والمثال الرفيع المنزّه ، كانوا هم علىٰ الدوام وفي معظم حقب التاريخ ضحية ذلك الاستبداد ولقمته السائغة ؟ ، ثم كيف لنا الوصول إلى النصوص الصحيحة ـ وهي التي يركز عليها دعاة الإصلاح باعتبار الاعتماد عليها في التغيير ـ وحَمَلة هذه النصوص ومبلغوها لا يتمتعون بالعصمة التي تؤمن من وقوعهم في السهو أو الغلط أو الاشتباه والنسيان ؟ ، وهل يمكن الحديث عن نصوص صحيحة إذا انتفت العصمة ؟ .

أو عندما يتحدثون عن الشورىٰ باعتبارها من مظاهر العدالة والحرية ، اللتين يتبجح بهما دعاة الإصلاح ، فلا ندري عن أي شورىٰ يتحدثون . إذا كان المقصود ما أراده القرآن الكريم في سورة الشورىٰ بقوله : ﴿**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورىٰ بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[٢] ، وما قبلها وما بعدها من الآيات الكريمة، فهو مدح لسلوك المؤمنين ، لا منح صلاحية التشريع أو النصب أو العزل ؛ لأنها من مهمات الرسولﷺ المسدَّد والملهَم ، ولا يمكن إيكالها إلى غيره ؛ لأنها تؤدي إلى نتائج مصيرية علىٰ مستوىٰ الأمة ، ثم إن سياق الآيات السابقة لها وتفسيرها الموضوعي ، لا يساعدان علىٰ هذا المعنىٰ المهم والخطير في حياة أي جماعة بشرية . وكان دعاة الإصلاح والتغيير كثيراً ما يتحدثون عن الواقع باعتباره

(٢) الشورىٰ : ٣٨ .

حاكماً مسلطاً على الأفكار والعقائد ، فهلا نظرنا إلى واقع الشورى في صدر الاسلام ، وما آلت إليه من تكريس نخبوي طامح لا يقوم على أساس كفاءة واستحقاق وجدارة ، بقدر ما يقوم على مصادرات وترتيبات واتفاقات مسبقة ، أدّت فيما بعد إلى اختزال الأمة إلى ستة أشخاص ، مما أدى إلى إلغاء تام لمعنى الشورى ، مبقياً على شكلها ولفظها فقط ، هذا إذا سلمنا أن المقصود منها هو الأخذ بآراء الأمة من خلال أهل عقدها وحلها ، في مسائل مصيرية تتوقف عليها سلامة المسيرة وقداسة اهدافها . أما التشاور فيما عدا ذلك من أمور الحياة والمعاش ، فهو مشاركة للرجال في عقولها ، وأمر محبب للفطرة الانسانية ، ولا يعترضه أو يعارضه أحد في حدود ما نعتقد .

ثانياً:

الفصل بين الدين ورجاله ، وذلك «لأنهم أقل الطبقات الاجتماعية ثقافة وعلماً ، وشعوراً بالمسؤولية تجاه قضايا المصير والهوية والانتماء والتاريخ والأرض» ، وهذا تعميم ظالم وغير منصف ، وقد لا نحتاج إلى كبير جهد لكي نبطل هذه الدعوة ؛ فرجال الدين هم جمهور من جملة جماهير المجتمع في كل مكان ، وفيهم الصالح والطالح والعالم والجاهل ، كما في جمهور الأطباء والمحامين والكتاب والفنانين ، ووجود شواذ في قاعدةٍ ما لا يلغي القاعدة من أساسها ليؤسس لنقيضها ، ولو وجد الإنصاف والموضوعية عند أي محقق أو مدقق ، لدعياه إلى القول ـ إذا استثنينا المصداق الرئيسي المتمثل بعلماء الدين الربانيين المتخصصين ـ بأن من رجال الدين المسلمين شعراء وخطباء وأطباء وفلكيين وزعماء وقادة سياسيين ، كان لهم الدور الأبرز في حركات التحرر والنهضة ومواجهة الاستعمار والتبعية ، وإننا لفي غنىً عن ذكر بعض أسمائهم ومناقبهم ؛ إذ إن تاريخنا الاسلامي زاهر وحافل ببطولاتهم وأمجادهم منذ الصدر

الأول للاسلام إلى يومنا هذا . فبأي منطق وبأي عقل يُتهم رجال الدين بأنهم أقل الطبقات الاجتماعية شأنا ؟! ﴿ألا ساء ما يحكمون﴾ .

ثالثاً:

الدعـوة إلى الفصل الزمـاني والمكـاني فـي الأحكـام الشـرعية ، والركون إلى الواقعية في تـبيين الأحكـام ، وهـذا يـعني أن لكـل أمـة أحكـاماً ورسـالة خـاصة بـها ، ورجـالاً يـختلفون عـن رجـال الأمـم الأخرىٰ ، تصديقاً لقوله تعالىٰ : ﴿**وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم**﴾ (٣) .

(٣) إبراهيم : ٤ .

إن هذه الدعوة ليست الأولى من نوعها ، وإن أسواق البعض مـن الكتاب المسلمين أدعياء الحداثة رائجة بمثل هذه الدعاوىٰ والأفكـار ، وهي ردّ فعل علىٰ واقـع الهـزيمة والتـخلف الذي يـعيشه الكثير مـن البلدان الاسلامية ، وتفتقر إلى تشخيص المشكلة ، فالفصل الزمـاني والمكاني لا يمكن أن يتخذ منهجاً وقاعدةً لا يتخلّفان ؛ لأن أحداً لا يقبل مقولة رفض الموروث أو دفنه في المـاضي ، لأنـه عـاش فـي زمـان ومكان يختلفان الآن عن زماننا ومكاننا ، فالحاضر هو لحظة استكمال للـماضي ، والمستقبل هـو استمرار دفـعي للـماضي . أمـا إذا كـان المقصود هو أن تؤخذ بعين الاعتبار ، عند تبيين الأحكـام ، مـدخلية الزمـان والمكـان فـيها ، فـهذه المسألة مـطروحة الآن فـي مـعاهدنا الاسلامية وحوزاتنا العلمية ، لا سيما عـند مـدرسة أهـل البيت عليهم السلام ، تحت عنوان تقسيم الأحكام الشرعية إلى ثابت ومتغير ، وقد أشار إلى هذه النظرية العديد من الفقهاء ، نذكر من بينهم العلامة السيد مـحمد حسين الطباطبائي ، فـقد كـتب فـي بـحثه عـن الولايـة والقيادة فـي الاسلام : «تـنقسم الأحكـام الاسـلامية ـ كـما اتـضح ـ إلى قسـمين ، وبعبارة أخرىٰ يطبق في المجتمع الاسلامي نوعان من الأحكام :

النوع الأول هي الأحكام الإلهية وقوانين الشريعة ، وهذه عناصر ثابتة وأحكام غير قابلة للتبدل والتغيير . لقد نزلت هذه الأحكام وحياً إلهياً إلى النبي الاكرم لتكسب عنوان الدين الأبدي غير القابل للنسخ ، وهي واجبة على البشر أبداً ، وستبقى كذلك إلى الأبد .

النوع الثاني هي الأحكام التي تنبثق من مركز الولاية ، فتوضع وتنفّذ بحسب مصلحة كل عصر . طبيعي قد اتضح أن هذا اللون من الأحكام يستتبع في بقائه وزواله مقتضيات العصر ومتطلباته ، وهي تتغير جزماً مع التقدم الحضاري ، وما يطرأ من تغيير في المصالح والمفاسد . أجل الذي لا يتغير كما سيأتي هو أصل الولاية بذاته ؛ لأنه من الأحكام الإلهية ومن عناصر الشريعة ، وبالتالي هو لا يخضع للنسخ والتغيير»[٤] .

لذلك يمكن القول إن تجربة الحكومة الاسلامية المعاصرة ترتكز على هذه النظرية وتستفيد منها . أما الاستدلال بالآية الكريمة : ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم﴾[٥] ، فلا يصلح أن يكون تأييداً للكيانات والقوميات داخل الكيان الاسلامي الكبير ، ولا للقيادات المحلية بديلاً عن قيادة وخلافة وإمامة عامة ، بل إن مغزاها هو أن على الرسول ﷺ ، لكي ينجح في تبليغ رسالته ، أن يستخدم اللغة التي هي لغة ولسان القوم المبلَّغين ، لا أن يكون من عرقهم أو قبيلتهم أو ضمن حدودهم السياسية المصطنعة .

(٤) بحوث اسلامية ١ : ١٨٠ ـ ١٨١، مؤسسة الاعلام الاسلامي.

(٥) إبراهيم : ٤ .

رابعاً:

التضخيم والمبالغة في وصف الحالات السلبية التي تعتري المعاهد الدراسية والحوزات الاسلامية ، وتعميم بعض الظواهر الشاذة ، وتجاهل الدور الهام الذي لعبته الحوزات والمدارس الدينية عبر العصور ، وذلك بإبقائها على باب الاجتهاد مفتوحاً ، خصوصاً

عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، واعتبارها العقل مصدراً رابعاً من مصادر التشريع بعد القرآن والسنة والإجماع .

إن هذا الدور الذي يساهم مساهمة فعّالة في إبقاء الشريعة حية تواكب الحدث وتعايش الزمن ، ما كان لولا الحوزات وعقول أصحابها . ولا مبرر لهذا التحامل والتطاول تحت ستار عناوين ومبررات إصلاحية ؛ لأن الإصلاح والحرص عليه يبدأ بعملية طرح للأفكار ، والترويج لها وتبيينها داخل الجسم المعالج ، وفي أروقته ومكامن حاجته ، وهذا ما يقوم به الحريصون حقاً على مستقبل المؤسسات الدينية والحوزات العلمية ، وذلك من خلال إعدادهم لمناهج دراسية جديدة ، وطرحهم لكتب ومتون علمية منقحة ومشذبة ، وتحويلهم نظام الحوزة الدراسي من نظام حر تسوده الفوضىٰ أحياناً ، إلى نظام إداري منضبط تسود فيه أجواء أكاديمية وعلمية .

خامساً :

اتهام الحوزة العلمية بأنها «لم تعتبر الأخلاق علماً مستقلاً بذاته» ، وهذا الاتهام يعبر عن عدم الفهم لحقيقة الأخلاق في الاسلام ؛ فاعتبار الأخلاق علماً مستقلاً بدأ بفلاسفة الإغريق ، الذين سبقوا في الكتابة عن الأخلاق ناظرين إليها موضوعاً نظرياً لا سلوكاً تربوياً عملياً . أما الأخلاق في الاسلام فهي هدف كل التشريع وروح كل العلوم ومقصد الرسالة ومبتغاها ، وهذا ما عبر عنه النبي صلى الله عليه وآله بقوله : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق**» ، فالأخلاق في عقيدتنا ممارسة عملية يفترض أن تتحكم بكل تصرفاتنا العبادية والمعاملية ، ما دام الله تعالىٰ يرىٰ وتحصي ملائكته من الانسان أفعاله ، بل الأهم من ذلك هو أن الله وحده هو الكمال المطلق ، ونحن الناقصون الساعون الكادحون . قال تعالىٰ : ﴿**يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾[٦] للوصول إليه

(٦) الانشقاق : ٦ .

لا في مكان ، ولقائه لا بملاقاة الوجود ، فقد جل وعلا عن ذلك علواً كبيراً سبحانه ، ولكن نصل إلى مستوىٰ التنزّه والتطهر والترفع عن كل رذيلة ونقيصة ، ونلاقيه عندما تلتقي صفاتنا الأخلاقية بصفاته الربانية ، وترتقي أرواحنا إلى سدرة المنتهىٰ .

إن هذا الفهم للأخلاق لا يستدعي بالضرورة وجود كتاب يحويها ، بل إن الفقه بمسائله يتضمن أخلاقاً والتزاماً بحدود وطاعات ، والعقائد بمسائلها تركز الأخلاق وتجذرها ، والقرآن بمضامينه يضرب لنا الأمثلة والنماذج ، ويطرح لنا القدوة والأسوة عن النبي ﷺ وعترته عليهم السلام وأصحابه الذين اتبعوه بإحسان ؛ لحثنا علىٰ التشبه بهم والسير علىٰ خطاهم ، والعبادات تزكي القلوب وتنهاها عن الفحشاء والمنكر ؛ لتفيض أبداً بأخلاق سامية رفيعة .

إن كل هذه العلوم موجودة في الحوزة ، ولها رجالها وحلقاتها وروادها ، فهل المطلوب أن تقام دروس في كتب الأخلاق لنقول بعدها بوجود أخلاق في الحوزة ؟

إن وجود أمراض أخلاقية في الحوزة كالغيبة والحسد وغيرها ، يؤكد مرة أخرىٰ أن مجتمع الحوزة هو جزء لا يتجزأ من المجتمع البشري ، وأن أهله هم أبناء عامة الناس ، يبدر منهم ما يبدر من أولئك ، فلا يمكن القول بأن هناك حزاماً سحرياً يحيط بالكيان العلمي للحوزة ، ويحوّل في مدة قصيرة كل من دخله إلى ملاك لا يعصي الله ما أمره . نعم ، يتوقع الكل امتيازاً لأهل العلم عن غيرهم ، ولكن هذا منوط بالعمل لا بنفس العلم . قال الله تعالىٰ : ﴿ **مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ (٧) .

(٧) الجمعة : ٥ .

وأخيراً إذا كانت الحوزة تفتقر إلى الأخلاق وإلى القيم والمثل ، فمن أين يتخرج هؤلاء الربانيون والصالحون والشهداء ، الذين يروون الأمة بعلمهم وتقواهم ودمائهم علىٰ امتداد تاريخها ؟! .

فنون وآداب

قصيدة نهج النجاة

سفيان بن مصعب العبدي

هو أبو محمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي . من شعراء القرن الثاني الهجري ، وقد اختلف في سنة ولادته ووفاته ، وذكرت كتب الرجال أنه عُمّر تسعين عاماً .

وقع الاشتباه في شعره ، فبعضه نسب لابن حماد العدوي وبعضه للمضجّع .

قال عنه الامام الصادق عليه السلام : «علّموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله» .

وقال عنه السيد الحميري : «أنا أشعر الناس إلّا العبدي» .

كتب عنه الحسين بن علي الازدي الكوفي كتاباً سماه أخبار سفيان العبدي وشعره .

قيل عنه إنه كان يعرف مواقع الكلام ونقد الشعر .

يمتاز شعره بالجزالة والسهولة والعذوبة والمتانة في السبك ، واحتوائه على معاني الحديث والسنّة .

استخدم أسلوب الحوار الداخلي في القصيدة ، كالسؤال والجواب والاستفهام وغيره .

حاول الاقتصار على استخدام الألفاظ المأنوسة ، الواضحة المعنى الخفيفة على اللسان والسمع .

تخمّن وفاته من عدة قرائن أنها كانت بين عامي ١٦٠ و ١٧٠ هـ .

« هذه القصيدة قالها في أهل البيت عليهم السلام »

هل في سؤالك رسمَ المنزل الخربِ
برءٌ لقلبك من داء الهوىٰ الوصبِ[1]
أم حرُّه يوم وشك البين يُبرده
ما استحدرته النوىٰ من دمعك السربِ

(١) الوصب : الوَجِع المريض، ويبدو أنها صفة لقوله :«قلبك».

هــيهات أن يُــنفد الوجــدَ المـثير له
نأيُ الخــليط الذي ولّــىٰ فـلم يَـؤُبِ
يا رائد الحيِّ حسبُ الحيّ مـا ضـمنت
له المـدامـع مـن مـاء ومـن عُشُبِ(٢)
ما خلتُ من قبل أن حالت نوىً قُـذُفٌ
أنَّ العيونَ لهـم أهـمىٰ مـن السـحُبِ(٣)
بانوا فكـم أطـلقوا دمـعاً وكـم أسـروا
لُــبّاً وكـم قـطعوا للـوصل مـن سـببِ
مــن غــادرٍ لم أكــن يـوماً أُسرّ له
غدراً وما الغدر من شأن الفـتىٰ العـربي
وحـافظ العـهد يـبدي صـفحَتَي فـرح
للكـاشحين ويـخفي وجـه مكـتئبِ(٤)
بــــانوا قــــباباً وأحــباباً تــصونهم
عن النواظـر أطـراف القـنا السَّـلِبِ(٥)
وخــلّفوا عــاشقاً مـلقىً ربـىً خـلِساً
بطرفه حِذر من يـهوىٰ فـلم يُـصبِ(٦)
ألقــىٰ النــحولُ عــليه بُــردَه فــغدا
كأنه ما نسـوا فـي الدار مـن طُـنُبِ(٧)
لهفي لما استودعت تـلك القـباب ومـا
حجبن من قُـضُب فـيها ومـن كـتبِ(٨)
من كل هـيفاء أعـطاف هـضيم حشـاً
لعســاءَ مُــرتَشَف غــرّاءَ مُـنتَقَبِ(٩)
كأنّــــما ثــــغرها وهــناً وريــقتها
ماضمّت الكأس من راح ومن حَبَبِ(١٠)

(٢) الرائد : من يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث.
(٣) نـوىً قُـذُف : نـاحية بعيدة.
(٤) الكــاشح: العــدو المبغض.
(٥) القباب: جمع قُبّة، وهي خـيمة صـغيرة أعـلاها مستدير. السَّلب : الطويل.
(٦) ملقىً ربىً: ملقىً ارضاً، والربىٰ في الأصـل: جـمع ربــوة، خـلساً: يـختلس النظر.
(٧) الطنب: الحبل يُشدّ بـه الخباء.
(٨) القُضب: جمع قـضيب، وهو الغصن.
(٩) هيفاء: دقيقة الخـصر ضـامرة البطن، ومـثلها هضيم.
(١٠) وهناً: فتوراً. الحبب: ما يعلو الشراب من فقاعات.

وفـي الخـدور بـدورٌ لو بـرزنَ لنـا
بـرّدن كـل حشـاً بـالوجدِ مـلتهبِ
وفـي حشـاي غـليل بـات يـضرمه
شوق إلى بردِ ذاك الظَّـلْمِ والشَّـنَبِ(١١)
يا راقد اللوعةِ اهـبب مـن كـراك فـقد
بان الخليط ويا مـضنىٰ الغـرامِ تُبِ(١٢)
أمـا وعـصر هـوىً ذبّ العـزاء له
ريب المـنون وغـالته يـد النُّـوَبِ
لأشـرقنّ بـدمعي أن نأت بـهم
دارٌ ولم أقضِ ما في النـفسِ مـن أَرَبِ
ليس العـجيب بأن لم يـبقَ لي جَـلَدٌ
لكـن بـقائيْ وقـد بـانوا مـن العـجَبِ
شبتُ ابـنَ عشـرين عـاماً والفـراق له
سهم متىٰ ما يُصبْ شـملَ الفـتىٰ يشِبِ
ما هـزّ عـطفيَ مـن شـوقٍ إلىٰ وطـني
ولا اعترانيَ مـن وجـدٍ ومـن طـرَبِ
مـثل اشـتياقيَ مـن بـعدٍ ومـنتزح
إلىٰ الغـريِّ ومـا فـيه مـن الحسَبِ(١٣)
أزكىٰ ثرىً ضـمّ أزكـىٰ العـالمين فـذا
خـير الرجـال وهـذي أشـرف التُّـرُبِ
إن كان عـن نـاظري بـالغيب مـحتجباً
فـإنه عـن ضـميري غـير مـحتجبِ
مـرّت عـليه ضـروع المـزن رائـحة
مـن الجـنوب فـروّته مـن الحَـلَبِ(١٤)

(١١) الظلم: ماء الأسنان وبريقها. الشنب: جمال الثغر وصفاء الأسنان.

(١٢) ثُب: عُد إلى رشدك.

(١٣) المنتزح: موضع البُعد، الغري: النجف الأشرف الذي يضم جسد الامام علي عليه السلام الطاهر.

(١٤) الضروع: استعارها الشاعر للسحائب. الحَلَب في الأصل هو اللبن، وقد استخدم بمعنىٰ المطر لمناسبته الضروع.

مـــن كـــلِّ مُـقرَبة إقـــراب مُـــرزِمة
إرزامَ صـــاديةِ الأزوار والقِـــرَبِ[١٥]

يُـقذىٰ بـها حـرُّ نـيران البـروق ومـا
لهـن تـحت سَـجالِيها مـن اللـهبِ[١٦]

حـتىٰ تـرىٰ الجَـلعَد الكـوماء رائـحة
ممغوطة النِّسع ضَمْراً رِخوة اللَّـبَبِ[١٧]

بل جاد ما ضمّ ذاك الترب مـن شـرف
مُزنُ المدامع مـن جـارٍ ومـنسكبِ[١٨]

تـــهفو اشـــتياقاً إليـــه كـل جـارحـة
منّي ولا مـثل مـا تـحتاج فـي رحَبِ

ولو تكـــون ليَ الأقـــدار مســـعدةً
لطـاب لي عـنده بـعدي ومـقتربي[١٩]

يـــا راكـــباً جسـرةً تـطوي مـناسمها
مُـلاءة البـيد بـالتقريبِ والخَـبَبِ[٢٠]

هـــوجاء لا يـــطعم الأنـضاءَ غـاربُها
مسرىً ولا تشتكي من مؤلمِ التعبِ[٢١]

تـــقيّد المُـــغزِلَ الأدمـــاء فـــي صُعُدٍ
وتُطلح الكاسر الفتخاء فـي حَـبب[٢٢]

تـــثني الريـــاح إذا مـــرّت بـــغايتها
حسرىٰ الطلائع بالغيطان والهِـضَبِ[٢٣]

بـــلّغ ســـلامي قـــبراً بـــالغريِّ حـوىٰ
أوفىٰ البـريّة مـن عُـجْم ومـن عَـرَبِ

واجـــعل شـــعارك للّـــه الخشـوع بـهِ
ونـــادِ خـــير وصـيٍّ صـنو خـير نـبي

(١٥) المقرَبة هنا: الممتلئة بالمطر. المـرزمة: شـديدة صوت الرعد. الأزوار: جمع زير، وهو حبّ الماء.

(١٦) الســـجالي: الدّلاء الضخمة.

(١٧) الجـلعد: يـريد النـاقة الصُلبة الشديدة. الكـوماء: العـظيمة السَّـنام، النِّسـع: سير عريض طويل يشدّ به الرحل أو نحوه، وممغوطة النّسع: كناية عـن ضـمور بـطنها، ومـثلها: رخـوة اللَبَب، وهـو مـا يُشدّ فـي صدر الدابـة ليـمنع تأخّـر الرحل والسرج.

(١٨) جاد: أصاب بالمطر.

(١٩) مسعدة: معينة.

(٢٠) الجســـرة: النـــاقة العظيمة. ملاءة البيد: يريد رمالها. التقريب: من مشي النوق.

(٢١) هـــوجاء: مســـرعة. الأنضاء: الهزلى.

(٢٢) تقيّد: تُعيي. المـغزِل: الظبية التـي ولدت غـزالاً. تـطلح: تُـتعب. الكـاسر الفـتخاء: العـقاب اللـيّنة الجناحين. حبب: انحدار.

(٢٣) الغيطان: جمع غَـوط، وهو المنخفض الواسع من الأرض. الهـضب: جـمع هضبة.

اسمع أبا حسنٍ إن الألىٰ عدلوا
عن حكمك انقلبوا عن خير منقلبِ
ما بالهم نكبوا نهج النجاةِ وقد
وضّحتَه واقتفوا نهجاً من العطَبِ(٢٤)
ودافعوك عن الأمر الذي اعتقلت
زمامَه من قريش كفُّ مغتصِبِ(٢٥)
ظلت تجاذبها حتىٰ لقد خَرَمت
خِشاشَها تربتْ من كفّ مجتذِبِ(٢٦)
وكان بالأمس منها المستقيل فلِمْ
أرادها اليوم لو لم يأت بالكذبِ
وأنت تُوسعه صبراً علىٰ مَضَض
والحلم أحسن ما يأتي مع الغضبِ
حتىٰ إذا الموت ناداه فأسمعه
والموتُ داع متىٰ يدعُ أمراً يُجِبِ
حَبا بها آخَراً فاعتاض محتقب
منه بأفضع محمول ومحتقَبِ(٢٧)
وكان أولَ من أوصىٰ ببيعته
لك النبيُّ ولكن حال من كَثَبِ
حتىٰ إذا ثالث منهم تقمّصها
وقد تبدّل منها الجدّ باللعبِ
وكان عنها لهم في خمَّ مزدَجرٌ
لمّا رقىٰ أحمد الهادي علىٰ قَتَبِ(٢٨)
وقال والناس من دانٍ إليه ومن
ثاوٍ لديه ومن مصغٍ ومرتقبِ

(٢٤) نكبوا: مالوا وانحرفوا.

(٢٥) اعتقلت: يريد أخذت واغتصبت.

(٢٦) الخِشاش: عود يجعل في أنف البعير يشدّ به الزمام.

(٢٧) المحتقب: يقال: احتقب الأمرَ إذا احتمله، واحتقب الإثمَ إذا ارتكبه.

(٢٨) القتب: الرحل الصغير علىٰ قدر سنام البعير.

قــم يــا عـلي فـإني قـد أُمرتُ بأن
أُبــلّغ النــاس والتــبليغ أجــدر بـي
إنــي نــصبت عــلياً هــادياً عَــلَماً
بــعدي وإن عــليّاً خــير مــنتصِبِ
فــبايعوكَ وكــلٌّ بــاسطٌ يــده
إليكِ مــن فـوق قـلبٍ عـنك مـنقلِبِ
عــادت كـما بـدأت شـوهاءَ جـاهلة
تــجرّ فــيها ذئــاب أَكــلة الغَــلَبِ
عــافوك لا مــانعٌ طَــولاً ولا حـصِرٌ
قــولاً ولا لهــجٌ بــالغش والرّيَبِ[٢٩]
وكـنت قُـطْب رحـىٰ الاسـلام دونـهمُ
ولا تــدور رحــىً إلّا عــلىٰ قُــطُبِ
إن تــلحظ القِـرنَ والعسّـال فـي يـدهِ
يظلّ مـضطرباً فـي كـفٍّ مـضطربِ[٣٠]
وإن هــززت قــناةً ظــلتَ تـوردها
وريـد مـمتنعٍ فـي الروعِ مـجتنبِ[٣١]
ولا تســلّ حســاماً يــوم مــلحمة
إلّا وتــحجبه فــي رأس مــحتجبِ
كــيوم خــيبر إذ لم يــمتنع رجــل
مــن اليــهود بــغير الفــرّ والهــربِ
فأغــضب المــصطفىٰ إذ جــرّ رايـته
علىٰ الثرىٰ ناكصاً يهوي عـلىٰ العـقِبِ
فــقال إنــي سأعــطيها غــداً لفــتىً
يــحبّه اللّــهُ والمــبعوثُ مــنتجَبِ

(٢٩) الطــول: الفــضل. الحصِر: العيي في مـنطقه الذي لا يقدر علىٰ الكلام.

(٣٠) قرن الإنسان: مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغيرذلك. العسّال: الرمح الليّن.

(٣١) الروع: الحرب.

حتىٰ غدوت بها جذلان معتزماً
مَظِنّةَ الموت لا كالخائف النجِبِ[٣٢]

تلقاء أرعن جرارٍ أحمَّ دجٍ
مَجرٍ لُهام طحون جحفل لَجِبِ[٣٣]

جمّ الصلادمِ والبيضِ الصوارم والز
رق اللهاذم والماذيّ واليَلَبِ[٣٤]

والأرض من لاحقيّات مطهمة
والمستظل مثار القَسطَل الهَدِبِ[٣٥]

وعارض الجيش من نَقْع بوارقه
لمع الأسنة والهندية القُضُبِ[٣٦]

أقدمتَ تضرب صبراً تحته فغدا
يصوب حزناً ولو أحجمت لم يَصُبِ[٣٧]

غادرتَ فرسانها من هاربٍ فَرِقٍ
ومُقْعَصٍ بدم الأوداجِ مختضِبِ[٣٨]

لك المناقب يعيا الحاسبون لها
عدّاً ويعجز عنها كل مكتتِبِ

كرجعة الشمس إذ رمت الصلاة وقد
راحت تَوارىٰ عن الأبصارِ بالحجُبِ

رُدّت عليك كأن الشمس م اتضحت
لناظرٍ وكأنّ الشمسَ لم تغِبِ

وفي براءةَ أنباءٌ عجائبها
لم تُطوَ عن نازحٍ يوماً ومقتربِ[٣٩]

وليلة الغار لمّا بتَّ ممتلئاً
أمناً وغيرُك ملآنٌ من الرُعُبِ

(٣٢) مظنة الشيء: موضعه الذي يظن وجوده فيه.

(٣٣) يقال: جيش أرعن: عظيم جرّار، أو مضطرب لكثرته. أحمّ: أسود لكثرة الحديد فيه. المَجر: الجيش العظيم، ومثله اللُهام. جيش لَجِب: مضطرب كثير أصوات الأبطال وصهيل الخيل.

(٣٤) الصلادم: جمع صِلدِم، أي الأسد، وجم الصلادم: كثير الابطال. الزرق اللهاذم: الرماح الشديدة الصفاء النافذة. الماذيّ: خالص الحديد وجيّده. اليَلَب: الدروع اليمانية، أو التروس، أو الخُوَذ.

(٣٥) اللاحقيات: خيل منسوبة إلىٰ لاحق: فرس أصيل من خيل العرب. المطهّم: التامّ الحُسن. القسطل: الغبار الساطع، أي المرتفع المنتشر. الهَذِب: مسترسل الأطراف لكثرته وانتشاره.

(٣٦) العارض: السحاب المطلّ. النقع: مثل القسطل. القُضُب: جمع قضيب، وهو السيف القَطّاع. يريد أن هذا الجيش له سحابة مطلّة من الغبار الساطع، وبروقها هي لمع الرماح والسيوف.

(٣٧) يصوب: يمطر.

(٣٨) مقعص: مطعون مقتول مكانه.

(٣٩) براءة: أراد بها سورة براءة التي بلغها الامام علي عليه السلام. نازح: بعيد.

مـا أنت إلّا أخـو الهـادي ونـاصره
ومظهر الحق والمنعوت في الكـتبِ[٤٠]
وزوج بـضعته الزهـراء يكـنفها
دون الورىٰ وأبـو أبـنائها النُّـجُبِ
مـن كـل مجتهد في اللّٰه معتضد
بـاللّٰه مـعتقد للّٰـه مـحتسِبِ
هـادين للـرشد إن ليـل الضـلال دجـا
كـانوا لطـارقهم أهـدىٰ مـن الشُـهُبِ
لُـقّبتُ بـالرفض لمّـا أن مـنحتهم
ودّي وأحسـن مـا أُدعىٰ بـه لقـبي
صـلاة ذي العـرش تـترىٰ كـل آونـة
علىٰ ابـن فـاطمةَ الكَشّـاف للكُـرَبِ
وابـنيه مـن هـالك بـالسم مُـختَرم
ومن مـعفّر خـدّ فـي الثـرىٰ تـربِ[٤١]
لولا الفـعيلة مـا قـاد الذيـن هـم
أبـناء حـرب إليـهم جـحفل الحَـرَبِ
والعـابد الزاهـد السـجاد يـتبعه
وبـاقر العـلم دانـي غـاية الطـلبِ
وجـعفرٍ وابـنه مـوسىٰ ويـتبعه الـ
ـبرّ الرضـا والجـوادِ العـابدِ الدئِبِ
والعسكـريين والمـهدي قـائمهم
ذوالأمر لابس أثواب الهدىٰ القُشُبِ[٤٢]
من يـملأ الأرض عـدلاً بـعدما مـلئت
جـوراً ويـقمع أهـل الزيـغ والشـغَبِ

(٤٠) أي كـتب الأنـبياء السـابقين كـالتوراة والإنجيل.

(٤١) مخترم: من اخترمته المنية: أخذته.

(٤٢) القشب: الجيدة النظيفة الجديدة، مفردها قشيب.

القـائد البُـهْم والشوس الكماة إلىٰ
حرب الطغاة علىٰ قُبّ الكُلىٰ شُزُبِ(٤٣)
أهـل الهـدىٰ لا أنـاس بـاع بـائعهم
ديـن المـهيمن بـالدنيا وبـالرُتَبِ
لو أن أضـغانهم فـي النـار كـامنة
لأغـنتِ النـار عـن مُـذكٍ ومـحتطِبِ
يـا صـاحب الكـوثر الرقـراق زاخـرهُ
ذُدِ النواصب عـن سـلساله العـذبِ(٤٤)
قـارعتُ مـنهم كـماةً فـي هـواك بـما
جـرّدتُ مـن خـاطرٍ أو مِـقولٍ ذربِ
حـتىٰ لقـد وَسَـمتْ كَـلْماً جـباهَهمُ
خـواطـري بـمَضاء الشـعرِ والخُـطبِ
إن تـرضَ عـني فـلا أزديت عـارفة
إن سـاءني سـخط أمٍّ بـرّةٍ وأبِ(٤٥)
صحبت حـبك والتـقوىٰ وقـد كـثرت
لي الصـحاب فكـانا خـير مـصطحَبِ
فـاستجلِ مـن خـاطر العبدي آنسـة
طابت ولو جاوزت إيـاك لم تَـطِبِ(٤٦)
جاءت تمايل في ثَـوبيَ حـياً وهـوىً
إليك حـالية بـالفضل والأدبِ(٤٧)
أتـعبتُ نـفسي فـي مـدحيك عـارفة
بأن راحـتها فـي ذلك التـعبِ

(٤٣) البُـهم: يـريد الخـيل. الشـوس: جـمع أشـوس. الكـماة: الشـجعان. قُبّ الكـلىٰ: دقـيقة الخـصور، ضـامرة البـطون. شُـزُب: ضوامر.

(٤٤) النـواصب: الذيـن نـصبوا العـداء لعـلي عليه السلام وأهل بيته.

(٤٥) أزدىٰ: لغة في أسدىٰ. عارفة: إحسان.

(٤٦) الآنسة في الأصل هي الفـتاة الطـيبة النـفس المحبوب قربها وحـديثها، يُؤنس بها، وكنىٰ بها هـنا عـن القـصيدة البـارعة الجـيدة التـي يُـؤنس بمعانيها.

(٤٧) حالية: ذات حُلي.

دراسات

أضواء على معالم الدراسة والبحث في الحوزات العلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام

١

السيد
هاشم الهاشمي

أحاول في هذا المقال إلقاء بعض الضوء على معالم الدراسة والبحث في الحوزات العلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، وأقصد منها مراكز الدراسة الفقهية والأصولية للمذهب الإمامي ، وبخاصة حوزة النجف الاشرف .

ومن الجدير ذكره أن بعض الباحثين اعترفوا بما تملكه هذه المدرسة من ثراء وعمق علميين في الفقه والأصول ، بما يفوق ما تملكه مدارس سائر المذاهب ، بل إن لها آراءها وبحوثها العميقة والمتطورة في بعض المجالات الأخرى ، كالكلام والفلسفة والتفسير والنحو واللغة والأدب وغيرها ، ولا سيما المرتبطة منها بالبحث الفقهي أو الأصولي ، وقد أشار الأستاذ الكبير السيد محمد تقي الحكيم في تقديمه لكتاب عقد الفضولي (رسالة ماجستير للشهيد السيد عبد الهادي نجل

السيد الحكيم) إلى اعتراف بعض الباحثين بما تملكه الدراسة الحوزوية من ثراء علمي وعمق ، فقد نقل عن أحد أساتذة الجامعة الذين ناقشوا هذه الرسالة ، وهو يتحدث عن عمق محتوياتها: «أنا أعزو هذه الرسالة وهذا العمق في هذه الرسالة بالدرجة الأولىٰ إلى دراسات المؤلف الخاصة في معاهد النجف . وقال بعد ذلك : إن السطحية (وهي عدوىٰ العصر كما عبر عنها) دخلت في أكثر الجامعات والمعاهد التي تعنىٰ بأمثال هذه العلوم واستثنىٰ من ذلك النجف ونظائرها من مراكز الثقافة الاسلامية العريقة . ثم تشعب الحديث عن الكنوز الثرية التي انطوىٰ عليها قسم من الموسوعات التي صدرت عن النجف ، أمثال كتاب الجواهر للشيخ محمد حسن النجفي ، والمكاسب للشيخ الأنصاري ، والمستمسك للسيد الحكيم ، واعتبرها مما يقل أو ينعدم نظيرها في عالمها الخاص عمقاً وسعة وشمولاً ، ثم ختم حديثه بخطاب وجهه إليّ ، وأنا أوجهه بدوري إلى مؤلف هذه الرسالة ونظائره من طلاب الحوزة : إن رسالة النجف أمانة في أعناقكم ، فلا تفرطوا فيما تملكه من عمق في دراساتها الجادة ، وبخاصة ما يتعلق بعلوم الشريعة وما يلابسها من علوم اللغة العربية ، فهي ليست ملكاً لكم فحسب ، وإنما هي ملك العالم الاسلامي وللفكر أينما وجد»[1] .

لعل أهم العوامل في هذا التفوق العلمي ، هو ما تملكه مبادئ أهل البيت عليهم السلام من أصالة وثراء فكري ، وما بذله علماؤنا من جهد علمي خلال العصور ، وما يتمتعون به من ورع وتقوىٰ ، وان أمكن أخذ بعض الملاحظات علىٰ بعضهم من حيث الأسلوب والمنهج .

وفي هذا المقال نبحث عن بعض مميزات الدراسات الحوزوية ، وبعض الملاحظات التي أخذت عليها ، وقد ذكرنا أن أكثر هذه الملاحظات ناظرة للأسلوب والمنهج لا الفكرة ، مع مناقشة بعض هذه

(١) مقدمة كتاب عقد الفضولي : ١٤.

الملاحظات ، وكذلك نبحث فيه عن بعض معالم السيد الحكيم العلمية ، وأخص بالبحث كتابه مستمسك العروة الوثقىٰ ؛ لأهميته ودوره الكبير في الحوزات .

مميزات الدراسات الحوزوية

نستعرض هنا بعض مميزات هذه المدرسة العلمية :

١ ـ الفهم العميق :

إن هذه المدرسة تمتاز بالعمق والدقة في التفكير والبحث ، وفي فهم أقوال العلماء ، وتتجنب السطحية ، بل لا تكتفي بمجرد توضيح عبارة الكتاب حتىٰ في دراسة المقدمات والسطوح فضلاً عن البحث الخارج[٢] ، وإنما تبحث عن سر الفكرة و أسسها العلمية ، والقواعد المرتبطة بها ، لتؤدي للاقتناع الموضوعي والعلمي للطالب ، وهذه هي طريقتهم في بيان أقوال العلماء في البحث الخارج . وربما فسروا أقوال العلماء من القدماء وغيرهم تفسيراً جديداً ، تندفع معه بعض الإشكالات عليها ، ويكتسب معها القول عمقاً علمياً ، سواء وافقوه بعد ذلك أو ناقشوه . وقد ذكرت شواهد علىٰ هذه التفسيرات في دراستي عن الشيخ الانصاري[٣] .

وكذلك لا يكتفون بعرض بعض الأقوال أو الأدلة أو المسائل وبخاصة الميسرة ، بل يحاولون التوسع في البحث ما أمكن . ودراسة البحوث العميقة والدقيقة كذلك ، وزرع روح العمق والدقة في الطالب ، وصفة العمق تتجلىٰ في جميع بحوثهم وكتاباتهم الفقهية والأصولية . وتظهر كذلك في مجال تفسيرهم للآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، المرتبطة ببعض البحوث الأصولية أو الفقهية ، ولو حاولوا كذلك تفسير سائر الآيات والروايات بمثل هذا العمق ، لكان عملاً كبيراً في عالم التفسير والحديث .

(٢) وهو مستوى من المراحل الدراسية يصل إليه طالب الحوزة العلمية، يتمثل بحضوره درس البحث والاستنباط التفصيلي فقهاً وأصولاً لأحد الفقهاء المجتهدين؛ ليطلع من خلاله علىٰ الآراء والنظريات الفقهية والأصولية المختلفة، ويناقش في أدلتها ومسائلها؛ ليصل بمعونة الأستاذ المجتهد إلى الحجة الشرعية والنظرية المختارة.

(٣) راجع كتاب لمحات من مدرسة الشيخ الأنصاري لكاتب هذه السطور.

٢ ـ روح المناقشة والنقد :

بالإضافة لما ذكرناه من أن هذه المدرسة تشجع على الفهم العميق للأقوال والأدلة ، فإنها أيضاً تشجع على النظر لهذه الأقوال والأدلة وغيرها نظرة موضوعية وعلمية ، دون الانبهار أو التبعية المطلقة لها، بالرغم من احترامهم الكبير لأصحابها ، بل تحاول مناقشتها إن كانت قابلة للمناقشة ، أو تقبلها ولكن ليس عن تقليد ، بل عن اقتناع علمي وموضوعي . والملاحظ أن مناقشتهم لها ليست لمجرد الرغبة في المناقشة ، بل لأجل الوصول للحجة الشرعية كما سنذكره ، ويحاول علماء هذه المدرسة تنمية روح النقد في طلابها لمختلف البحوث ، ودفعهم لتقويمها ، ولذلك يحاولون فتح باب المناقشة سواء في الدرس أو في المجالس الخاصة .

٣ ـ الإبداع والتجديد :

وهذه الميزة هي من أهم مميزات هذه المدرسة ، مما يؤكد عليها منهج البحث الحديث ، أي الإبداع في الرأي والتجديد في البحث ، دون الاكتفاء بنقل كلام الآخرين أو تقليدهم من دون أن يقدَّم جديد في البحث . والملاحظ أن هذه المدرسة لا تكتفي باجترار آراء الآخرين وبحوثهم ، ومحاولة توضيحها أو تنسيقها فحسب ، بل يحاول علماؤها ، بالاضافة لذلك كله ، إبداع الجديد فيها ، من رأي أو إشكال أو دليل أو غيرها ، فيما إذا أوصلتهم النظرة العلمية والموضوعية له ؛ لذلك يلاحظ أن أكثر المتصدين للبحث الخارج يطرحون الجديد في بحوثهم ، بل ربما كان لبعضهم مدرسة جديدة في الفقه والأصول ، تفرض تأثيرها على الدراسة العلمية في الحوزة ، ولكن ربما ضحى البعض بالمنهج والأسلوب والتوضيح ، من أجل الحفاظ على عمق البحث وتطوير الفكرة ، وربما لم يتعرض في البحث الخارج لتوضيح

بعض المفاهيم والمسائل لافتراض علم الطالب بها ، وإنما عليه الدخول في مرحلة الاجتهاد والإبداع لتسير الحوزة في مسار تكاملها؛ ولأجل ذلك يلاحظ أن أكثر الكتب ، سواء كانت تأليفاً أو تقريراً ، مشتملة علىٰ تحقيقات جديدة ، لا توجد في بحوث الآخرين ، ولكن هذا الشيء من الإبداع والتجديد ، كما ذكرنا ، ليس لمجرد الرغبة فيه ، بل لأجل الوصول للحجة الشرعية ؛ لذلك فإنهم بعد استيعابهم لأكثر المفاهيم والقواعد والبحوث الأصولية والفقهية ، والتعرف علىٰ مختلف الآراء والأدلة والإشكالات خلال مسيرتهم الدراسية ، بعد ذلك كله يتجهون للإبداع والتجديد في هذه المجالات ؛ لذلك تكون إبداعاتهم موضوعية وعلمية ، يكتب لها البقاء والتداول في الحوزات الدراسية ، فربما كان هناك دليل أو إشكال واحد في المسألة ، يغني عن أكثر من دليل أو إشكال ، لتوفره علىٰ عناصر القوة دون غيره .

ومن معالم تجديدهم وضع المصطلحات والقواعد ، وصياغتها صياغة محددة ، والاستدلال عليها لتدخل في بحوث العلماء ، بعد أن كانت غير محددة ، أو غير مستدلّ عليها ؛ وهذه الطريقة من الأساليب المنهجية المثمرة للبحث العلمي .

وكذلك من معالمه التوسع بالبحوث ، وإضافة مسائل جديدة ؛ لذلك يلاحظ التوسع والتطور المستمر في البحوث الفقهية والأصولية(٤).

٤ ـ الورع في البحث :

ذكرنا أن علماء هذه المدرسة لا يطرحون رأياً أو دليلاً أو إشكالاً ، إلّا وهو في اجتهادهم ونظرهم الحجة شرعاً ، فإن بحوثهم مقرونة عادة بالورع والتقوىٰ ومراقبة اللّٰه وطلب مرضاته ، والخوف من الحساب وأهوال القبر ، فيحذرون من طرح رأي أو حكم غير مقتنعين به شرعاً ، أو لم يبحثوا عن مختلف أدلته ، وبخاصة إذا تبنّوا هذا

(٤) ظهرت دراسات حديثة حول عناصر منهج البحث، وقد ذكرت بعض هذه العناصر ومدىٰ التزام علمائنا بها في دراستي حول الشيخ الأنصاري، ويظهر من بعض الشواهد أن منهجهم لم يكن تلقائياً بحتاً كما يتوهم، بل كان البعض ملتزماً بخطة للبحث، وأذكر هنا بعض هذه العناصر: ١ ـ التبويب وتقسيم البحث. ٢ـ تجنب الاستطراد. ٣ـ عدم ذكر الكاتب لأعمق الأدلة ابتداءً، وإنما يذكر أبسطها، أو يناقش أدلة الغير ثم يلقي أقوىٰ أدلته. ٤ـ أن تكون دعائم البحث وأسس الاستدلال قواعد مسلمة، أو يستدل عليها ثم يقيم البحث عليها، ولا يكثر البراهين علىٰ مبادئ مسلمة أو يمكن التسليم بها بسهولة. ٥ ـ ذكر التطبيقات والأمثلة من الواقع المعاصر. ٦ـ الإبداع في الرأي والتجديد في البحث. ٧ـ صياغة المصطلحات والقواعد صياغة محددة. ٨ ـ في دراسة القاعدة تستخدم مراحلها من تعريفها لغة واصطلاحاً، وذكر مصادرها، والدليل عليها، وبعض فروعها، والأحكام التي يمكن استنباطها =

الرأي ، وأفتوا به ؛ لذلك تلاحظ كثرة احتياطاتهم في الفتاوىٰ ، ولعله لأجل ذلك يغلب عليهم قلة الكتابة أو النشر ، خوفاً من أن يكون فيها ما يخالف الشارع المقدس ، وقد نقل عن بعض أنه اتلف كتاباته أو ألقاها في الماء لأجل ذلك ، وينقل الشيخ محمد تقي الفقيه عن السيد الحكيم ، أنه كان لا يكتب في مستمسكه إلّا ما هو مقتنع به شرعاً ، لذلك ربما نهض ليلاً وحذف أو أصلح ما كتبه ؛ لأجل تنبهه إلى عدم الاقتناع به شرعاً .

ولولا حركة التقريرات وكتابتها ونشرها ، لضاع الكثير من البحوث والآراء العلمية الفقهية والأصولية وغيرها لأعلام الحوزة العلمية ، وهذا الورع في الكثير من علماء الحوزة ، لا يختص بكتاباتهم وبحوثهم العلمية ، بل ينسحب علىٰ سلوكهم في مختلف مجالات حياتهم ، ولعل مما يرسّخ حالة الورع المحيط الاجتماعي للحوزة ، والدروس أو الأحاديث الأخلاقية ، والعلاقات القائمة علىٰ أساس الورع والتقوىٰ ، وكذلك مجاورة أكثر الحوزات لمشاهد المعصومين عليهم السلام ، وماتلهمه هذه المشاهد والزيارات المتكررة لها من صفاء روحي ومشاعر معنوية ، وغيرها من العوامل التي لها تأثيرها في تكوين حالة الورع ، والالتزام الشديد بالضوابط والأحكام الشرعية[٥] .

٥ ـ الانفتاح علىٰ سائر العلوم :

تحاول هذه المدرسة الاستفادة من سائر العلوم والمجالات الثقافية ، مما له تأثيره في البحث الفقهي أو الأصولي ، وبجودة الاستنباط وإصابته ، كالنحو واللغة والبلاغة والفلسفة والكلام والمنطق والتفسير ، بل حتىٰ علم الهيئة وبعض مسائل الرياضيات وغيرها ، ولكن علماء هذه المدرسة لا يتقبلون آراء وبحوث هذه

= منها، والتطبيقات المعاصرة لها، ثم صياغتها صياغة محددة. ٩ـ في دراسة النصوص تستخدم مراحل المنهج النقلي من توثيق النص وتحقيقه وفهمه، وغيرها من العناصر.

(٥) ذكرت الدراسات الحديثة لمنهج البحث صفات الباحث وشروطه، وقد ذكرتها في دراستي عن الشيخ الأنصاري، ومدىٰ التزام علمائنا بها، نذكر بعضها: ١ـ الرغبة في البحث. ٢ـ الصبر علىٰ البحث. ٣ـ الشك والتثبت في الرأي وعدم تقبله من أول نظرة. ٤ـ الموضوعية حين البحث والتجرد عن الأهواء والمصالح الذاتية. ٥ ـ الأمانة في النقل ونسبة آراء الآخرين إليهم. ٦ـ الجرأة والصراحة في ذكر الحق وإنكار الباطل. ٧ـ التواضع، فلا اغترار بالنفس أو استهانة بالآخرين. ٨ ـ الموهبة والاستعداد الفطري في البحث، وغيرها من الصفات.

العلوم دون اقتناع علمي ، وإنما يحاولون دراستها وتقويمها ، بل ربما توصلوا من خلال بحثهم فيها إلى آراء متطورة ، أو مخالفة لآراء علمائها المختصين حسب المقاييس العلمية ، ولعلها أكثر دقة وصواباً وتطوراً منها ، ففي مباحث الألفاظ يلاحظ توصلهم لآراء نحوية أو لغوية متطورة ، وعميقة ، أو مخالفة للآراء المعروفة في النحو واللغة ، كما يلاحظ ذلك في مبحث الوضع ، والمعنى الحرفي ، والمشتق ، وغيرها مما توصل إلى ما يشابهها البحث النحوي واللغوي الحديث ، وكذلك الأمر في البحوث الفلسفية والمنطقية ، حيث توصلوا لآراء جديدة فيها . وهم يعتمدون في الكثير من بحوثهم على التتبع والاستقراء للغة العرب ، بل بعض اللغات الأخرى ، واستعمالاتها مع اجتهاد وتقويم منهم لهذه الاستعمالات وآراء العلماء والباحثين حولها ، وكذلك تعتمد التتبع لسيرة العقلاء ومرتكزاتهم ، والفهم العرفي والوجدان ، حيث تمتاز هذه المدرسة بالدقة والعمق في التعرف على هذه المجالات العرفية والعقلائية ، وفي استكشاف مرتكزات العقلاء وسيرتهم ، والفهم العرفي وغيرها . وإنما يبحث عن هذه المجالات لأن الأدلة والنصوص الشرعية والمسائل الأصولية والفقهية تعتمد كثيراً عليها .

والغالب في أبناء هذه الحوزات ، وبخاصة حوزة النجف ، تذوقهم للأدب ، وإحاطتهم به ، وقد شجع على ذلك المحيط النجفي ومجالسه وحفلاته ، حتى نبغ منهم بعض الأدباء والشعراء ، ونحن نعلم مدى تاثير هذا الذوق والمعرفة والروح الأدبية في فهم النصوص ودراستها .

٦ ـ التخصص :

الغالب في أبناء هذه الحوزة التخصص في الفقه والأصول ، ونحن

نعلم ما لهذا التخصص من تأثير في تطوير الحركة العلمية وإثرائها ، ولكن مع ذلك لهم اهتمامهم بسائر المجالات الثقافية والاجتماعية ، وبخاصة حينما تشعر الحوزة بالخطر على كيان الاسلام والمسلمين ومبادئ أهل البيت عليهم السلام ، فكانت تندفع بكل بسالة ، للدفاع عنها والحفاظ عليها ، وبمختلف الأساليب ، بإصدار الفتاوى ضد المبادئ الكافرة والمنحرفة ، ومواجهة السلطات الجائرة ، وتأسيس المؤسسات والجمعيات ، والقيام بمهمة التبليغ والإرشاد ، وإقامة الحفلات والاجتماعات ، وإصدار المجلات والكتب ، وسائر النشاطات والخطوات بل ربما تفرغ البعض لها ، فكانت لبعضهم مؤلفات متألقة وخالدة في هذه المجالات ، أمثال الشيخ البلاغي في رد الملحدين والمبشرين ، والشيخ الأميني في رد أعداء أهل البيت عليهم السلام ، والسيد محمد باقر الصدر في رد الفكر الماركسي والرأسمالي ، وغيرهم . ولا ينحصر اهتمامهم في بلدهم ، بل لهم اهتمامهم بسائر المسلمين والشيعة في مختلف الأقطار .

وقد ذهب بعض العلماء أن للتعرف على بعض العلوم والمجالات الثقافية ، تأثيره الكبير في تطوير البحوث الفقهية والاصولية ، وبخاصة التي لها علاقة بهذه البحوث ، كبعض الدراسات اللغوية والنحوية والبلاغية ، والفلسفية والمنطقية ، والنفسية والاجتماعية والقانونية ، وغيرها . وقد رأينا أن نظرية حساب الاحتمالات استفيد منها في البحث الاصولي وغيره ، وكذلك استفيد من بعض النظريات النفسية واللغوية في مبحث الوضع ، كما أن علماءنا السابقين تعرفوا على سائر العلوم والمجالات الثقافية ، واستفادوا منها في بحوثهم الفقهية والأصولية ، مع حصول التطور والعمق أو ظهور الخطأ في بعض تلك المسائل التي اعتمدوها ، وغيرها من العوامل التي تدعو للتعرف عليها ، يضاف لذلك أن مسؤولية التبليغ وإرشاد الناس ،

ومواجهة المذاهب والمبادئ المنحرفة ، وغيرها مما يشكل بعض مهام الطالب الحوزوي ، تفرض التعرف على بعض المجالات الثقافية ، ولعله يؤيد ذلك اهتمام الفقهاء المتقدمين بسائر المجالات الثقافية ، بل ربما ألف البعض منهم في التفسير والكلام والتاريخ وغيرها ، وإن كان يصعب ذلك على المتأخرين لتوسع الفقه والأصول وتطورهما كثيراً ، ولكن مع ذلك ، فللبعض منهم اهتمامهم بها ، بل تأليفهم فيها ، مما يدل على إمكان الجمع بين الفقه والأصول وبعض المجالات الثقافية . والبحث عن هذا الجانب يحتاج لدراسة أوسع .

٧ ـ التجديد في المنهج :

ولا ينحصر تجديدهم وإبداعهم في الفكرة فقط ، بل ربما شمل المنهج أيضاً من حيث الأسلوب ، وتهذيب البحوث ، أو تبويبها ، ففي مجال التبويب نلاحظ أن الشيخ الأنصاري قام بتبويب الأصول حسب مراحل الاستنباط والحالات النفسية ، من القطع والظن والشك ، وتقديم الأمارات على الأصول ، والأصول المحرزة على غير المحرزة، وتحديد موضوعات هذه الطرق والأصول ، حيث كانت بعض الأدلة والأمارات والأصول متشابكة في أذهان السابقين ، أو غير محددة الموضوع ، وربما ذكرت هذه المدرسة بعض المسائل كمسائل رئيسية ، بينما لم تكن رئيسية ، أو لم يتنبه إليها سابقاً ، كمبحث اجتماع الأمر والنهي ، والترتب ، وغيرهما ، وربما أهملوا البحث عن بعض المسائل لعدم تأثيرها في الاستنباط ، أو لوضوح بطلانها ، أو لانقراض عصرها ، كمسألة الانسداد ، أو مسائل الإماء والعبيد ، وغيرها ، ولكن ربما بحث البعض عنها ، بالرغم من تأكيدهم على عدم جدوى البحث أو التوسع فيها ، وإنما بحثوها تبعاً للعرف

السائد ، أو لتأثيرها العلمي في تعليم الاستنباط ، وربما أشاروا خلال بحوثهم إلى أن الأفضل تغيير المنهج ، أو ترتيب البحوث بصورة أخرىٰ ، فيلاحظ أن البعض يرىٰ تقديم بحث التعادل والترجيح بعد مبحث حجية خبر الواحد ، وكذلك تأخير بحث الإجماع عنه ، لترتبها علىٰ مبحث حجية خبر الواحد ، وربما صاغ العالم البحث صياغة أخرىٰ ، هي في رأيه افضل من الصياغة المتعارفة ، في تفهيم الطالب أو القارئ ، وغيرها من الملاحظات المنهجية ، التي تدل علىٰ أن علماءنا لم يكونوا غافلين عن المنهج في بحثهم أو كتابتهم ، ولم تكن منهجيتهم تلقائية ، بل كان البعض منهم يخطط للبحث بما هو أفضل حسب رأيه .

ولأجل هذه الروح التجديدية منهم في الفكرة والمنهج ، ظهرت في حوزة النجف الأشرف وحوزة قم المقدسة بعض الكتب ، التي حاول مؤلفوها من خلالها تطوير الدراسة الحوزوية في مختلف المراحل الدراسية ، كما في كتاب أصول الفقه للشيخ المظفر ، وحلقات الأصول للشهيد السيد الصدر ﷺ ، وغيرهما .

ملاحظات علىٰ الدراسات الحوزوية

تلاحظ علىٰ الدراسة الحوزوية بعض الملاحظات ، مع الاعتراف بكل ما تملكه من مميزات أشرنا لبعضها ، والغالب في هذه الملاحظات أنها تتعرض للأسلوب والمنهج أكثر مما تتعرض للفكرة ، وبعد ظهور علم المنهج ، والبحوث والقواعد الجديدة فيه ، يجدر بأبناء الحوزة التعرف عليها ، كموقفهم من سائر العلوم والمجالات الثقافية إذا كان لها تأثيرها في بحوثهم ، مع دراستها دراسة موضوعية علمية لإمكان الاستفادة منها ، فربما تُوصل إلى منهج أفضل يختص بالبحث الفقهي أو الأصولي .

وقبل استعراض الملاحظات يجدر التمهيد لذلك بمدخل ، يلقي

ضوءاً علىٰ مراحل الدراسة الحوزوية وكتبها المقررة ، فالمعروف أن مراحل الدراسة في الحوزة ثلاثة : المقدمات ، والسطوح ، والبحث الخارج ، والكثير يعرف خصائص كل مرحلة ، حيث تدرس في المقدمات والسطوح كتب معينة ، وأما في البحث الخارج فليس هناك كتاب معين ، بل يراجع الأستاذ مختلف المصادر إضافة لمعلوماته المودعة في ذهنه خلال رحلته الدراسية ؛ لذلك يجدر أن نتحدث حول الكتب الدراسية والمصادر ، وطريقة البحث عند العلماء من خلال ثلاثة مجالات :

المجال الأول : كتب الحوزة علىٰ ثلاثة أقسام :

١ ـ **كتب الشروح** : وهي شروح لكتب سابقة ، كالروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، والجواهر شرح استدلالي للشرائع ، والمستمسك شرح استدلالي للعروة الوثقىٰ ، وغيرها ، وفي هذا القسم يتقيد المؤلف بتبويب الكتاب الأصل ، ومسائله ، وقد يتعرض لمسائل أخرىٰ خلال الشرح .

٢ ـ **الكتب المستقلة** : بأن تؤلّف كتب مستقلة في الفقه أو علم الأصول ، دون أن تكون شرحاً لكتاب سابق ، أمثال كتاب المكاسب والرسائل والكفاية وغيرها ، ويكون فيها المؤلف أكثر حرية في اختيار المسائل ومنهجية الكتاب ، فربما اختار المسائل الفقهية الجارية في عصره ، أو اعتمد تبويباً آخر غير المتعارف في سائر الكتب ، وإن كان الغالب التشابه في المنهجية .

٣ ـ **كتب التقريرات** : وهي ما يكتبه الطالب تقريراً لبحوث أساتذته ، وبخاصة في البحث الخارج ، ولولا هذه الكتب لضاعت بحوث وآراء الكثير من علماء الحوزة ، وقد ذكرنا ذلك ، والشواهد كثيرة أمثال تقريرات دروس الشيخ الأنصاري والمحقق النائيني ، والمحقق العراقي والشهيد الصدر وغيرهم .

المجال الثاني: تنقسم الكتب حسب أهداف المؤلفين من كتابتها إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ الكتب الدراسية : بأن يكون هدف الكاتب من كتابته أن يكون كتاباً دراسياً يدرس في الحوزة ، كما ذكرنا ذلك حول أصول الفقه وحلقات الأصول ، وتمتاز هذه الكتب ببعض الخصائص في الأسلوب والمنهجية ، وملاحظة مستويات الطلاب ، وربما احتاجت إلى جهد أكبر ، أو لجنة تشرف على مدى التزامها بهذه الخصائص .

٢ ـ كتب للتأليف : والهدف منها أن يكون الكتاب كسائر المؤلفات ، وهي تمتاز أيضاً ببعض المميزات من حيث المنهجية والأسلوب ، ولكن لا تتقيد ببعض الخصائص التي يتمتع بها الكتاب الدراسي ، ولعل كتاب المكاسب من هذا القسم .

٣ ـ الكتب التي يدون فيها الكاتب معلوماته وآراءه من أجل حفظها من الضياع والنسيان ، وهي لا تملك مميزات كتب الدراسة والتأليف من حيث التنظيم والمنهج والأسلوب .

والملاحظ تنبه بعض علمائنا للفرق بين هذه الأقسام ، حيث أشاروا إليه في أحاديثهم ، كما ذكر الشيخ المظفر في مقدمته لكتاب الجواهر عن صاحب الجواهر ما يدل على ذلك ، وأشرت للشواهد في دراستي عن الشيخ الأنصاري .

المجال الثالث : يلاحظ وجود طريقتين للعلماء في البحث الفقهي والأصولي :

الطريقة الأولى: أن يعتمد الباحث على ما امتلأ به ذهنه من معلومات فقهية أو أصولية خلال مسيرته الدراسية ، ومراجعة أدلة المسألة ، وملاحظة الآراء والكتب المعاصرة ؛ لأنها تستبطن آراء السابقين ، وتمثل آخر ما وصلت إليه الأفكار من تطور وعمق وتوسع .

الطريقة الثانية : أن يراجع الباحث ـ إضافة لمعلومات وأدلة المسألة ، وآراء المعاصرين وكتبهم ـ الكثير من آراء السابقين وكتبهم ، وبخاصة القدماء ، بل ربما راجع كتب أهل السنة وآراءهم ورواياتهم ؛ لما يعتقده البعض من تأثيرها في فهم رواياتنا ، لأنها ناظرة أحيانا لأحكامهم ورواياتهم ، فيختلف الباحث في هذه الطريقة عن الأولىٰ بسعة مراجعاته .

والعلماء علىٰ طائفتين ، فبعضهم يعتمد الطريقة الأولىٰ ، وينهج البعض الآخر الطريقة الثانية ؛ ولكل منهما ما يبرر طريقته علمياً .

وفيما يلي أهم الملاحظات التي تذكر حول الدراسات الحوزوية تأليفاً ومنهجياً وهي :

أولاً : ضعف الاستقراء والتتبع : يلاحظ علىٰ العلماء في مباحث الألفاظ من الأصول ، والمسائل اللغوية والنحوية في البحث الفقهي ، استقراؤهم وتتبعهم في كلام العرب نثراً وشعراً ؛ مع أن هذه المسائل تعتمد علىٰ الاستقراء والتتبع .

ثانياً : التأثر بالفلسفة : يلاحظ عليهم تأثرهم بالمفاهيم والقواعد والأدلة الفلسفية في البحث الفقهي والأصولي ، مع اختلاف مجالهما عن مجال الفلسفة ، كما سنوضحه ، ولعله يضاف لذلك اعتمادهم الفهم العقلي الدقيق في دراسة النصوص ، مع أنه يلزم الاعتماد علىٰ الفهم العرفي أو العقلائي .

ويلاحظ علىٰ هذين الاعتراضين ما يلي :

أن ما ذكر في الاعتراض الأول من ضعف التتبع والاستقراء ، لا يمكن الأخذ بعمومه ، فهناك الكثير من علماء الأصول استخدموا التتبع والاستقراء في لغة العرب والنصوص ، ولكن بما أن مجال بحثهم هو النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وأنه ربما كان للشارع أساليب ومعانٍ خاصة في كلامه ، حيث أخبر الأئمة عليهم السلام في

بعض أحاديثهم أن الرجل لا يكون فقيهاً إلّا إذا عرف معاريض كلامهم ولحنه وأساليبه ، وأن في كلامهم العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والتقية ، والتورية ، وغيرها ، لذلك يلزم التعرف على تلك الأساليب في فهم كلامهم ، وهي بدورها لا تخرج عن الأساليب والأصول العقلائية والعرفية لأمثال هؤلاء المتكلمين ، وتوضيح الموضوع اكثر في محله ، لذلك كانت شواهد العلماء أكثر من النصوص الشرعية ، مع الاستعانة لدعمها كثيراً بكلام العرب ، واستعمالاتهم شعراً ونثراً ، والمفاهيم والمرتكزات العرفية والعقلائية . وربما لم يقتصروا على لغة العرب فحسب ، بل تتبعوا سائر اللغات ؛ لما ذكر من أن المعاني النحوية والوظيفية معان موجودة في سائر اللغات ، مع اجتهاد منهم في تقويم هذا الاستقراء ، الذي استخدموه من أجل الوصول للمدلول التصوري أو التصديقي للألفاظ ، معتمدين في ذلك على مختلف الأصول والقواعد والأساليب العقلائية والعرفية ، والشواهد كثيرة على هذا التتبع والاستقراء مع اجتهادهم فيه .

فمنها تتبعهم للمعاني التي ذكرت في كتب اللغة والفهم العرفي للفظ الأمر ، حيث أرجعها الأصوليون لمعنىً واحد أو معنيين ، وكذلك المعاني التي ذكرت لصيغة الأمر (افعل) ، حيث يلاحظ تتبعهم للمعاني ، واجتهادهم في تفسيرها . وقد ذكروا ذلك في بداية بحث الأوامر ، ولعل رأيهم في هذا المجال تابع لرأيهم العميق في كتب اللغة وأقوال اللغويين بصورة عامة ، ومدى حجيتها ، وقد بحثوا هذا الموضوع في مبحث حجية الظواهر من علم الأصول .

ومنها تفسيرهم لمدلول هذا الحديث الشريف « **لا ضرر ولا ضرار** » ، حيث ذهب شيخ الشريعة الأصفهاني في رسالته حول قاعدة لا ضرر إلى دلالته على النهي ، واستدل على رأيه بنصوص من الكتاب والسنة

ولغة العرب واستعمالاتهم ، بينما ذهب غيره إلى دلالته على النفي ، واستدل أيضاً على رأيه بالنصوص والاستعمالات .

ومنها ما ذهب إليه البعض من جواز استعمال اللفظ في أكثر من معنى ، واستدل عليه بوقوعه في كلام العرب ، والوقوع أدل دليل على الإمكان ، كما ذهب لهذا الرأي الشيخ محمد رضا الأصفهاني في كتابه وقاية الأذهان ، وذكر شواهد كثيرة من كلام العرب ، استعمل فيها لفظ واحد في معانٍ عديدة[٦] .

ومنها ما اختاره بعض الأصوليين في المجاز كما اختاره السكاكي في الاستعارة ، وأنه ليس من قبيل الاستعمال في غير معناه الموضوع له ، بل في المعنى الموضوع له ، بتوضيح يذكر في محله ، حين يبحث عن المجاز في بدايات مباحث الألفاظ . وقد ذكروا شواهد كثيرة على هذا الرأي من كلام العرب شعراً ونثراً ، ذكر قسماً منها الشيخ محمد رضا الأصفهاني في كتابه وقاية الأذهان[٧] .

ومن الشواهد على تتبعهم واستقرائهم ، تتبعهم لمعاني الألفاظ التي تؤخذ موضوعات للأحكام في النصوص الشرعية ، فيما إذا لم تكن لها حقيقة شرعية ، أمثال لفظ الغناء ، والغيبة ، والصعيد ، والبيع ، وغيرها ، سواء معانيها اللغوية أو العرفية ، مع بيان الحق فيها ، مع كون المعنى المعتبر هو فهم العرف لمعنى اللفظ في زمان صدور النص ، وقد يكون في مكانه أيضاً ، وربما اختلف عن معناه في أصل اللغة ، أو عن فهم العرف له في زمان أو مكان آخر ، وحتى الألفاظ التي لها حقائق شرعية ، يبحثون عن معانيها اللغوية والعرفية أيضاً ، والمناسبة بينها وبين المعنى الشرعي ، وغيرها من الشواهد على تتبعهم واستقرائهم مما يلاحظها الباحث في الكتب الفقهية . وإنما ذكروا بعض الشواهد نماذج للشواهد الأخرى ، لا حاجة معها لتتبع جميع الشواهد والنصوص .

(٦) وقاية الأذهان : ٨٢ . وقد ألّف صاحب الوقاية رسالة فيه سماها إماطة الغين عن استعمال العين في معنيين وتبنى هذا الرأي بعض الأعاظم أمثال الشيخ الحائري في درر الفوائد ١ : ٥٥ .

(٧) وقاية الأذهان : ١٠١. وقد ألّف صاحب الوقاية رسالة فيه سماها جلية الحال في معرفة الوضع والاستعمال، وتبعه بعض الأعاظم أمثال السيد البروجردي في نهاية الأصول ١ : ٢٦، ومال إليه السيد الخوئي في المحاضرات ١ : ٩٩.

وأما ما ذكر في الاعتراض الثاني من اعتمادهم القياس العقلي المجرد ، أو الاستدلالات والقواعد والمفاهيم والمصطلحات الفلسفية ، أو الفهم الفلسفي أو العقلي الدقيق ، بينما الألفاظ والمعاني أمور اعتبارية ووضعية ، وتعتمد على الفهم اللغوي أو العرفي ، فيمكن تعميم هذا الاعتراض لسائر البحوث الفقهية والأصولية التي تعتمد القواعد الفلسفية ، على اعتبار أن الأحكام الشرعية ، والمسائل الفقهية والأصولية أمور اعتبارية وضعية ، لها خصائصها وقوانينها ، وأما المبادئ والقوانين الفلسفية فلا تجري فيها ، لأنها إنما تجري في الأمور الحقيقية والتكوينية ، فهناك فرق بين المجالات الحقيقية ، والمجالات الاعتبارية ، ولكل منها خصائصه وأحكامه ، والخلط بينهما أوقع بعض العلماء في الالتباس والاشتباه في الكثير من مسائل العلوم ، كما أشار لهذه النقطة الهامة الشيخ المطهري في تعليقاته على كتاب أصول الفلسفة[٨] .

وتجدر الاشارة إلى أن السيد الطباطبائي والشيخ المطهري في كتاب أصول الفلسفة بحثا بتوسع الأمور الاعتبارية ، وفرقها عن الأمور الحقيقية ، ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بمراجعة الكتاب المذكور ، كما أن علماءنا خلال بحوثهم الفقهية والأصولية أشاروا إلى الفرق بينهما ، حيث ذكروا أن الأمور الاعتبارية أمور فرضية في واقعها غير حقيقية ، وتختلف باختلاف الأنظار ، كالأحكام الشرعية ، والقوانين الوضعية ، وكالعملة الورقية مثلاً ، حيث تقتضي جعلها بعضُ المصالح من أجل تنظيم حياة الفرد والمجتمع ، وربما تغيرت بتغير الأزمنة والأمكنة ، وأما الأمور الحقيقية والتكوينية فهي مما تختلف فيها الأنظار ، كالمسافة بين الأرض والشمس مثلاً ، فهي حقيقة واحدة يختلف العلماء في تحديدها ، ولكنها لا تتعدد بتعدد الآراء والأنظار .

(٨) أصول الفلسفة : ٩٢ (بالفارسية).

لذلك يـمكن تـعميم هـذا الاعـتراض لسـائر البـحوث الفـقهية والأصولية ، حيث يذكر العلماء في هذه البحوث المـفاهيم والقـواعـد الفلسفية ، وقد ذكرت الكثير منها وشواهـدها وآراء العـلماء فـي هـذا المجال ، وما يمكن أن يلاحظ علىٰ هذا الاعتراض ببعض الملاحظات ، وما يمكن أن يذكر من مبررات لاستخدام المفاهيم والقواعد الفلسفية في البحث الفقهي والأصولي ، في مقال لي حول مدىٰ تأثر علماء الفقه والأصول بالفلسفة ، نشر في مجلة رسالة الثقلين في ثلاث حلقات[٩] ، وسنذكر خلاصة له مع ما استجد من آراء في هذا المجال ، علىٰ شكل نقاط تمثل الجواب عن هذا الاعتراض في القسم الثاني إن شاء الله .

(٩) في الأعداد ٩ و١٠ و١١.

قال الإمام الحسين (ع) :

دِراسَةُ العِلمِ لِقاحُ المَعرِفَةِ
وطُولُ التَّجارِبِ
زِيادَةٌ فِي العَقلِ .

البحار ٧٨ : ١٢٨

روايات حبر الأمة ابن عباس ٣

أهل البيت عليهم السلام في روايات الصحابة

صادق السوداني

٤٨ ـ عن ابن عباس قال : «إن النبي صلى الله عليه وآله ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل علي عليه السلام ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله رفع رأسه ثم قال : **ادن مني ، ادن مني ، فأسنده إليه ، فلم يزل عنده حتىٰ توفي**»(١) .

٤٩ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب**»(٢) .

٥٠ ـ عن ابن عباس قال : «قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : **أما إنك ستلقى بعدي جهداً . قال : في سلامة من ديني ؟ قال : في سلامة من دينك**»(٣) .

٥١ ـ عن ابن عباس قال : «خرجت أنا والنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في المدينة ، فمررنا بحديقة فقال علي عليه السلام : **ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله ، فقال : حديقتك في الجنة أحسن منها ، ثم أوما بيده إلى رأسه ثم بكىٰ حتىٰ علا بكاؤه . قلت : ما يبكيك ؟ قال : ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتىٰ يفقدوني**»(٤) .

٥٢ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **ما مررت بسماء إلّا وأهلها يشتاقون إلى علي بن أبي طالب ، وما في الجنة نبي إلّا وهو يشتاق إلى علي بن أبي طالب**»(٥) .

(١) مجمع الزوائد ٩:٣٦.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣:١٢٦.

(٣) مستدرك الصحيحين ٣:١٤٠.

(٤) مجمع الزوائد ٩: ١١٨.

(٥) الرياض النضرة ٢:٢٢٠.

٥٣ ـ عن ابن عباس قال : «سمعت نبي اللّه ﷺ وهو آخذ بيد علي عليه السلام يقول : **هذا أول من يصافحني يوم القيامة**»(٦) .

٥٤ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ لعلي عليه السلام : **أنت أمامي يوم القيامة ، فيدفع إليَّ لواء الحمد فأدفعه إليك ، وأنت تذود الناس عن حوضي**»(٧) .

جـ ـ من رواياته في فاطمة عليها السلام

١ ـ عن ابن عباس قال : «كان النبي ﷺ يكثر القبل لفاطمة عليها السلام ، فقالت له عائشة : إنك تكثر تقبيل فاطمة ، فقال : **إن جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة ، فأطعمني من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبي ، فحملت خديجة بفاطمة ، فإذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة ، فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التي أكلتها**»(٨) .

٢ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **ابنتي فاطمة حوراء آدميه لم تحض ولم تطمث ؛ وإنما سماها فاطمة لأن اللّه فطمها ومحبيها عن النار**»(٩) .

٣ ـ عن ابن عباس قال : « إن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر قبّل ابنته فاطمة عليها السلام »(١٠) .

٤ ـ عن ابن عباس قال : «لما زفت فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام ، كان النبي ﷺ أمامها وجبريل عن يمينها ، وميكائيل عن يسارها ، وسبعون ألف ملك خلفها ، يسبحون اللّه ويقدسونه حتى طلع الفجر»(١١) .

٥ ـ عن ابن عباس قال : «قال النبي ﷺ : **أربع نسوة سيدات سادات عالمهن ، مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وأفضلهن عالماً فاطمة**»(١٢) .

٦ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه ﷺ : **ليلة عرج بي إلى**

(٦) تاريخ بغداد ٩:٤٥٣.

(٧) كنز العمال ٦ : ٤٠٠ .

(٨) ذخائر العقبى : ٣٦ .

(٩) تاريخ بغداد ١٢: ٣٣١.

(١٠) أُسد الغابة ٥ :٥٢٣ .

(١١) تاريخ بغداد ٥ :٧.

(١٢) ذخائر العقبى : ٤٤ .

السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً : لا إله إلّا الله محمد رسول الله علي حب الله والحسن والحسين صفوة الله فاطمة خيرة الله على باغضهم لعنة الله»[١٣].

(١٣) تاريخ بغداد ١:٢٥٩.

٧ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّهﷺ لفاطمةعليها السلام : أنتِ أول أهلي لحوقاً بي»[١٤].

(١٤) حلية الأولياء ٢ : ٤٠.

٨ ـ عن ابن عباس قال : «قال النبيﷺ : ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين»[١٥].

(١٥) البحار ٤٣ : ٢٢.

٩ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّهﷺ لعليعليه السلام : إن فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي ، يسؤوني ما ساءها ، ويسرُّني ما سرَّها ، وإنها أول من يلحقني من أهلي بيتي»[١٦].

(١٦) م . ن .

١٠ ـ عن ابن عباس قال : «قال النبيﷺ : إن اللّه تبارك وتعالى ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها»[١٧].

(١٧) معاني الاخبار: ٣٠٢.

د ـ من رواياته في الحسنينعليهما السلام

١ ـ عن ابن عباس قال : «إن رسول اللّهﷺ عق عن الحسن والحسينعليهما السلام كبشاً كبشاً»[١٨].

(١٨) صحيح أبي داود ٧:١٨.

٢ ـ عن ابن عباس قال : «كان رسول اللّهﷺ يعوّذ الحسن والحسينعليهما السلام يقول : أعيذكما بكلمات اللّه التامة ، من كل شيطان وهامة ، ويقول : هكذا كان إبراهيمعليه السلام يعوّذ إسحاق وإسماعيل»[١٩].

(١٩) صحيح الترمذي ١ : ٦.

٣ ـ عن ابن عباس قال : «بينا نحن ذات يوم مع النبيﷺ إذ أقبلت فاطمةعليها السلام تبكي ، فقال لها رسول اللّهﷺ : فداك أبوك ما يبكيك ؟ قالت : إن الحسن والحسين خرجا ولا أدري أين باتا ، فقال لها رسول اللّهﷺ : لا تبكينّ ؛ فإن خالقهما ألطف بهما مني ومنك ، ثم رفع يديه فقال : اللّهم احفظهما وسلمهما . فهبط جبريل وقال : يا محمد ، لا تحزن فإنهما في حضيرة بني النجار نائمين . وقد وكّل اللّه بهما ملكاً يحفظهما ، فقام النبيﷺ

ومعه أصحابه حتى أتىٰ الحظيرة ، فإذا الحسن والحسين عليهما السلام معتنقين نائمين ، وإذا الملك الموكّل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يظلهما ، فأكبّ النبي صلى الله عليه وآله عليهما يقبلهما حتىٰ انتبها من نومهما ، ثم جعل الحسن عليه السلام علىٰ عاتقه الأيمن والحسين عليه السلام علىٰ عاتقه الأيسر ، فتلقاه أبو بكر وقال : يا رسول اللّه ناولني أحد الصبيين أحمله عنك ، فقال صلى الله عليه وآله : **نعم المطي مطيهما ونعم الراكبان هما ، وأبوهما خير منهما** ، حتىٰ أتىٰ المسجد فقام النبي صلى الله عليه وآله علىٰ قدميه وهما علىٰ عاتقه ثم قال : **معاشر المسلمين ، ألا أدلّكم علىٰ خير الناس جداً وجدة ؟** قالوا : بلىٰ يا رسول اللّه . قال : **الحسن والحسين ، جدهما رسول اللّه خاتم المرسلين ، وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة . ألا أدلكم علىٰ خير الناس عماً وعمة ؟** قالوا : بلىٰ يارسول اللّه . قال : **الحسن والحسين ، عمهما جعفر ابن أبي طالب ، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب ، أيها الناس ، ألا أدلكم علىٰ خير الناس خالاً وخالة ؟** قالوا : بلىٰ يا رسول اللّه . قال : **الحسن والحسين ، خالهما القاسم ابن رسول اللّه ، وخالتهما زينب بنت رسول اللّه ، ثم قال : اللّهم إنك تعلم أن الحسن والحسين في الجنة ، وعمها في الجنة وعمتهما في الجنة ، ومن أحبهما في الجنة ومن أبغضهما في النار**»[٢٠] .

٤ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : **إن اللّه عزوجل جعل ذرية كل نبي من صلبه خاصة ، وجعل ذريتي من صلبي ومن صلب علي بن أبي طالب . إن كل بني بنت ينسبون إلى أبيهم ، إلّا أولاد فاطمة فإني أنا أبوهم**»[٢١] .

٥ ـ عن ابن عباس قال : «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله : **حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة . من أحبهما أحبني ومن أبغضهما أبغضني**»[٢٢] .

هـ ـ من رواياته في الحسن عليه السلام

١ ـ عن ابن عباس قال : «أقبل النبي صلى الله عليه وآله وهو يحمل الحسن بن علي عليه السلام علىٰ رقبته . قال : فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت

(٢٠) ذخائر العقبىٰ : ١٣٠.

(٢١) البحار ٤٣ : ٢٨٤.

(٢٢) م . ن : ٣٠٣.

يا غلام ، فقال رسول اللهﷺ : **ونعم الراكب هو**»[٢٣] .

٢ ـ عن ابن عباس قال : «انطلقت مع رسول اللهﷺ ، فنادىٰ على باب فاطمة ثلاثاً فلم يجبه أحد ، فمال إلى الحائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه ، فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن علي قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة . قال : فبسط النبيﷺ يديه ومدهما ثم ضم الحسن إلى صدره وقبّله وقال : **إن ابني هذا سيد ، ولعل الله عزوجل يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[٢٤] .

٣ ـ عن ابن عباس قال : «إن الحسن بن عليعليه السلام كان يشبه النبيﷺ»[٢٥] .

٤ ـ عن ابن عباس قال : «لقد حج الحسن بن عليعليه السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإن النجائب لتقاد معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل»[٢٦] .

(٢٣) مستدرك الصحيحين ٣:١٧٠.

(٢٤) البحار ٤٣ : ٢٩٨ .

(٢٥) مسند ابن حنبل ٢:٣٤٢.

(٢٦) سنن البيهقي ٤:٣٣١.

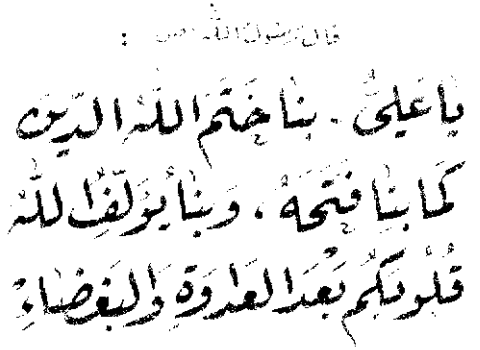

استطلاع

اتباع أهل البيت في الباكستان

١

أسرار محنتهم

* السيد
افتخار حسين النقوي
(باكستان)

تجتاح الباكستان بين الفترة والاخرى حوادث مؤسفة يذهب ضحيتها العديد من الأبرياء وممتلكاتهم من هنا وهناك .

وتردد وسائل الاعلام بصورة خاصة أخبار هجمات من يسمون بحرس الصحابة على مراكز المسلمين الشيعة وتجمعاتهم ، وعن عدد القتلى ومقدار الخسائر المادية ، وردود فعل المسلمين الشيعة تجاه هذه الحوادث بشكل يعكس صورة غير حقيقية عن واقع ما يجري هناك ، بحيث يبدو للمراقب أن المسلمين الشيعة في الباكستان على درجة من الضعف والعجز ، بحيث باتوا غير قادرين على حماية ممتلكاتهم وأنفسهم من تلك الهجمات العدوانية الغادرة .

وفي هذا الحديث نودّ أن نعرِّف بحقيقة ما يجري هناك ، متناولين في البدء الاتجاهات الفكرية في الباكستان ودورها في نشوء الدولة الجديدة ، ثم نبين حقيقة الصراع الجاري وبعض الحلول والمواقف

التي اتخذت للحد من تلك الأعمال التخريبية التي نالت سلامة وأمن الأمة والدولة هناك .

الاتجاهات الفكرية في الباكستان

يبلغ عدد سكان الباكستان حوالي ١٥٠ مليون نسمة ، يمثل المسلمون الشيعة منهم حوالي الربع ، ويشكل المسلمون السنة أغلب ما تبقى من السكان ، أما الطوائف الأخرىٰ غير الاسلامية فلا تؤلّف إلّا نسبة ضئيلة جداً .

وينقسم المسلمون السنة إلى ثلاث فرق رئيسية هي :

١ ـ **البريلية**[١] : وهم أتباع الإمام أحمد رضا خان البريلوي ، نسبة إلى مدينة (بريلي) الهندية ، وينتمون إلى عبد القادر الجيلاني ، الصوفي المعروف ، وعندهم مسالك صوفية عديدة كالقادرية ، والسهروردية ، والجشتية وغيرهم .

(١) الاكثرية القاطعة أو معظم المسلمين من أهل السنة هم بريلويون، ويوجدون في كل مناطق الباكستان.

والبريليون حنفيو المذهب ، ومن محبي أهل البيت عليهم السلام ، وأقرب الطوائف إلى المسلمين الشيعة ، ويعتقدون بحياة النبي صلى الله عليه وآله ، وبزيارة القبور ، ويُعتبرون المادة الخام القابلة لان تتبع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، فهم لا يحملون عقدة التعصّب الطائفي الأعمىٰ ، وليس لهم شبهات علمية متينة ، وكثيراً ما تحولوا إلى إحدىٰ الفرقتين بمجرد أن تنتهي جولة من المناظرات العقائدية بين علمائهم .

٢ ـ **الديوبندية**[٢] : وهم من المسلمين السنة أتباع أبي حنيفة أيضاً فقهياً .

(٢) يوجدون في كل مناطق الباكستان، وعددهم أقل بكثير من البريلويين، ولكن عندهم مدارس ومراكز علمية مهمة في أكثر البلدان.

وديوبند مدينة هندية ومركز علمي مهم لأهل السنة ، وقد تخرج منها الكثير من الوهابيين الذين سافروا بعد ذلك إلى المدينة والحجاز ومكة المكرمة ، والبلدان الأخرىٰ الاسلامية واستقروا هناك .

ويتبع الديوبندية ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب في العقائد ،

ويخالفون البريليين فيما يعتقدون ، حتىٰ إن بعض المتشددين من الديوبندية يكفرون من يقول بحياة النبيﷺ ، وزيارة القبور ، والسلام والصلاة علىٰ رسول الله وآله .

٣ـ أهل الحديث[٣]: وهم الفرقة الثالثة من أهل السنة ، وهم لا يتبعون أحداً ، ويدّعون اتباع القرآن والسنة ، ويتهمون المسلمين بالشرك كافة ، ولا يعرفون موحِّداً غيرهم .

دور الاتجاهات الفكرية المختلفة في تشكيل دولة الباكستان

أيّد الشيعة بفكرهم ومالهم قيام الباكستان ، وقدَّم تجّارهم إلى الدولة الجديدة بقيادة محمد علي جناح[٤] كل ما تحتاجه من الدعم المالي والمعنوي .

ولكن بعد موت محمد علي جناح لم يفكر المسلمون الشيعة في إدامة نشاطهم السياسي ذلك ، وتركوا المجال إلى غيرهم ، وكان ممثلوهم داخل البرلمان من الملّاكين لا من العلماء ، بخلاف ممثلي الديوبندية الذين غالباً ما يكونون من علماء الدين ، الذين أعدّوهم بصورة منظمة ومدروسة لذلك ، مع أنهم كانوا مخالفين لبناء الباكستان أول قيامها ، وكان عددهم ٥ ٪ أو أقل ، ولكنهم عملوا بدقة وتخطيط بعد قيامها .

وقد عانىٰ المسلمون الشيعة في كل المجالات من مشكلة نقص العلماء العاملين ؛ بسبب عدم وجود حوزة علمية في الباكستان في أول قيامها ، وعدم تفكيرهم بالإعداد لهذا الأمر منذ البداية وفق خطة مدروسة كما فعل الديوبندية مثلاً .

وخالف الديوبندية ـ بشكل عام كما سبق ـ تشكيل دولة الباكستان منذ أول الأمر ، حتى لقبوا محمد علي جناح رئيس الدولة آنذاك بالكافر الأعظم ، بدلاً من لقبه المعروف به وهو القائد الأعظم وحزبه

(٣) عددهم قليل جداً وأقل من الشيعة، ولكن عندهم مجامع علمية مهمة ومدارس دينية ومراكز تبليغية ضخمة في البلدان المهمة من الباكستان، وأما في القرىٰ فليس لهم وجود.

(٤) محمد علي جناح أول رئيس لدولة الباكستان، وهو مسلم شيعي، وجناح اسم لجده سماه به أبوه بعد نذر نذره تيمناً بفرس الإمام الحسينعليه السلام، الذي يُعتقد أن اسمه كان ذا الجناح.

مسلم ليك .

وسموا الحزب الحاكم آنذاك بالجماعة الكافرة بدلاً من الجماعة المسلمة . نعم ، أيد بعض المثقفين منهم محمد علي جناح ؛ لأنهم تأثروا به أيام دراستهم وإياه .

وبعد قيام دولة الباكستان قبل الديوبندية الأمر الواقع ، ووضعوا برنامجاً خاصاً للسيطرة على الباكستان ، وقد قاموا خلال ٥٠ سنة مضت على قيام الباكستان ببناء المدارس والمساجد ، ونشر وتبليغ أفكارهم بصورة منظمة ومدروسة ، حتى أصبحت لديهم مئات الحوزات وفيها أكثر من مئة ألف طالب .

وقد وصل مفتي محمود خلال برهة قصيرة إلى رئاسة الوزراء ، في ولاية سرحد المجاورة لافغانستان في زمرة حكومة ذو الفقار علي بوتو ، في حين لم يتوفر مثل هذا الأمر لعلماء الشيعة ، ولا للآخرين من البريلية وأهل الحديث .

الجماعات والتشكيلات الاسلامية في الباكستان

لم يكن للمسلمين الشيعة أول الأمر جماعة سياسية دينية ، ولكن إعلان ضياء الحق في عام ١٩٧٩م أنه سينفذ أحكام الفقه الحنفي ، أدّى إلى ظهور حركة تنفيذ الفقه الجعفري في العام ذاته ردَّ فعلٍ لذلك الإعلان ، وقد كان تأسيس هذه الحركة على يد مفتي جعفر حسين ، إذ كان أول رئيس لها ، ثم انشقت هذه الحركة بعده وصار لها جناحان : جناح الشهيد عارف الحسيني ، وجناح حامد علي الموسوي .

وفي عام ١٩٨٤م تأسست بعض الجماعات الاسلامية الشيعية ، ولكنها كانت غير مؤثرة ومحدودة الأهداف .

أما المسلمون السنة فقد كان لهم عدة تشكيلات سياسية دينية ، منها :

١ ـ جمعية علماء الاسلام الديوبندية[٥] في الهند ، وقد تحولت إلى جمعية علماء الاسلام في الباكستان بعد قيام الباكستان .

٢ ـ جمعية علماء الهند البريلوية ، وتحولت أيضاً إلى جمعية علماء الباكستان[٦] بعد قيام الباكستان .

وقد تأسست للبريليين جماعة أخرىٰ قبل عشرين عاماً باسم منهاج القرآن ، بزعامة البرفسور الدكتور طاهر القادري .

٣ ـ الجماعة الاسلامية للمودودي ، وهم جماعة منشقة من الديوبندية ، ثم انشق من الجماعة الاسلامية بعض العلماء ، وأسسوا جماعات أخرىٰ كالحركة الاسلامية التي أسسها الدكتور أسرار أحمد.

٤ ـ حرس الصحابة ، وهي الجماعة التي شكلها حق نواز الجهنكي عام ١٩٨٥م في بلدة جهنك ، وقد كان هدفها المعلن هو الذب عن كرامة الصحابة وحفظ مكانتهم وقدسيتهم لدىٰ المسلمين ، بعد أن تعرضوا للظلم والسب والشتم والإهانة من قبل المسلمين الشيعة حسب ادعاء هذه الجماعة ، وهذه الجماعة لا رادع لها في الباكستان إلى الآن .

وحق نواز هذا هو أحد خطباء المساجد الديوبندية في جهنك ، وكان في أول أمره في مسجد صغير جداً ، انتقل بعده إلى الجامع الكبير ، وقد تتلمذ علىٰ يد عبد الستار تونسوي أحد علماء الديوبندية البارزين في مسائل الجدال والعقائد .

وجهنك منطقة اسلامية شيعية السكان والهوىٰ السياسي ، إذ يحتل المسلمون الشيعة خمسة كراسي من أصل الكراسي الستة المخصصة لمنطقة جهنك في البرلمان الباكستاني ، وهم من الملاكين الذين يمتلكون معظم الأراضي الزراعية ، أما التجارة فانها بيد المسلمين السنة .

وجماعة حرس الصحابة نشأت من داخل جمعية علماء الاسلام الديوبندية .

(٥) أول رئيس لها هو مفتي محمود، وهو من كبار علمائهم.

(٦) الرئيس المؤسس هو السيد ابو الحسنات محمد قادري وأول رئيس لها هو شيخ الاسلام خواجه محمد قمر الدين سيالوي، وقد انشقت إلى قسمين: أحدهما يسمىٰ جناح شاه أحمد نوراني، والآخر جناح عبد الستار نيازي.

وبعد وفاة مفتي محمود انشطرت جمعية علماء الاسلام التابعة له إلى جماعتين ، هما :

١ ـ جماعة فضل الرحمان وهو ابن مفتي محمود ، وهذه الجماعة لم تتبنّ مسألة الهجوم على المسلمين الشيعة وحربهم وقتلهم ، بل صرح فضل الرحمان بأنهم إخوانهم في الدين ولا يجوز الاعتداء عليهم .

٢ ـ جماعة سميع الحق ، وحرس الصحابة في الظاهر تنتمي إليها .

ولهاتين الجماعتين حوزات كبيرة تضم آلاف الطلبة . وأغلب الطالبان الذين استولوا على أفغانستان فيما بعد هم من طلبة هذه الحوزات ، حيث يدرس في حوزاتهم العلمية الطلبة من أفغانستان وإيران والدول العربية والإفريقية .

أما جماعة لشكر الجهنكي ، وهي جماعة تشكلت في السنين الأخيرة ، فهي تدعي الانشقاق من حركة حرس الصحابة ، وتهدف إلى تصحيح الانحراف الذي أصاب هذه الحركة ، إذ انحرفت عن الأهداف التي أعلنها حق نواز حسب ادعائها .

تطور تحرك حرس الصحابة

بدأت هذه الحركة تحركها إبان الحرب العراقية الايرانية ، وقد كان بدء تشكيلها ونشاطها على يد تجار مدينة جهنك ، ثم عمل أتباع هذه الحركة من أجل السيطرة على الأوضاع السياسية والداخلية هناك .

وقد عمل حق نواز الجهنكي على إثارة النعرات الطائفية المقيتة ، بخطبه التي كان يشحن بها نفوس المسلمين السنة تجاه المسلمين الشيعة ، من خلال زعمه أن المسلمين الشيعة يسبون ويشتمون ويهينون الصحابة وزوجات النبيﷺ ويتهمونهم بالكفر ، وأن كتب المسلمين الشيعة مليئة بمثل هذه الأمور ، وغير ذلك من التهم المثيرة للفتن والمؤججة لنار الحرب بين المسلمين .

والغريب في الأمر هنا أن بداية النقاشات والمناظرات العقائدية كانت بين المسلمين السنة أنفسهم ، بين الديوبندية والبريلية ، حتى عقد مجلس للمناظرة بين حق نواز وبين عالم البريلية السيالوي ، وكان محور النقاش هو من الذي يحفظ مكانة الرسولﷺ ؟ حيث ادّعىٰ البريلوية أن الرسولﷺ حي ويجوز السلام عليه ، وأنكر ذلك الديوبندية واتهموا من يؤمن بذلك بأنه ضالّ مضلّ .

وانتهت المناظرة ـ كما هو معروف ـ بانتصار البريلية .

ولكن سرعان ما نجح حرس الصحابة في تحويل اتجاه الصراع نحو المسلمين الشيعة ، ومحور الصراع من الرسالة ومكانة الرسول إلى الصحابة ومكانة الصحابة .

عاصرت هذه الأحداث حكومة ضياء الحق الذي وقف موقف المتفرج من الأحداث ، متبعاً سياسة فرّق تسد ، ليس بين المسلمين السنة والشيعة فقط ، بل بين الطائفة الواحدة وبين القوميات المختلفة بغض النظر عن مذاهبها أيضاً .

ثم تطور الصراع من المناقشات والمناظرات إلى القتال والاصطدام المسلح بين المسلمين ، وقد بدأ القتال بشكل ملحوظ بين عامي ١٩٨٦م و١٩٨٧م ، ثم اشتد خلال ١٩٩٠م فكان علىٰ أوجه بين عامي ١٩٩٧م و١٩٩٨م .

وقد استفاد حرس الصحابة من بعض فصائل المجاهدين الأفغانيين ، فتدربوا معهم وحصلوا علىٰ سلاح كثير منهم .

كما دعم نظام صدام حسين حرس الصحابة بشكل كبير ، حيث كانت هناك زيارات عديدة في زمن الحرب المفروضة علىٰ الجمهورية الاسلامية في ايران ، من زعماء حرس الصحابة إلى بغداد ، وقد نشر ذلك في الصحف الباكستانية علنياً .

أما بعض القوىٰ في البلدان الاخرىٰ فلم تدعم حرس الصحابة علناً

بصفتهم حركة سياسية ، بل دعمت علماءهم بصفتهم علماء للوهابية .

ثم تطور تحرك حرس الصحابة بشكل ملحوظ فيما بعد ، حيث كانوا يسافرون إلى دول الخليج الفارسي وإفريقيا وخصوصاً إفريقيا الجنوبية .

ورغم هذا التطور النوعي والكمي في تحرك حرس الصحابة لم يستطيعوا ـ والحمد لله ـ تنفيذ مآربهم ، خصوصاً في منطقة جهنك التي أُرغموا على الخروج منها بعد أن تكبدوا خسائر مادية وبشرية كبيرة ، وقد كان حلمهم أن يخرجوا المسلمين الشيعة منها .

كما أنهم فشلوا في إقناع باقي المسلمين السنة على مجانبة المسلمين الشيعة ، باعتبارهم أعداءً للصحابة وزوجات الرسول ﷺ ، وما إلى ذلك من أباطيل استطاعوا بها أن يثيروا الحرب بين المسلمين السنة والشيعة .

والأمر المهم هنا هو أن العلماء المسلمين الشيعة ، خلال هذا التطور في تحرك حرس الصحابة ، حصلوا على عدة قرائن تبين أن هذه الجماعة لا علاقة لها بما بين المسلمين السنة والشيعة ، بل إن وراء الأمر شيئاً آخر ، ولكن كان يعوزهم امتلاك دليل أو وثيقة قاطعة على ذلك ، ومن هذه القرائن كما ذكرنا سابقاً ما يلي :

١ ـ أن بداية المناقشات والمناظرات كانت بينهم وبين السنة البريليين ، فلم حولوا محورها واتجاهها ؟

٢ ـ علاقتهم بنظام صدام حسين وبعض الأنظمة المشبوهة الأخرى ، وزياراتهم المتكررة ولا سيما إلى إفريقيا الجنوبية .

٣ ـ تأكيدهم أن للمسلمين الشيعة كتباً فيها إهانة للصحابة وزوجات الرسول ﷺ ، مع العلم أن لدى المسلمين السنة مثل ذلك إن لم يكن أكثر كما سنبينه لاحقاً .

٤ ـ التركيبة البشرية لحرس الصحابة كانت مثار شك عندنا ، إذ

جمعوا حولهم كل مجرم وسارق وبائع للمخدرات ، حيث يغرونهم بالمال فيعطون لمن ينتمي إليهم من عوام الناس أربعة أضعاف ما يحصل عليه العامل الباكستاني العادي ، ثم يسخّرونهم لتنفيذ مآربهم في قتل الناس الأبرياء وتدمير ممتلكاتهم ، حتى هدم مساجد اللّه وحرق المصاحف وغير ذلك من الأعمال الارهابية .

٥ ـ قتلهم المسلمين السنة ليُتّهم المسلمون الشيعة بأنهم هم القتلة ، وقد انكشف ذلك بعد حين .

موقف علماء المسلمين الشيعة من الأحداث

أما كبار علماء المسلمين الشيعة فقد وقفوا دائماً موقفاً سلمياً تجاه الأحداث ، وقالوا إن مثل هذه الصراعات لا هدف لها إلّا زعزعة أمن البلاد وتدمير اقتصادها ، ولن تخدم إلّا غرض من يريد تدمير الباكستان .

وإن المسألة ليست منحصرة بما في كتب المسلمين الشيعة من إهانة لبعض الصحابة ولبعض زوجات الرسولﷺ ، إذ إن هذه المطالب موجودة في كتب الفريقين منذ أمد بعيد ، فلماذا لم تحدث مثل هذه الصراعات من قبل ؟

وقد دعاهم بعض علماء الشيعة للحوار أكثر من مرة ، وكانت المرة الأهم بحضور رئيس الوزراء محمد نواز شريف عام ١٩٩٢م ، وبحضور ١٥٠ عالماً من المسلمين الشيعة والسنة ، حيث تكلموا بحديث لا يحسن نقله لتفاهته ، وكان حديثهم سبباً لإهانتهم وإهانة علمائهم .

وبصورة عامة كان كبار علماء المسلمين الشيعة في الباكستان يدعونهم للحوار والمناقشة والمذاكرة العلمية الهادئة ، حيث كانوا يركزون في كل حواراتهم على نكات رئيسية هي :

١ ـ أن مسألة الصراعات المثارة في الباكستان ليست هي مسألة المسلمين السنة والشيعة ، بل هي مسألة يستهدف منها بالدرجة الأولىٰ أمن الدولة ، وعلىٰ الدولة أن تتدخل لإنهائها .

٢ ـ الدعوة دائماً إلى الوحدة بين المسلمين ، وتنبيه علماء الطوائف كافة إلى أن سبب الصراع لو كان هو ما يدعى من خلاف عقائدي بين المسلمين الشيعة والسنة ، لكان لازم ذلك أن يقتل البريلي الديوبندي والديوبندي أهل الحديث ، وهكذا ، ولأن هذا لم يحدث فإن وراء الأمر شيئاً آخر يمس أمن الأمة ووحدتها ، وعلىٰ العلماء الوقوف بوجهه صفاً واحداً .

ثم أثار حرس الصحابة أوهىٰ حجة من الحجج التي لديهم ، إذ قالوا إن المسلمين الشيعة بعد أن قامت الجمهورية الاسلامية في ايران ، انتقلوا من حالة التقية إلى حالة العمل العلني ، فطبعوا كتبهم المهينة للصحابة وزوجات الرسول ﷺ ، ولكن علماء الشيعة جاؤوهم بكتب للمسلمين السنة والشيعة طبعت منذ مئات السنين في الهند ، وفيها ما ذكروه من أمور فانهزموا .

وأكد علماء الشيعة أن الذين يقتلون الأبرياء من المسلمين الشيعة والسنة ، ليسوا هم من الشيعة ولا من السنة ، بل هم عملاء للصهيونية العالمية والمشركين الهنود والأميركيين ، وهم أعداء للباكستان وللاسلام ، وقالوا إننا ورثاء جميع القتلىٰ سواء كانوا من السنة أو من الشيعة ، وعلىٰ العلماء والمفكرين والسياسيين أن يدينوا عمل القتل والإرهاب ، وإن الذين يرأسون هؤلاء القتلة والإرهابيين ومثيري الفتن والخلافات هم الأعداء حقاً .

٣ ـ الإعلان علىٰ الملأ أن الذنب ليس هو ذنب الكتاب المطبوع ، بل هو في هذا الصراع ، ذنب من ينشر هذه الكتب ويترجمها وينقلها إلى الناس ، ويشتم المسلمين في مساجدهم ويحرق المصاحف التي فيها.

والذي نود الإشارة إليه هنا ، أن بعض ما يجري في الباكستان من أعمال عدوانية تجاه المسلمين الشيعة ، هو ضريبة لابد أن يدفعوها بسبب قيام الدولة الاسلامية في ايران بقيادة الإمام الخميني ، واستمرارها على يد ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي «حفظه الله» .

وقد نجحوا ـ بقوة الله ـ فيما دعوا إليه خلال الحوارات والمناقشات ، في كسب تأييد الرأي العام والدولة والجهات الرسمية فيها وفشل حرس الصحابة في تحركهم ؛ إذ ظهر للأمة والدولة عدم سلامة دوافعهم ونواياهم ، فازدادت عزلتهم رسمياً وشعبياً ، فاضطروا إلى تصعيد حملاتهم المسعورة ضد المسلمين الشيعة . حيث سقط لهم مئة شهيد عام ١٩٩٧م[٧] .

(٧) في بداية هذه السنة ١٩٩٨م قتلوا ٢٥ مسلماً بريئاً في المقبرة الاسلامية ، خلال هجمة غادرة عليهم إبان شهر رمضان المبارك.

اللجوء إلى الدولة والمحكمة العليا لحل النزاع

بعد الأحداث المؤسفة الأخيرة في عام ١٩٩٧م كتب عدة من علماء المسلمين الشيعة إلى رئيس الجمهورية الباكستانية ورئيس الوزراء وقائد الجيش ، وبينوا لهم بالأدلة موقفهم تجاه الأحداث ، وأنه كان بينهم وبين حرس الصحابة اتفاقات ومواثيق قد نقضوها ، وطلبوا تشكيل محكمة لدراسة الأمر والبت فيه ، وبيان المسبب لتلك الأحداث الدامية .

وقد نجحوا في ذلك ـ والحمد لله ـ ، إذ أمر رئيس المحكمة العليا بتشكيل تلك الجلسة ، وطلب من الأطراف الحضور والإدلاء بما لديهم من معلومات وشهادات حول ذلك .

حديث جيش الصحابة

وفي البدء ذهب ممثل حرس الصحابة وهو علي شير حيدري ، وتكلم في سبب الصراع وعزاه إلى الكتب الاسلامية الشيعية التي

انتشرت ، والتي كانت حاوية على سب بعض صحابة الرسول ﷺ وبعض زوجاته وإهانتهم ، والتي حرفت الأذان بإضافتها إليه شهادة أن علياً ولي الله ، وغير ذلك من الأمور ، ثم بيّن أن وقف الصراع والقتال لا يكون إلّا باعلان أن الشيعة كفّار ، وجمع كتبهم من المكتبات ، وجعلهم أقلية كافرة .

وقد كان هذا البيان بذاته مخالفاً للقانون الأساسي للباكستان ، فبموجبه يكون صاحب هذا البيان مجرماً ومتخلفاً عن القوانين الباكستانية ؛ لأنه ليس لأحد حق أن يكفر المسلمين .

موقف الأطراف الأخرىٰ

ثم ذهبنا بعد ذلك مع بقية الأطراف ، حيث كان معنا علماء من الديوبندية ومن البريلية ، وعلماء محايدون لا ينتمون إلى أي حزب ولكنهم يتمتعون بمقام جيد وسمعه حسنة في أوساط الشعب المسلم في الباكستان ، وعلماء من الجماعة ا لاسلامية وجمعية علماء الباكستان ، ولم يتخلف عن هذا الوفد العلمائي إلّا من يسمون بحرس الصحابة وجيش محمد ﷺ .

وقد كانت تشكيلة الوفد بحد ذاتها نجاحاً لعلماء المسلمين الشيعة ؛ إذ أدرك رئيس المحكمة مغزى هذا التجمع ودلالته علىٰ ما ندعيه من رغبتنا في الوحدة الاسلامية .

وبعد قراءة بيان مشترك لعلماء المسلمين خُصّص وقت لوفد الحركة الجعفرية ، وقد تكلم رئيس الوفد[٨] حوالي أربع ساعات ، وألقىٰ بياناً مفصلاً رداً علىٰ بيان رئيس حرس الصحابة ، وبيّن أن سبب القتال ليس هو انتشار الكتب الاسلامية الشيعية المحتوية علىٰ الأمور المثيرة كما يدعيه حرس الصحابة ، إذ إن هذه الكتب كانت موجودة منذ مئات السنين ، والشيعة أيضاً بعقائدهم موجودون منذ

(٨) كان كاتب هذه السطور هو رئيس الوفد.

مئات السنين ، بل السبب هو نفس تأسيس حرس الصحابة ، وبه بدأ الصراع والقتال بين المسلمين ، ولم يحدث من قبل أن تقاتل المسلمون بسبب مناظرة عقائدية حتىٰ وإن بلغ الكلام فيها حد الفحش وتمّ إثبات ذلك بوقائع تأريخية معروفة لدىٰ المسلمين الباكستانيين هناك .

وقد أرجعت أسباب وعوامل هذه الفتنة إلى قسمين : عامة وخاصة، وخلاصتها ما يلي :

الأسباب العامة

١ ـ **الاسباب الاقتصادية** : إذ إنه بسبب الفوارق الطبقية الكبيرة بين الأغنياء والفقراء في الباكستان ، يضطر الكثير من الفقراء والمحرومين إلى العمل مع حرس الصحابة وأمثالهم لقتل المسلمين الأبرياء وإثارة القلاقل والفتن للحصول علىٰ لقمة العيش .

٢ ـ **الأسباب الاجتماعية** : إذ أدّت الحروب بين الهند والباكستان ، والحرب الأفغانية ، وجهاد كشمير ، وانهيار الجناح الشرقي للباكستان ، والشعارات التي رفعها بوتو ، ومنها شعار الخبز واللباس ، وشعار ضياء الحق إجراء الفقه الحنفي ، كل هذه الامور أدت إلىٰ نشوء وإدامة الفتنة بين الطوائف في الباكستان ، حتىٰ إن إعلان ضياء الحق إجراء الفقه الحنفي ، كان السبب المباشر لإعلان مفتي جعفر حسين تأسيس حركة إجراء الفقه الجعفري .

كما كان لبيع الخمور والمخدّرات وانتشارها دور في تفسيخ وتدمير المجتمع ، وجعله أرضاً صالحة لنشوب الفتن الدموية فيه واستمرارها ، ولا سيما إذا أضيف إلى ذلك الجهل وضعف الوعي بصورة عامة هناك .

٣ ـ **الأسباب السياسية** : إذ إن الحكومات المتعاقبة علىٰ سدة الحكم

في الباكستان لم يكن همها إحلال الأمن في الباكستان وازدهارها وتطورها ، بل كان همها الأول هو حفظ مصالحها الشخصية ولو على حساب مصالح الأمة ، هذا بالاضافة إلى ضعفها بشكل عام ، الأمر الذي أدّى إلى عدم تدخلها بصورة جدية في حل الخلافات والنزاعات من جهة ، وإلى عدم قدرتها فعلاً على حلها من جهة أخرى .

وقد أدّى قيام الجمهورية الاسلامية في ايران إلى إثارة مخاوف الاستكبار من قيام دولة اسلامية مثلها في الباكستان ، فأجّجوا نار الفتن ، ودعموا القتلة والأشرار للحيلولة دون قيام مثل هذا الأمر .

الأسباب الخاصة

وقد أكدنا أن السبب الخاص لنشوء القتال هو تشكيل حرس الصحابة ، وأتينا بسبعة عشر دليلاً ، لكل دليل ملف خاص به قدّمت إلى المحكمة ، وخلاصتها هي :

١ ـ أن حرس الصحابة استهدف بعملياته النيل من كيان الحكومة وموقع الرئاسة فيها ، ولم يكن هدفهم الدفاع عن صحابة الرسول ﷺ ومحاربة المسلمين الشيعة ، حيث أثبتت الأدلة أنهم قصدوا بإرهابهم شخصيات رسمية مهمة من المسلمين السنة ، مثل : حبسهم رئيس قوى حفظ نظام البلدية والمدينة في منطقة ليّه ، ورئيس محكمة البلدان في إحدى مناطق لواء جهنك ، وقد أطلقوا سراحه بعد إطلاق سراح عدد من مجرميهم ، واغتيالهم رئيس شرطة السجن المدعو زين العابدين في مدينة جهنك ، ومهاجمتهم سيارة شرطة مدرعة بالصواريخ في جهنك أيضاً ، وقتلهم ثلاثة عشر شرطياً في المدينة المذكورة ، عشرة منهم من المسلمين السنة ، واغتيالهم رئيس السجن في لاهور السيد سبط الحسن ، وهو مسلم شيعي ، واغتيالهم أيضاً كلاً من رئيس محكمة جبي الضرائب الحكومية السيد صادق

الجيلاني ، ورئيس قضاء سركودها ، ورئيس لواء خانيوال ، ورئيس الشرطة في بهاولبور ، ورئيس الشرطة محمد أشرف مارت في محافظة كجرانوالا ، وهو زوج أخت وزير الداخلية جوهدري شجاعت حسين ، ونائب الرئيس الحقوقي في المحكمة القضائية في محافظة لاهور ، وتهديدهم الكثير من رؤساء الشرطة والمحاكم القضائية في مناطق مختلفة .

٢ ـ أن أغلب أعضاء حرس الصحابة الذين يقومون بهذه العلميات الإجرامية ، هم من الأشرار والقتلة غير المتدينين ، وأثبتنا بالأدلة أنهم لصوص وقطاع طرق وسراق ، ويتعاطون الخمور والمخدرات ، كل ذلك من خلال ما نشر من الأخبار في الصحف الباكستانية ، فالأمر إذن يتعلق بأمن الدولة وسلامتها ، وليس هو قضية بين المسلمين السنة والشيعة .

٣ ـ قتلهم العديد من المسلمين الشيعة علماء وغير علماء بدون ذنب ولا جريمة اقترفوها .

٤ ـ أن حرس الصحابة ما هم إلّا عصابة همها خلق الفتن والقلاقل في البلاد ، ولا تحترم القوانين والأنظمة ، حتىٰ إنها رتبت أمر فرار ثلاثة من القتلة من قاعة المحكمة العليا القضائية في لاهور ، مستهزئة بالدولة والقانون .

٥ ـ الكتابات واشرطة التسجيل والفيديو التي كتبها أو وزعها حرس الصحابة ، والتي فيها إثارة للفتن والاضطرابات والاختلافات الطائفية ، والفتاوي بقتل مسلمي الشيعة وتكفيرهم أيضاً ، وهذا العمل مناف للقانون الباكستاني والاسلام والقرآن .

٦ ـ أن حرس الصحابة متورطون في حرق المساجد والمصاحف، إذ إن المتهمين الذين قاموا بهذه الأعمال الشائنة اعترفوا بأنهم قاموا بها بتوجيه من رجال حرس الصحابة ، لكي يلقوا بالتهمة على

المسلمين الشيعة فيثيروا حفيظة الشعب عليهم ، وقد انكشف الأمر وفشلت الخطة والحمد لله .

٧ ـ تورط حرس الصحابة في قتل الحقوقيين (المحامين) والأطباء، الذين يتمتعون بالحماية القانونية والشعبية ، وقد تعمد حرس الصحابة إهانة القانون والأمة .

٨ ـ أن حرس الصحابة تورطوا في قتل عدد من البريلوية ؛ لأنهم سمعوا أحدهم يقول : علي علي ، وآخر يقول : يا رسول الله ، وهكذا .

٩ ـ إهانة حرس الصحابة لشخصيات اسلامية مهمة ، وقد ثبت أن حق نواز الرئيس الأول والمؤسس ، وإيثار القاسمي الرئيس الثاني ، وضياء الرحمان الرئيس الثالث ـ وكلهم قتلوا ـ ، تكلموا بخبث وإهانة على الإمام أحمد رضا خان البريلي ، وقالوا إنه كان يهودياً وعميلاً للإنجليز ، وإنه خبيث وكافر ، وإن البريلية أنجس من المسلمين الشيعة ، وتجرأوا بالسبّ على مفكر الاسلام العلّامة إقبال اللاهوري ، والإمام الخميني ﷺ ، وغيرهم .

١٠ ـ قتل حرس الصحابة أحد المسيحيين بتهمة أنه أهان الرسول ﷺ ، إذ إنهم بعد أن أتوا به إلى المحكمة لم يستطيعوا إثبات التهمة علية ، ولكنهم قتلوه وهو خارج المحكمة بدون إقامة دليل على قتله .

١١ ـ أن حرس الصحابة قاموا بعمليات تبليغ ضد الجمهورية الاسلامية الايرانية ، وقد استهدفوا بهذا العمل تخريب العلاقات الودية بينها وبين الباكستان ، وليس هذا العمل في صالح الباكستان أبداً ، كما ثبت تورطهم في قتل الدبلوماسيين الايرانيين أيضاً .

١٢ ـ تورط حرس الصحابة في بيع الأسلحة والخمور والمخدرات ، علماً أن مزاولة مثل هذه الأعمال يعد جريمة في الباكستان .

١٣ ـ إثارة حرس الصحابة لمسألة الكتب الاسلامية الشيعية التي تحتوي على بعض ما يثير الخلافات الطائفية ، ويؤدي إلى التنازع والصراع ، وقد طبعوا كتاباً بعنوان الأسناد التاريخية لضياء الرحمان الفاروقي ، يحتوي على ٧٠٠ صفحة ، ونقل فيه ما ورد في كتب المسلمين الشيعة من كلام فيه إهانة لبعض الصحابة وبعض أزواج النبيﷺ ، من حوالي ١٠٩ من مصادر الشيعة ، وقد ادعى أنه عثر على أكثر من ٢٠٠ مصدر يتناول هذه الأمور ، كما أنه لم ينقل كل ما وجده بأمانة ؛ إذ أضاف في بعض الأحيان من عنده ماهو كذب وافتراء .

وقد ثبت بالدليل للمحكمة من خلال كتاب صرف بعض علماء المسلمين الشيعة سنتين من الجهد لإتمامه ، أن في كتب المسلمين السنة مطالب ومباحث تتعرض لإهانة المعتقدات الاسلامية والصحابة وأهل بيت النبيﷺ وازواجه ، بعبارات أقسى وأشد مما هو موجود في كتب المسلمين الشيعة .

وفي مقدمة الكتاب المذكور التي اشتملت على نحو ١٠٠ صفحة ، أثبت علماء المسلمين الشيعة أن رؤساء الديوبندية يقولون باسلام الشيعة ، وأن الإمام شلتوت إمام الجامع الأزهر قد أفتى بأن المذهب الشيعي الإمامي هو أحد المذاهب الاسلامية المعتبرة ، وأن الدستور الباكستاني يقر باسلام أهل التشيع .

هذا مضافاً إلى المناظرة التاريخية الموقع عليها بالتوقيعات الرسمية ، التي تمت بين حق نواز والبريلوية في بلدة جهنك ، والتي ثبت خلالها إهانتهم للرسولﷺ .

ثم تعرض الكتاب للشبهات التي أثارها كتاب الأسناد التاريخية وفندها واحدة تلو أخرى ، وقد أوضح مراراً أن المطالب غير الصحيحة موجودة في كتب المسلمين السنة والشيعة ، ولا يمكن أن

نعترف بصحة أي كتاب من الجلد إلى الجلد ، ما عدا كتاب اللّه عزوجل ، وأن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام علوماً مثل علم أصول الحديث وقواعده ، وعلم الرجال ، وهناك علم الدراية مع الرواية ، والمسلمون الشيعة ملتزمون بقول الإمام الصادق عليه السلام ، الذي يلزمهم بعد إثبات صحة سند الرواية بعرض متنها ومضمونها على كتاب اللّه، فما وافقه يقبل ويؤخذ به ، وما عارضه يضرب به عرض الحائط .

كما أن على الباحث الموضوعي المنصف أن يأخذ عقيدة المسلمين الشيعة منهم ومن مصادرهم الموثقة .

وبهذا المنطق الصحيح تم إثبات بطلان ما ادعاه علماء حرس الصحابة ، من أنّ المسلمين الشيعة يحرفون القرآن ، ويفضّلون أهل البيت عليهم السلام على النبي صلى الله عليه وآله ، ويعتقدون بجواز شتم أزواج النبي وأصحابه ، وبأنهم السبئية ، وغير ذلك من الاتهامات الكاذبة . كل هذا كان يتم مرات عديدة في اجتماعات علمائية ورسمية تضم ١٥٠ عالماً أو أكثر ، حيث كان النجاح حليف علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، إلى أن تراجع الخصوم عن بياناتهم واعترفوا باشتباههم .

وقد سمينا كتابنا هذا الأسناد التحقيقية في جواب الأسناد التاريخية ، وهو يشتمل على ١٢١٥ صفحة .

وقسمناه إلى أبواب عديدة هي :

الباب الأول : اشتمل على ذكر ما ورد في مصادرهم من أمور تتعرض لعقيدة التوحيد بالإهانة ، حتى جوّزوا على اللّه عزوجل الكذب ، والعياذ باللّه .

الباب الثاني : استعرض فيه ما ورد عندهم من إهانة لمقام النبوة .

الباب الثالث : خصص لما ورد في كتبهم من القول بتحريف القرآن الكريم ، وذكرت فتوى قاضي خان بجواز كتابة القرآن الكريم بالبول، والعياذ باللّه .

الباب الرابع: ذكر فيه ما نقوله مما فيه إهانة لأهل البيت عليهم السلام .

الباب الخامس: خصص لنقل ما ورد في كتبهم من إهانة لأزواج النبي صلى الله عليه وآله .

الباب السادس: ذكر فيه ما ورد في كتبهم من إهانة للشيخين وعثمان .

الباب السابع: ذكر فيه ما ورد في كتبهم من إهانة لباقي الصحابة دون الشيخين .

الباب الثامن: جاء فيه ما أوردوه في شأن معاوية بن أبي سفيان .

الباب التاسع: ذكر فيه مسائل متفرقة وفتاوى غريبة .

١٤ ـ أن حرس الصحابة تعرضوا لعقيدة الإمام المهدي (عج)، التي هي عقيدة مقدسة لدىٰ كل المسلمين شيعة وسنة حتى أهل الحديث والوهابيين ، وأهانوها علىٰ لسان أحد قادتهم اعظم طارق ، ونقلنا فتاوي علمائهم أن من أنكر قضية الإمام المهدي فقد كفر ، وأثبتنا أن لفظ المهدي مقدس عند كل المسلمين ، فكما لا يجوز لأحد أن يهين عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ، بأن يشتمه بحجة شتم المسيحيين الذين يعتقدون به ، كما هو موجود في كتبهم ، كذلك لا تجوز إهانة المهدي (عج) بأن يُشتم بحجة شتم المسلمين الشيعة الذين يعتقدون به . وقد اعترفوا بعد ذلك بخطأهم واشتباه قائدهم أعظم طارق .

١٥ ـ قيام حرس الصحابة بعمليات اغتيال لسفراء الدول الأخرىٰ في الباكستان ، وبعض المسؤولين الأجانب هناك ، مما يدل علىٰ عدم احترامهم لأي قانون أو ضابط إنساني أو دولي من جهة ، وعدم اكتراثهم لما سوف تؤول إليه تلك العمليات من مشاكل ، وما تؤدي إليه من وخامة عواقب للباكستان من ناحية أخرىٰ .

بهذه الأدلة وبغيرها ثم تقديم صورة واضحة مدعومة بالوثائق لحقيقة حركة حرس الصحابة وأنها حركة لا تهتم بعرف ولا بقانون ،

ولا تقيم وزناً أو اعتباراً لدين ، ولا يهمها إلّا تنفيذ مآربها المشبوهة مهما كانت النتائج .

وقد كان لحرس الصحابة في بداية الأمر منزلة عند أهل السنة وعلمائهم ؛ لأنهم اعتقدوا بهم محبين للصحابة ، ومدافعين عن قداستهم ، ولكن علماء المسلمين الشيعة بفضل اللّه والأدلة التي قدموها استطاعوا كشف حقيقتهم .

وفي عام ١٩٩٣م عقدت جلسة برئاسة وزير شؤون الدين مولانا عبد الستار خان ، حضرها زهاء خمسين عالماً كبيراً .

وقد بين علماء المسلمين الشيعة في تلك الجلسة أن حرس الصحابة هم الذين يهينون الصحابة ؛ لأنهم ينقلون ما هو موجود في بطون الكتب العربية والفارسية ، وينشرونها بين العوام الذين لا يفقهون هاتين اللغتين ، وليسوا هم من ذوي الاختصاص ، لا سيما وأن التعرض لبعض الصحابة بالقول موجود في كتب الفريقين وقد أيد الوزير كلام العلماء المسلمين الشيعة ، وسكّت رجال خصومهم ، ولما لم يستطيعوا الجواب توسلوا بالقتل والتهديد والأعمال الإجرامية ، وكلما ازداد نجاح علماء الشيعة المسلمين في إثبات حقهم بالحكمة والمنطق ، ازداد توسّل أعدائهم بالعنف والقتل والاغتيال .

قال رسول الله (ص) :

مَنْ آذى مُؤمِناً فَقَدْ آذاني .

البحار ٦٧ : ٧٢

لا تظلم لما تحب أن تظلم

من غرر حكم أهل البيت عليهم السلام

* اعداد
عبد القادر فرج الله

في رِحاب الإمامةِ الوادعةِ تَفيَأُ القلوبُ الصَّدِئةُ بأحضانِ الرِّضا، وتَنَشَّقُ أنفاسَ الهُدىٰ والسَّكينةِ، وتُلفي ربيعَ وُجودِها، وأُنسَ وَحشتِها وضَياعِها، فإذا هيَ رَيّا بعد ظمأ، وخضراءُ بعدَ إقفارٍ، ومطمئنّةٌ بعد إصحار.

وفي هذا الباب نستشرفُ في تلك الرِّحابِ من أضوائِها ما يَهدي سَبيلَنا، ويُقوّمُ خَطَراتِ نفوسِنا، ويُثبتُ على مسالكِ الحقِّ والحقيقةِ خُطانا، حيث ﴿يَزيدُ اللّه الّذينَ اهتدَوا هُدىً﴾ و﴿مَنْ يَهدِ اللّهُ فَهوَ المُهتدِ ومَن يُضلِلْ فلَنْ تجدَ لهُ وليّاً مرشِداً﴾.

وقَد كانت قبساتنا هذه مستقاة من كتاب ميزان الحكمة.

« التحرير »

(*) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

الظلم ظلمات

١ ـ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إياكم والظلم؛ فإن الظلم عند اللّه هو الظلمات يوم القيامة».

٢ ـ وقال له صلى الله عليه وآله رجل: «أحبّ أن أُحشر يوم القيامة في النور. قال: لا تظلم أحداً، تُحشر يوم القيامة في النور».

٣ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة».

الظلم بوار الدارين

١ ـ قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنه ليأتي العبد يوم القيامة، وقد سرّته

حسناته ، فيجيء الرجل فيقول : يارب ، ظلمني هذا ، فيؤخذ من حسناته ، فيجعل في حسنات الذي سأله ، فما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة ، فإذا جاء من يسأله نُظر إلى سيئاته فجعلت مع سيئات الرجل ، فلا يزال يستوفى منه حتى يدخل النار» .

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الظلم في الدنيا بوار ، وفي الآخرة دمار» .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «الظلم يُزلّ القدم ، ويسلب النعم ، ويهلك الأمم» .

٤ ـ وعنه عليه السلام : «ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته ، من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد» .

٥ ـ وعنه عليه السلام : «من جار أهلكه جوره» .

أفحش الظلم

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «اشتد غضب الله على من ظلم من لا يجد ناصراً غير الله» .

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ظلم الضعيف أفحش الظلم» .

٣ ـ وعنه عليه السلام : «من أفحش الظلم ظلم الكرام» .

٤ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام : «لما حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة ، ضمّني إلى صدره ، ثم قال : يابني ، أوصيك بما أوصاني به أبي عليه السلام حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر أن أباه أوصاه به ، قال : يابني ، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله» .

٥ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : « ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلّا الله عزوجل» .

إمهال الظالم

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن الله يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني ، ثم يأخذه أخذة رابية . إن الله حمد نفسه عن هلاك الظالمين فقال : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾» .

٢ ـ وعنه عليه السلام : «إن الله يمهل الظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته» .

٣ ـ من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام : «ولئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه ، وبموضع الشجا[1] من مساغ ريقه» .

٤ ـ وعنه عليه السلام : « ظلامة المظلومين يمهلها الله ولا يهملها» .

٥ ـ قال الامام الباقر عليه السلام : «أملى الله لفرعون ما بين الكلمتين أربعين سنة ، ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فكان بين أن قال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ ، وبين أن عرّفه الإجابة أربعين[*] سنة» .

(١) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(*) كذا في المصدر، وصوابها «اربعون».

معونة الظالمين

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إذا كان يوم القيامة ، نادى منادٍ : أين الظلمة وأعوانهم ، من لاق لهم دواة[2] ، أو ربط كيساً ، أو مدّ لهم مدّة قلم ، فاحشروهم معهم» .

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «الظلمة وأعوانهم في النار» .

٣ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «من أعان ظالماً على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب : آيس من رحمة الله» .

٤ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم أنه ظالم ، فقد خرج من الاسلام» .

٥ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «من مشى مع ظالم فقد أجرم . يقول الله : ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾» .

٦ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «من أعان ظالماً سلّطه الله عليه» .

٧ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام : «العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثة» .

٨ ـ وعنه عليه السلام لنوف البكالي : «يا نوف ، إن سرّك أن تكون معي يوم القيامة ، فلا تكن للظالمين معيناً» .

٩ ـ عن أبي يعفور قال : «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، إذ دخل عليه

(٢) لاق الدواة: جعل لها لبقة (وهي صوفة الدواة) وأصلح مدادها .

رجل من أصحابنا ، فقال له : أصلحك الله ، إنه ربّما أصاب الرجل منّا الضيق أو الشدة ، فيدعىٰ إلى البناء يبنيه ، أو النهر يكريه ، أو المسنّاة[٣] يصلحها ، فما تقول في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : **ما أحبّ أني عقدت لهم عقدة ، أو وكيت لهم وكاءً[٤] ، وإن لي ما بين لا بتيها ، لا ولا مدّة بقلم . إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار ، حتى يحكم الله بين العباد» .**

(٣) المسنّاة : السدّ.

(٤) الوكاء: الخيط الذي تشدّ به الصرّة أو الكيس وغيرهما، ووكاه: شدّه بالوكاء.

١٠ ـ وعنه عليه السلام : **«من أعان ظالماً على مظلوم ، لم يزل الله عزوجل عليه ساخطاً حتى ينزع عن معونته» .**

١١ ـ وعنه عليه السلام في قوله تعالىٰ : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ : **«هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه ، إلى أن يدخل يده كيسه فيعطيه» .**

١٢ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام في أمر الظلمة : **«الدخول في أعمالهم ، والعون لهم ، والسعي في حوائجهم عديل الكفر ، والنظر إليهم على العمد من الكبائر» .**

١٣ ـ وعنه عليه السلام : **«من أعان ظالماً فهو ظالم ، ومن خذل ظالماً فهو عادل» .**

نصرة المظلوم

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **«من أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً» .**

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله أن الله سبحانه وتعالىٰ قال لداود عليه السلام : **« يا داود ، إنه ليس من عبد يعين مظلوماً ، أو يمشي معه في مظلمته ، إلّا أثبتّ قدميه يوم تزل الأقدام » .**

٣ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : **«أحسن العدل إعانة المظلوم» .**

٤ ـ وعنه عليه السلام : **«إذا رأيت مظلوماً فأعنه على الظالم» .**

٥ ـ من دعاء لزين العابدين عليه السلام : **«اللّهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره» .**

٦ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلّا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام ، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلّا نصره الله في الدنيا والآخرة ، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة» .

دعوة المظلوم

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً ؛ فإنه ليس دونه حجاب » .

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تحمل على الغمام . يقول الله : وعزتي وجلالي ، لأنصرنّك ولو بعد حين» .

٣ ـ وعنه صلى الله عليه وآله : «اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة» .

٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام : «اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنه يسأل الله حقه ، والله أكرم من أن[٥] يُسأل حقاً إلّا أجاب» .

٥ ـ وعنه عليه السلام : «أنفذ السهام دعوة المظلوم» .

٦ ـ وسئل عليه السلام عن مسافة ما بين السماء والأرض ، فقال : «بين السماء والأرض مدّ البصر ودعوة المظلوم» .

(٥) في المصدر لم تذكر «أن» وقد وردت في كتاب غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي، وهو الصواب.

قال الإمام علي (ع) :

لا يؤمن بالمعاد
من لا يتحرج
عن ظلم العباد

غرر الحكم

تقرير

من نشاطات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

التحرير

الاجتماع الثاني للهيئة العمومية للمجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام

تأسس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قبل ثماني سنوات، وهو يعقد اجتماعاته مرة كل اربع سنوات، وقد كان الاجتماع الأول له في شهر شوال من عام ١٤١٤ هـ. ق، وعقد اجتماعه الثاني في الفترة من الخامس إلى الثامن من شوال سنة ١٤١٨ هـ. ق على اساس بنود تأسيسه المعدّلة. وقد حضره اكثر من ٣٠٠ شخصية اسلامية من ٨٠ بلداً من بلدان العالم.

افتتح المؤتمر بكلمة لرئيس الجمهورية الاسلامية حجة الاسلام والمسلمين السيد الخاتمي، قال فيها: «إن العدل والعقل هما من ابرز معالم الثقافة الاسلامية الشيعية، حيث تجلّيا كثيراً في تاريخ اتباع أهل البيت عليهم السلام في العلم والعمل».

وأضاف: «إن أتباع أهل البيت عليهم السلام يؤمنون بالعدل في مجال إنشاء

الروابط الفردية والاجتماعية» .

وقال : «على أتباع أهل البيت عليهم السلام أن يكونوا مثالاً للعقل والعدل والانسانية ، مستمدين ذلك من نهج أهل البيت عليهم السلام ، وأن يجتهدوا في تثبيت تلك الثقافة الشيعية التي هي مورد خير وفائدة لكل انسان» .

وأكد أن على أتباع هذا المذهب المبارك أن يأخذوا أفكار مخالفيهم دائماً بنظر الاعتبار ، وأن يُعنَوا ببحث آرائهم ومتبنّياتهم ـ ولو كانوا من غير الموحدّين ـ بالدليل والتقرير .

وقال : «إن العلّامة الطباطبائي ، والاستاذ المطهري ، والشهيد محمد باقر الصدر ، هم من المفكرين الشيعة المعاصرين الذين عُنوا بهذا المنهج ، ويجب على شبابنا أن يطلعوا على نقد أفكار المخالفين للاسلام وتفنيد آرائهم من طريق آثار هؤلاء العلماء العظام وكتبهم» .

وقال : «إن الانسان في الفكر الشيعي هو مختار ومسؤول عما يقوم به ، لأن العدل الالهي يقتضي أن يكون الانسان صاحب ارادة واختيار ، ومسؤولاً عما يريد ويختار» .

وأضاف : «إن الحكومة التي لا تفسح لشعبها مجال النموّ والتقدم ، وتقهر أبناءها بالقوة والجبروت ، لن تكون ثابتة ودائمة وقوية» .

وقال : «إن اهم شواخص العالم الحديث اليوم في مجال القضايا الانسانية ، هو أن الانسان صاحب حق» .

وقال : «إن الخلاف بين اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وسائر الفرق الاسلامية هو خلاف كلامي ، ولابد أن يأخذ مكانه في مجال البحث والنظر ، بدلاً من أن يكون موجباً للاختلاف في الأهداف المشتركة» .

وبعد كلمة رئيس الجمهورية الاسلامية تشرّف المشاركون بلقاء سماحة قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى السيد الخامنئي في حسينية الامام الخميني رحمه الله ، وقد تحدث قائد الثورة الاسلامية معتبراً قدرة وصمود الشعب الايراني المسلم والثوري وعزّه الاسلامي

مدعاة لفخر واعتزاز العالم الاسلامي .

ووصف سماحة القائد تلك العزة وذلك الاقتدار مثار بهجة وفرح للشباب ولقلوب المسلمين الحية ومحط قلق للاستكبار العالمي ، مؤكداً اهمية اجتماع المسلمين حول المحاور المشتركة والمتفق عليها وقال : «إننا نؤمن ايمانا راسخاً بأن على اتباع مختلف المذاهب الاسلامية أن ينظروا في تعاملهم مع بعضهم بعين الاهتمام للقواسم الفكرية والعقائدية المشتركة ، ويتجاوزوا باجتماعاتهم الخلافات العقائدية والمذهبية والفقهية والكلامية ، ويسخّروا هذه الوحدة وهذا العز لصالح العالم الاسلامي . من هذا المنطلق فان اجتماع اتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام يصب في نفس هذا الهدف ، وعليهم التوصل إلى طريق يمكّنهم من حماية اتباع أهل البيت عليهم السلام الرازحين تحت الظلم في اغلب بقاع العالم» .

وفي معرض بيان اسباب ظلامة اتباع أهل البيت عليهم السلام قال آية اللّه العظمى الخامنئي : «ان المذهب الشيعي سار منذ البداية نحو مكافحة التحريف والحؤول دون انحراف تيار الايمان الاسلامي بما يحقق رغبات السلطات الحاكمة ؛ وحياة الائمة المعصومين عليهم السلام تفصح عن هذه الحقيقة بوضوح» ، واضاف : «لقد كان أهل البيت عليهم السلام في عهد سلاطين بني امية وبني العباس كالاعلام تبين للناس طريق الاسلام الاصيل والنقي من التحريف ، ولذا فمن الطبيعي أن يتعرض كل من يقف بوجه التحريف ومحاولة حرف الدين بما ينسجم ورغبة الحكام للظلم والحيف» .

واعتبر سماحته صرح النظام الاسلامي العظيم والشامخ في ايران أنه مستلهم من نهضة الإمام الحسين عليه السلام والائمة المعصومين عليهم السلام وقال : «إن المذهب والفكر اللذين انبثقت منهما الثورة الاسلامية منحا النظام الاسلامي الاستقلال والاستقرار السياسي ، ومنحا الشعب

الابيّ والشجاع العزّة الاسلامية ، وهذا لا يروق بالطبع لمستكبري العالم بل يغتاضون منه حيث يتجسد هذا الغيض بصور مختلفة» .

وتابع يقول : «إن تحريف تصريحات ووجهات نظر مسؤولي الجمهورية الاسلامية الايرانية ، واصدار مجاميع كبيرة من الكتب والكتيبات ، ونشر مواضيع مختلفة معادية للتشيّع والصاق التهم والممارسات المزيفة بهم ، تدلل على وجود اياد مجرمة مخربة تستهدف الاجواء الفكرية للعالم الاسلامي» .

واكد قائد الثورة الاسلامية خوف القوى الاستكبارية من ايران الاسلامية وقال : «إن الاستكبار ليعلم أن قلوب الناس في كثير من البلدان الاسلامية من شمال افريقيا إلى شرق آسيا تنبض مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، وهذه البلدان تعد عمقاً سياسياً واستراتيجياً لايران الاسلامية ، ولذا نجد القوى الاستكبارية تعكس صورة سيئة عن الفكر الشيعي خوفاً من ايران فتلصق بها الاكاذيب مما يورد الحيف على المذهب الشيعي المليء بالمفاخر» .

ولفت سماحته انتباه اعضاء المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام إلى ضرورة الدفاع عن المذهب الشيعي الوضّاء واتباع أهل البيت عليهم السلام باعتباره جهاداً كبيراً وقال : «إننا باعتبارنا حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية نشعر بالتكليف والمسؤولية ازاء اتباع وانصار مذهب أهل البيت عليهم السلام في كل بقعة من العالم . ومما يؤسف له أن الشيعة في بعض المناطق يتعرضون للمطاردة بسبب عقائدهم فقط وهو ظلم كبير ، وعلى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام توظيف القدرات الضخمة التي بحوزته للدفاع عنهم» .

وقال سماحة القائد في ختام كلمته : «إن الشعب الايراني إنما يعمل بتكليفه ومسؤوليته ويواصل طريق الاسلام النير ، ولن يستسلم ابداً لميول واملاءات الاستكبار وعلى رأسه الشيطان الاكبر ، إذ إن

النصرة الالهية حليفة من يجاهد ويصمد في سبيل الله تعالىٰ» .

وفي المرحلة الثانية من الاجتماع كان البدء بكلمة الأمين العام للمجمع العالمي سماحة الشيخ التسخيري ، وقد جاء في كلمته : «أقيم هذا المؤتمر تحت شعار (تضامن اتباع أهل البيت عليهم السلام) ، ليؤكد حقيقة أن مسألة الوحدة والتضامن هي واحدة من الحاجات الضرورية الملحة في كل أبعاد حياتنا» .

ثم اشار في كلمته إلى أمرين :

١ ـ تقرير مختصرعن الأوضاع العامة لاتباع أهل البيت عليهم السلام ، ونقاط القوة والضعف الموجودة في هذا المجال .

٢ ـ تقرير مختصر عن أنشطة المجمع العالمي في الأربع السنوات الماضية .

الاوضاع العامة لاتباع أهل البيت عليهم السلام في مختلف أرجاء العالم

وقد تضمن التقرير الأمور التالية نوردها بتلخيص :

١ ـ الارتباط الحقيقي للتشيع بالاسلام : إن التشيع هو المولود الطبيعي للاسلام ، وقد أحكم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أُصوله ، وتكامل بناؤه بعد ذلك علىٰ يد ائمة أهل البيت عليهم السلام بتعاليمهم وجهودهم طوال مئتين وخمسين من الأعوام .

٢ ـ إن الثقافة الاسلامية الشيعية الفريدة الثرة والغنية ـ التي لا يتمتع سائر المذاهب الأخرىٰ بهذه الخصوصية منها والميزة لها ـ هي شاملة لمختلف المجالات ، الحقوقية منها والاجتماعية والاخلاقية وغيرها ، ومستندة فقط إلى الأصول القطعية ، وهي القرآن الكريم والسنة والعقل والاجماع ، وقد نتجت هذه الثقافة عن السيرة العملية لأئمة أهل البيت عليهم السلام التي امتدت قرنين ونصفاً من الزمان ، وهي مفعمة بارشاداتهم وتطبيقاتهم العملية التي وصلت إلينا عن طريق

ثروة كبيرة من الروايات الصحيحة والمعتبرة .

٣ ـ الأجيال المتوالية من الرجال الكبار الذين وقفوا أنفسهم لخدمة الاسلام ، وكانوا منذ قرون الاسلام الأولىٰ قد سبقوا إلى التأليف ، وأخذوا مكانهم في اوج التحقيقات الفقهية والفلسفية والكلامية علىٰ مرّ التاريخ . ولقد نهل هؤلاء الرجال الكبار من علوم أهل البيت عليهم السلام ، واستفادوا من ميزة انفتاح باب الاجتهاد عندهم ، وحركة العقل وعلوّ الهمة لديهم ، في تكامل سير الثقافة والتمدن البشريين .

٤ ـ إن تاريخ المسلمين الشيعة مليء بالجهاد في سبيل اللّه ، والشجب والانكار لظلم الظالمين ، والوقوف في وجه كل المنحرفين عن صراط الاسلام المستقيم . إن مذهب أهل البيت عليهم السلام اليوم ينظر إليه أنه القوة السياسية المقتدرة في مواجهة قوىٰ الاستكبار العالمي .

٥ ـ الخصائص التي يمتاز بها اتباع أهل البيت عليهم السلام ، والتي تدل علىٰ سابقتهم العلمية والتأريخية ، هي عبارة عن :

أ ـ روح الاستقلال العلمي ، وانفتاح باب الاجتهاد .

ب ـ ارتباط المجتمع الاسلامي الشيعي وتعلقه علىٰ مرّ التاريخ بقياداته ، التي تتمثل بالائمة المعصومين عليهم السلام أو بمراجع التقليد .

جـ ـ الاعتقاد بالأصول التي لها دور كبير في إحكام العلائق الاجتماعية ، مثل التقليد وولاية المجتهد ، ووجوب دفع الخمس وغيرها .

د ـ التمتع بروح الفداء الولائية ، وروح الايثار ، والأدب العاطفي الغني ، والعرفان المربي ، التي تنفذ في أعماق الروح . كل تلك المعاني إنما تحصل بنور محبة أهل البيت عليهم السلام ، والاتّباع لسيرتهم الطاهرة .

إن الباعث لتوهّج تلك العاطفة ، ودوام تلك العلاقة ، هو أن اتباع أهل البيت عليهم السلام لديهم ـ مضافاً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ـ ميراث نفيس من أحاديث الائمة الاطهار عليهم السلام في مجال التربية ، ويملكون كتباً

ثمينة مثل نهج البلاغة والصحيفة السجادية ، وكذا الادعية الواردة في المناسبات المختلفة ، وزيارة المشاهد المشرفة .

إن تلك الخصائص ، التي لا يمكن فصلها عن الوجود الاجتماعي لاتباع أهل البيت عليهم السلام ، هي عماد ورأس مال أصالة الثقافة الاسلامية الشيعية وعمقها .

وفيما يخص نقاط الضعف المعروفة لدينا اشار التقرير إلى الموارد الآتية :

١ ـ المحاصرة السياسية والتبليغية والاقتصادية والأمنية والعسكرية التي يخضع لها اتباع أهل البيت عليهم السلام في مختلف مناطق العالم .

٢ ـ نقمة بعض المنظمات على اتباع أهل البيت عليهم السلام إلى حد أنها عملت من اجل استئصال مطالبهم الحقوقية والقانونية ، أو توهينها ، أو الطعن فيها ، كما نشهد ذلك في تركيا والعراق وغيرهما .

٣ ـ فقدان المنهج التبليغي الجامع الذي يتبنى كل احتياجات اتباع أهل البيت عليهم السلام ، ويقيهم من التأثر بالهجمات الفكرية للوهابية والبهائية والقاديانية والالحادية .

٤ ـ وجود هوّة بين المسلمين الشيعة الامامية وبقية الفرق المنسوبة إلى التشيع ، مثل الزيدية والعلوية والاسماعيلية وغيرها .

٥ ـ الافتقاد لبرنامج علمي حوزوي شامل يستطيع أن ينسق الأنشطة الحوزوية ، ويجبر النقص فيها ، وأن يكون أساساً لترقيها وتكاملها ، ومن ثم يرتفع بالقدرة العلمية والتبليغية لها .

٦ ـ الافتقار إلى المؤسسات الاقتصادية التي تستثمر القدرات المالية ، وتوجهها في الوجهة الصحيحة لها .

٧ ـ مشاكل اتباع أهل البيت عليهم السلام في بعض المناطق ناشئةٌ بسبب الانشقاقات الحزبية أو القبلية ، التي تؤدي إلى إضعافهم وتمزيقهم .

وللاطلاع اكثر على اوضاع اتباع أهل البيت عليهم السلام الفعلية أشار التقرير إلى نقاط ضعف اخرىٰ :

١ـ الضعف الشديد في الجانب التبليغي ، فإمكاناتنا التبليغية ليست بشيء رغم كبر عدد اتباع أهل البيت عليهم السلام واتساع رقعة وجودهم ، وانتشار الغزو الثقافي لمراكز الاستعمار المختلفة ، والفرق المتعصبة علىٰ مذهب أهل البيت عليهم السلام .

٢ـ ظهور مذهب أهل البيت عليهم السلام بوجه سلبي طوال القرون الماضية ، إلى الحد الذي توهم به بعض المسلمين أن التشيع غريب عن الاسلام ، في الوقت الذي كان هذا المذهب هو روح الاسلام الأصيل ومحتواه ، ولم يكن قابلاً للانفصال عنه بوجه من الوجوه .

هذا ، وتكرر الأصوات والأقلام المرتزقة المأجورة تلك التهم القديمة والبالية التي يوصم بها اتباع أهل البيت عليهم السلام ، وذلك علىٰ مستوىً عالمي ، وبلغات مختلفة ، وفي قوالب تبدو في ظواهرها تحقيقية علمية .

وأشار التقرير فيما يلي إلى نماذج منها :

أ ـ العمل بالتقية التي هي ـ في رأيهم ـ نوع من أنواع التزوير والنفاق ، ومانعة من حصول الثقة والاطمئنان بين المسلمين الشيعة وغيرهم .

ب ـ الاعتقاد بتحريف القرآن .

جـ ـ الاعتقاد بالبداء الذي هو في حقيقته ـ حسب فهم هؤلاء ـ نسبة للجهل إلى الله تعالىٰ .

د ـ الغلوّ في أمر الائمة المعصومين عليهم السلام .

هـ ـ إهانة صحابة النبي صلى الله عليه وآله الكبار ، وتوهين أمرهم .

و ـ الاعتقاد بالزواج المؤقت الذي هو من الزنىٰ .

ز ـ أن المسلمين الشيعة فرقة تعبد القبور ، مع أن زيارة القبور هي

بدعة .

ح ـ التشيع بدعة وضع أساسها عبد اللّه بن سبأ (شخصية خرافية) .

ط ـ تعظيم ولادات الكبراء ووفياتهم ، وهو من البدع .

ي ـ أن المسلمين الشيعة يعتقدون بالتبرك ، وهو مما منعه الاسلام .

ك ـ أن المسلمين الشيعة يعتقدون بأن الائمة هم منبع التشريع وواضعو الأحكام .

ل ـ أن المسلمين الشيعة ينكرون خاتمية نبي الاسلام الكريم صلى الله عليه وآله .

م ـ اتهام المسلمين الشيعة تأريخياً بأنهم ساعدوا هولاكو في فتح بغداد ، وأنهم سعوا لإضعاف الدولة العثمانية في مواجهة الدول الكافرة ، مضافاً إلى تُهم أخرىٰ لا أساس لها ولا برهان .

وقد أخذت دوائر الاستعمار ومراكزه ـ في طريق إكمالها لدورها المشؤوم ـ توجه تهماً جديدة إلى المسلمين الشيعة اليوم ، تتناسب والأوضاع الحالية ، فتتهمهم بالإرهاب ، أو إثارة الفتن والشغب ، وتعتبرهم مخالفين لاستقرار النظام والأمن ، وترىٰ أنهم رجعيون ، وتعرّفهم بأنهم أقلية منفصلة عن الأمة الاسلامية ، التي لم تتوجه إلى برامجهم وأهدافهم السياسية .

كل هذه الترهات والأباطيل من اجل إيجاد شرخ عميق وفُرقة كبيرة بين المسلمين ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، الذي هو مذهب الاسلام الأصيل .

٣ ـ توجد بين المسلمين الشيعة بعض العادات والتقاليد التي اصطبغت بلون الدين ، وراجت بين الناس ، في حين أن روح الاسلام والتشيع بريئة منها .

٤ ـ وجود فراغ كبير في مراكز المسلمين الشيعة الإرشادية

والتعليمية والتربوية في كثير من مناطق وجودهم ، وعدم الاستفادة المثلى والصحيحة من الامكانات التعليمية الموجودة لدى بعض المؤسسات الاسلامية الشيعية .

٥ ـ مشكلة عزلة بعض الأقليات الاسلامية الشيعية في الدول النائية ، وانقطاعهم عن مجال دائرة العلم والتبليغ ، بسبب افتقادهم للطاقات العلمية ، والقدرات التبليغية ، ولهذا وقعوا ضحية للجهل والتعصب ، أو الذوبان في المجتمعات غير الاسلامية .

ولا بد لهذه المشكلة أن يبحث لها عن حل وعلاج سريعين ، ويجب وضع برنامج لتربية المبلغين والمهاجرين ، أو دعوة شباب تلك الدول وتنظيمهم في ظل برنامج تعليمي .

٦ ـ من المشكلات الأخرى التي نعتقد أنها خطيرة هي وجود ميول تدعو إلى ولاية أهل البيت عليهم السلام ، ولكنها تعتقد أن الوحدة الاسلامية ، التي رفع لواءها القرآن الكريم والائمة المعصومون عليهم السلام ، هي بدعة ، أو يرون أن تحققها أمر صعب مستحيل ، ويحملون فكرة أن ليس هناك أي مجال للوحدة بين المسلمين الشيعة والسنة ، ومن ثم لم يبق أي طريق للتقريب بين المذاهب الاسلامية .

هذا وقد اختُتم هذا المؤتمر بكلمة لرئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام حجة الاسلام والمسلمين الشيخ الهاشمي الرفسنجاني ، الذي قال فيها : «إننا إذا لم نطرح أهدافنا وآراءنا بدقة ، ولم نستطع أن نعرض الأفكار الاسلامية الصحيحة الخالصة ، فلا ريب أنّا سوف لن ننال التوفيق في عالمنا اليوم» .

وأكد أن علينا أن نذعن بوجود بعض الشوائب التي رنّقت صفاء مذهبنا وسلوكنا ، والتي هي ليست جزءاً من معارفنا الأصلية ، وأننا سوف نلوث بتلك الشوائب الأفكار الخالصة لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأضاف : «يمكن أن تكون هذه الشوائب قد وردت إلى هذا المذهب

الاسلامي الناصع من خلال عادات وتقاليد الأمم الأخرىٰ ، أو هي من اجتهادات بعض علماء الاسلام الخاطئة» .

وذهب الشيخ الرفسنجاني إلى الاعتقاد أن الخلافات الموجودة بين الفرق الاسلامية ، هي من أهم العقبات الحائلة دون سير حركة الاسلام الفكرية الطبيعية .

وقال : «نحن لا نرفض أن نقيم علاقات مع هذا العالم ، ولكننا نأبىٰ أن نكون تابعين لأحد» .

وأشار في جزء آخر من حديثه إلى أن ايران بعد انتصار الثورة الاسلامية فيها قد احتلت مكانة مرموقة ، واصبحت قاعدة لنشر أفكار أهل البيت عليهم السلام ، وأضاف : «يعتبر اتباع أهل البيت عليهم السلام من الناحية التأريخية ، وبلحاظ جوانب اخرىٰ ، أصحاب أغنىٰ المعارف الاسلامية والتي كان مبدأ سيرها المبارك هم أهل البيت عليهم السلام ، الذين هم في مقام قبول كل الفرق الاسلامية ، وليس في العالم الاسلامي أحد ينكر فضل أهل البيت عليهم السلام الذي هم محور حركتنا» .

ومما جاء في كلمته أن تقصّي العدل والانصاف كان دائماً في صدر البرامج الشيعية علىٰ مرّ التاريخ .

من اصدارات المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

بتوجيه من سماحة ولي أمر المسلمين آية اللّه العظمىٰ السيد الخامنئي دام ظله تم تأسيس المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام الذي أخذ علىٰ عاتقه مسؤولية كبرىٰ ، وتبنىٰ الدور الريادي في التعريف بمدرسة أهل البيت عليهم السلام علىٰ جميع الاصعدة ونشر معارف هذه المدرسة وفكرها المحمدي الأصيل .

كما أنه ـ وانطلاقاً من متبنياته ـ يقوم بالدفاع عن جميع المسلمين في العالم وبالخصوص أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال مواقفه

البناءة وأُطروحاته المبدئية . ويردّ على شبهات الحاقدين وتهم أعداء الاسلام من خلال الاصدارات التي ينشرها .

وتشكل هـذه الاصـدارات سلسلة نـافعة ومـجموعة قـيمة تـضع القـــارئ الكـريم امـام الحـقيقة ، وتـوضح له خـطوط مـدرسة أهــل البيت عليهم السلام وارتـباطها بـالاسلام المـحمدي الاصـيل . حـيث إن أهل البيت عليهم السلام هم الامتداد الرسالي للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي قال : «**إنـي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي...**» [صحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢] .

وقد أجمع المسلمون على وجوب مودّتهم والتمسك بهم .

ومجلة رسالة الثقلين تضع بين يدي قارئها الكـريم القسـم الأول من فهرس هذه الاصدارات ليطّلع على الدور الذي يقوم به المجمع وما يبذله من جهود حثيثة في هذا المضمار .

من أهم اصدارات المجمع :

أولاً : الاصدارات باللغة العربية :

أ : كتب متنوعة :

١ ـ النكت الاعتقادية

المؤلف : الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله) .

الموضوع : الاستدلال عـلى الاصـول العـقائدية الخـمسة بـطريقة السؤال والجواب .

رقعي ـ ٦٤ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ . ق .

٢ ، ٣ ـ المحاسن (جزءان)

المؤلف : أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي رحمه الله .

الموضوع : احاديث حول مختلف المسـائل الاعـتقادية ، الفـقهية ، الاخلاقية ، والاجتماعية .

ج ١ ـ وزيري ـ ٤٧٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

ج ٢ ـ وزيري ـ ٥٠٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

٤ ـ الهوىٰ في حديث أهل البيت عليهم السلام

المؤلف : الشيخ محمد مهدي الآصفي .

الموضوع : دراسة في مسألة الهوىٰ والميول النفسية للانسان من منظور القرآن الكريم والسنة الشريفة .

وزيري ـ ٢٨٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

٥ ـ الوحدة الاسلامية من منظور الثقلين

المؤلف : السيد محمد باقر الحكيم .

الموضوع : بحث عن اسس الوحدة في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

وزيري ـ ٢١٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٣ هـ. ق .

٦ ـ المراسم العلوية في الاحكام النبوية

المؤلف : أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي المعروف بسلّار رحمه الله .

الموضوع : فقة الإمامية .

وزيري ـ ٢٨٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

٧ ـ منهج الرشاد لمن أراد السداد

المؤلف : الشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمه الله .

الموضوع: الرد علىٰ عقائد محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية.

وزيري ـ ١٩٩ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

٨، ٩ ـ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (جزءان)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : دراسة تحليلية في سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وائمة

أهل البيت المعصومين عليهم السلام .

ج ١ ـ وزيري ـ ٧٨٥ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

ج ٢ ـ وزيري ـ ٧٢١ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

١٠ ـ الصلاة معراج المؤمن

المؤلف : القسم العقائدي في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

الموضوع : تعليم الصلاة للناشئين .

جيبي ـ ٤٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

١١ ـ اكذوبة تحريف القرآن بين السنة والشيعة

المؤلف : الشيخ رسول جعفريان .

الموضوع : اثبات صيانة القرآن الكريم من التحريف .

رقعي ـ ١٤٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

١٢ ـ الأصول الأربعة في علم الرجال

المؤلف : سماحة آية الله العظمىٰ السيد علي الخامنئي دام ظله .

المترجم : ماجد الغرباوي .

الموضوع : بحث في تأريخ وتطور علم الرجال ، ومن خلاله يتعرض السيد المؤلف حفظه الله لاثنين من كتب الرجال الأربعة المعروفة وهما (اختيار معرفة الرجال) و(فهرست الشيخ الطوسي رحمه الله).

رقعي ـ ٦٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٤ هـ. ق .

١٣ ـ التقية عند أهل البيت عليهم السلام

المؤلف : الشيخ مصطفىٰ قصير العاملي .

الموضوع : دراسة موضوع التقية وأبعادها .

رقعي ـ ١٢٨ صفحة ـ الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ. ق .

١٤ ـ حول كتاب الآيات الشيطانية

المؤلف : الشيخ محمد علي التسخيري .

الموضوع : بيان الأهداف الخبيثة لإصدار كتاب الآيات الشيطانية

وردّ التـــجديف الذي احـــتواه والافكـــار الواهـــية لكـــاتبه المـــرتد سلمان رشدي .

رقعي ـ ٣٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

١٥ ـ البدعة

المؤلف : الشيخ جعفر الباقري .

الموضوع : كتاب يبحث في مفهوم البدعة وتطبيقاتها في ضوء منهج أهل البيت عليهم السلام .

وزيري ـ ٦٧٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

١٦ ، ١٧ ـ المقتطفات (جزءان)

المؤلف : العلّامة المجاهد عيدروس بن احمد السقاف العلوي المعروف بابن رويش الاندونيسي رحمه الله .

الموضوع : بيان فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام علىٰ أساس مصادر الفريقين .

ج ١ ـ وزيري ـ ٤٥٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

ج ٢ ـ وزيري ـ ٤٩٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

١٨ ـ البيان الجلي في أفضلية مولىٰ المؤمنين علي عليه السلام

المؤلف : العلّامة المجاهد عيدروس بن احمد السقاف العلوي المعروف بابن رويش ونيسي رحمه الله .

الموضوع : بيان فضائل ومناقب الإمام علي عليه السلام .

وزيري ـ ٢٦٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

١٩ ـ شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل

المؤلف : العلّامة المجاهد عيدروس بن احمد السقاف العلوي المعروف بابن رويش الاندونيسي رحمه الله .

الموضوع : فضائل ومناقب أهل البيت عليهم السلام في التنزيل .

وزيري ـ ٥٠٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٢٠ـ من حياة أهل البيت عليهم السلام

المؤلف : الشيخ محمد علي التسخيري .

الموضوع : دراسة في المؤهلات القيادية لأئمة أهل البيت عليهم السلام واطروحتهم السياسية ودورهم الاجتماعي والاصلاحي ومواقفهم من الحكّام .

وزيري ـ ٢٨٢ صفحة ـ الطبعة الاولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٢١ـ كتاب علي عليه السلام والتدوين المبكر للسنة النبوية الشريفة

المؤلف : الشيخ مصطفىٰ قصير العاملي .

الموضوع : تأريخ تدوين الحديث لدىٰ الشيعة .

رقعي ـ ١٣٢ صفحة ـ الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ. ق .

٢٢ـ النظرية السياسية لدىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام

المؤلف : الشيخ محمود البغدادي .

الموضوع : كتاب ترجمة للسيرة والدور السياسي للإمام زين العابدين عليه السلام .

وزيري ـ ٤٥٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

٢٣ـ ابو المرتضىٰ ابن شهاب

رائد النهضة الاصلاحية في جنوب شرق آسيا

المؤلف : محمد أسد شهاب .

الموضوع : حياة أبي المرتضىٰ ابن شهاب .

وزيري ـ ٦٠٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٢٤ـ أجوبة مسائل جار الله

المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رحمه الله .

الموضوع : أجوبة عن اسئلة وشبهات موسىٰ جار اللّه حول عقائد الشيعة .

وزيري ـ ١٢٩ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٢٥ـ المسح على الأرجل أو غسلها في الوضوء

المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي﵀ .

الموضوع : بحث استدلالي لاثبات صحة مسح الأرجل في الوضوء بدل غسلها .

رقعي ـ ٥٢ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ق .

٢٦ـ الأرض والتربة الحسينية

المؤلف : الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء﵀ .

الموضوع : بحث في اثبات جواز السجود على التربة الحسينية وأفضليتها .

رقعي ـ ٨٤ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ق .

٢٧ـ ردّاً على الندوي في صورتيه المتضادتين

المؤلف : السيد حسين الحبشي .

الموضوع: عقائدي ردّاً على كتاب «صورتان متضادتان» للندوي.

رقعي ـ ١٣٤ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق .

٢٨ـ أهل البيت﵈ (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي ﷺ .

رقعي ـ ١٧٦ صفحة ـ الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ. ق .

٢٩ـ المراجعات

المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي﵀.

الموضوع : مناظرة علمية عن طريق المراسلة بين السيد شرف الدين﵀ وشيخ الأزهر .

رقعي ـ ٤٧١ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق .

٣٠ـ البرزخ

المؤلف : الشيخ جعفر الباقري .

الموضوع : دراسة في عالم البرزخ من حيث وجوده وحقيقته وضرورة الايمان به .

رقعي ـ ١٥٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

ب ـ سلسلة من شعر الولاء :

٣١ ـ الكتاب الأول : الشفق الوهوب

المؤلف : الشيخ محمد علي التسخيري .

الموضوع : قصائد شعرية في مدح أهل البيت عليهم السلام .

رقعي ـ ٤٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

٣٢ ـ الكتاب الثاني : لهم الشعر

المؤلف : السيد مدين الموسوي .

الموضوع : قصائد في أهل البيت عليهم السلام .

رقعي ـ ٤٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

جـ ـ سلسلة من اعلام الولاء :

٣٣ ـ الكتاب الأول : حجر بن عدي الكندي

المؤلف : السيد هاشم محمد .

الموضوع : ترجمة لسيرة حجر بن عدي الكندي أحد أعلام الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

رقعي ـ ١٧٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٥ هـ. ق .

٣٤ ـ الكتاب الثاني : سفيان بن مصعب العبدي

المؤلف : السيد هاشم محمد .

الموضوع : ترجمة لسيرة سفيان بن مصعب العبدي أحد أعلام الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

رقعي ـ ٢٠٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٣٥ ـ الكتاب الثالث : أبو الأسود الدؤلي

المؤلف : السيد هاشم محمد .

الموضوع : ترجمة لسيرة أبي الأسود الدؤلي أحد أعلام الولاء لأهل البيت عليهم السلام .

رقعي ـ ٢٦٥ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ق .

د ـ سلسلة كتاب الثقلين

(تصدرها مجلة رسالة الثقلين)

٣٦ ـ الكتاب الأول : الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام

المؤلف : الشيخ محمد مهدي الآصفي .

الموضوع : كتاب عقائدي أخلاقي يتناول فلسفة الدعاء ومقامه عند أهل البيت عليهم السلام .

وزيري ـ ٢٨٠ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ. ق .

٣٧ ـ الكتاب الثاني : حقوق الانسان بين الإعلانين الاسلامي والعالمي

المؤلف : الشيخ محمد علي التسخيري .

الموضوع : دراسة مقارنة لحقوق الانسان بين الإعلانين الاسلامي والعالمي .

وزيري ـ ٨٨ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ. ق .

٣٨ ـ الكتاب الثالث : الاسلام وشبهات المستشرقين

المؤلف : الشيخ فؤاد كاظم المقدادي .

الموضوع : بحث في جذور الاستشراق وأهداف المستشرقين وعدائهم وشبهاتهم حول الاسلام .

وزيري ـ ٣٧٨ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ق .

٣٩ ـ الكتاب الرابع : قيادة الإمام الصادق عليه السلام

المؤلف : سماحة آية الله السيد علي الخامنئي دام ظله .

المترجم : الدكتور محمد علي آذرشب .

الموضوع : بحث في الأبعاد القيادية للإمام الصادق عليه السلام .

رقعي ـ ١١٠ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ. ق .

٤٠ ـ الكتاب الخامس : دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة (ج ١)

المؤلف : السيد محمد باقر الحكيم .

الموضوع : بحث في اطروحة أهل البيت عليهم السلام لبناء المجتمع الاسلامي .

ج ١ ـ وزيري ـ ٥٢٨ صفحة ـ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ. ق .

هـ ـ المجلات :

٤١ ـ مجلة رسالة الثقلين (فصلية)

رئيس التحرير : الشيخ فؤاد كاظم المقدادي

المشرف العام : الشيخ محمد علي التسخيري .

وزيري ـ ٢٦٨ صفحة .

صدر منها في سنواتها السبعة الأعداد (١ ـ ٢٦) .

٤٢ ـ مجلة «الفتى» للاطفال ـ ملحق مجلة رسالة الثقلين (فصلية)

وزيري ـ ١٦ صفحة (مصورة وملونة) .

صدر منها الأعداد (صفر ـ ٣) .

٤٣ ـ مجلة «الكوثر» النسوية ـ ملحق مجلة رسالة الثقلين (فصلية)

وزيري ـ ١٢٠ صفحة (مصورة وملونة) .

صدر منها الأعداد (صفر ـ ١) .

ثانياً ـ الاصدارات باللغات الاخرىٰ :

أ ـ باللغة الانجليزية :

٤٤ ـ نهج البلاغة المصوّر (للفتيان)

الموضوع : كلمات منتخبة للامام علي عليه السلام مصورّة بصورة فنيّة ملونة .

رقعي ـ ٩٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٤٥ ـ تاريخ انتشار الاسلام

المؤلف : الدكتور أبو الفضل عزتي .

الموضوع : تاريخ الاسلام .

وزيري ـ ٥٦٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٦ هـ. ق .

٤٦ ـ أهل البيت عليهم السلام (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

رقعي ـ ١٨٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ١٤١٣ هـ. ق .

٤٧ ـ مجلة رسالة الثقلين (فصلية)

وزيري ـ صدر منها الاعداد (١ ـ ١٢) .

ب ـ باللغة الفرنسية :

٤٨ ـ مع الخطيب في خطوطه العريضة

المؤلف : الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني .

الموضوع : عقائدي (ردّ علىٰ كتاب الخطوط العريضة) .

رقعي ـ ١٨٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٤٩ ـ أهل البيت عليهم السلام (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

رقعي ـ ١٩٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٣ هـ. ق .

٥٠ ـ المراجعات

المؤلف : السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمه الله .

الموضوع : مناظرة علمية عن طريق المراسلة بين السيد شرف الدين رحمه الله وشيخ الازهر .

رقعي ـ ٦٤٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٥١ ـ مجلة ينابيع الحكمة (رسالة الثقلين فصلية)

رقعي ـ صدر منها الاعداد (١ ـ ١٦) .

ج ـ باللغة الالمانية :

٥٢ ـ أهل البيت عليهم السلام (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

رقعي ـ ٢٧٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

د ـ باللغة الاسبانية :

٥٣ ـ أئمة الهدىٰ عليهم السلام

المؤلف : محمد معلمي زاده .

الموضوع : شخصية ومقام الامام علي عليه السلام .

رقعي ـ ٨٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٥٤ ـ بحث حول المهدي (عج)

المؤلف : الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله .

الموضوع : ردٌّ للشبهات حول الامام المهدي (عج) .

وزيري ـ ٤٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٥٥ ـ الدليل الاسلامي للاطفال

اعداد : رشيد بوستو مارجانتو .

الموضوع : عقائد واخلاق بلغة ميسرة .

رقعي ـ ١٢٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ . ق .

٥٦ ـ التربية والتعليم في الاسلام

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضى المطهري﵀ .

الموضوع : التربية والتعليم من منظور الاسلام .

رقعي ـ ١٩٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ . ق .

٥٧ ـ لمعات الحسين﵇

المؤلف : السيد محمد حسين الحسيني الطهراني .

الموضوع : خطابات الامام الحسين﵇ .

رقعي ـ ٥٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ . ق .

٥٨ ـ أهل البيت﵈ (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبيﷺ .

رقعي ـ ١٦٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٤ هـ . ق .

٥٩ ـ نصائح

المؤلف : حسن شمس الدين .

الموضوع : احاديث اخلاقية .

رقعي ـ ٤٥ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ . ق .

٦٠ ـ مجلة رسالة الثقلين بالاسبانية

صدر منها الاعداد (١ ـ ١٠) .

٦١ ـ مجلة الكوثر النسوية بالاسبانية (فصلية)

رحلي ـ مصورة وملونة ـ صدر منها الاعداد (١ ـ ٢٠) .

هـ ـ باللغة التركية الاسطنبولية :

٦٢ ـ الصلاة معراج المؤمن

المؤلف : القسم العقائدي في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

الموضوع : تعليم الصلاة للصبيان .

جيبي ـ ٥١ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٦٣ ـ زيارة الامام الرضا عليه السلام

المؤلف : فخر الدين آلتان .

الموضوع : تعريف وزيارة الامام الرضا عليه السلام .

رقعي ـ ٨١ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٦٤ ـ ناشر العدل في العالم

المؤلف : الشيخ ابراهيم الاميني .

الموضوع : اثبات وجود الامام المهدي (عج) .

رقعي ـ ٣٧٣ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٦٥ ـ الاسلام في قلب المجتمع

المؤلف : السيد علي محقق .

الموضوع : بيان الاحكام الاسلامية الاجتماعية .

رقعي ـ ٢٠٩ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٦٦ ـ فضائل الزهراء عليها السلام

المؤلف : السيد مرتضىٰ الحسيني .

الموضوع : فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام في كتب أهل السنة .

رقعي ـ ٢٨٥ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٦٧ ـ مجلة رسالة الثقلين بالتركية (فصلية)

وزيري ـ صدر منها الاعداد (١ ـ ١٨) .

و ـ باللغة الأذرية (الكريل) :

٦٨ ـ هكذا رأيت الوهابيون

المؤلف : عبد اللّه محمد .

الموضوع : الردّ علىٰ العقائد والافكار الوهابية .

رقعي ـ ١٣٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٦٩ ـ الشهيد

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري﵀ .

الموضوع : مقام الشهيد .

رقعي ـ ٨٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧٠ ـ الصلاة واصول الدين

المؤلف : السيد يحيىٰ برقعي .

الموضوع : توضيح المسائل العامة لاصول الدين الخمسة والصلاة .

رقعي ـ ٥٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧١ ـ نهضة الامام المهدي (عج) من منظور فلسفة التاريخ

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري﵀ .

الموضوع : نهضة الامام المهدي (عج) .

رقعي ـ ١١٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧٢ ـ تعاليم الدين «الجزء الأول»

المؤلف : الشيخ ابراهيم الاميني والسيد علي أكبر الموسوي .

الموضوع : خلاصة لاصول العقائد والاحكام الاسلامية .

رقعي ـ ٧٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧٣ ـ تعاليم الدين «الجزء الثاني»
المؤلف : الشيخ ابراهيم الاميني والسيد علي أكبر الموسوي .
الموضوع : خلاصة لاصول العقائد والاحكام الاسلامية .
رقعي ـ ٨٥ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧٤ ـ تعاليم الدين «الجزء الثالث»
المؤلف : الشيخ ابراهيم الاميني والسيد علي أكبر الموسوي .
الموضوع : خلاصة لاصول العقائد والاحكام الاسلامية .
رقعي ـ ١٢٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٧٥ ـ جاذبة ودافعة علي عليه السلام
المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .
الموضوع : دراسة الابعاد المختلفة لشخصية الامام علي عليه السلام ومسألة الولاية والبراءة .
رقعي ـ ٢٣٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٧٦ ـ العالم في عصر البعثة
المؤلف : الشيخ علي اكبر هاشمي الرفسنجاني والشهيد الشيخ محمد جواد باهنر .
الموضوع : اعتقادي ـ تاريخي .
رقعي ـ ٢١٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٧٧ ـ دروس من حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله
المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .
الموضوع : الاخلاق .
رقعي ـ ٦٣ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٧٨ ـ اثر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في نهضة الامام الحسين عليه السلام
المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .
الموضوع : نهضة الامام الحسين عليه السلام .
رقعي ـ ١٣١ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٧٩ـ نظرات في السيرة النبوية

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .

الموضوع : سيرة النبي صلى الله عليه وآله .

وزيري ـ ٣٠٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٨٠ـ نظرات في سيرة الأئمة عليهم السلام

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .

الموضوع : سيرة الأئمة عليهم السلام .

رقعي ـ ٣١٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٨١ـ تعاليم الدين «الجزء الرابع»

المؤلف : الشيخ ابراهيم الاميني والسيد علي اكبر الموسوي .

الموضوع : تعاليم الدين .

وزيري ـ ١٣١ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

ز ـ باللغة الأذرية :

٨٢ـ حديقة السعداء

المؤلف : الشيخ محمد فضولي .

الموضوع : مقتل الإمام الحسين عليه السلام .

وزيري ـ ٦٤٨ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٨٣ـ العالم في عصر البعثة

المؤلف : الشيخ علي اكبر الهاشمي الرفسنجاني والشهيد الشيخ محمد جواد باهنر .

الموضوع : عصر البعثة .

وزيري ـ ٢١٤ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٤ هـ. ق .

ح ـ باللغة الروسية :

٨٤ ـ الشيعة في الاسلام

المؤلف : العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله .

الموضوع : تعريف اجمالي بعقائد الشيعة الامامية الاثني عشرية .

رقعي ـ ٣١٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٨٥ ـ خلاصة تعاليم الاسلام

المؤلف : العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله .

الموضوع : خلاصة لاصول الدين الخمسة والمعارف الاسلامية .

رقعي ـ ٣٠٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٨٦ ـ اصول الدين للجميع

المؤلف : رضا استادي .

الموضوع : اصول الدين الخمسة وخلاصة ترجمة حياة المعصومين الاربعة عشر عليهم السلام .

رقعي ـ ١٧٣ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٥ هـ. ق .

٨٧ ـ الصلاة معراج المؤمن

المؤلف : القسم العقائدي في المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام .

الموضوع : تعليم الصلاة .

جيبي ـ ٦٧ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

ط ـ باللغة الكردية :

٨٨ ـ أهل البيت عليهم السلام (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

رقعي ـ ٢٨٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

٨٩ـ آية التطهير

المؤلف : الشيخ محمد مهدي الآصفي .

الموضوع : تفسير آية التطهير وبيان من هم أهل البيت عليهم السلام بالآية الكريمة .

رقعي ـ ٢٣٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٧ هـ. ق .

ي ـ باللغة الاوردية :

٩٠ـ الغدير «الجزء الأول»

المؤلف : العلّامة عبد الحسين احمد الاميني النجفي رحمه الله .

الموضوع : ولاية امير المؤمنين عليه السلام وامامته .

رقعي ـ ٤٩٣ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٩١ـ أهل البيت عليهم السلام (مقامهم ، منهجهم ، مسارهم)

المؤلف : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ .

الموضوع : التعريف بمكانة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

رقعي ـ ١٩٩ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ. ق .

٩٢ـ المراجعات

المؤلف : السيد عبد [illegible]سين شرف الدين العاملي رحمه الله .

الموضوع : مناظرة علمية عن طريق المراسلة بين السيد شرف الدين رحمه الله وشيخ الازهر .

رقعي ـ ٦٤٠ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٤ هـ. ق .

٩٣ـ نظرات في نهج البلاغة

المؤلف : الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهري رحمه الله .

الموضوع : شرح لقسم من نهج البلاغة .

وزيري ـ ٤٨٢ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٤ هـ. ق .

٩٤ ـ فلسفة الامامة

المؤلف : الشيخ محمد مهدي الآصفي .

الموضوع : الامامة .

رقعي ـ ١٨٦ صفحة ـ الطبعة الأولىٰ ـ ١٤١٦ هـ . ق .

٩٥ ـ مجلة رسالة الثقلين (فصلية)

«تصدر في الباكستان»

صدر منها الاعداد (١ ـ ١٧) .

٩٦ ـ مجلة «معصوم» للاطفال (شهرية)

«تصدر في الباكستان»

صدر منها الاعداد (١ ـ ٤٦) .

٩٧ ـ مجلة الثقلين (فصلية)

«تصدر في الهند»

صدر منها الاعداد (١ ـ ١٧) .

٩٨ ـ مجلة رسالة الثقلين باللغة الهندية

«تصدر في الهند»

صدر منها الاعداد (١ ـ ١١) .

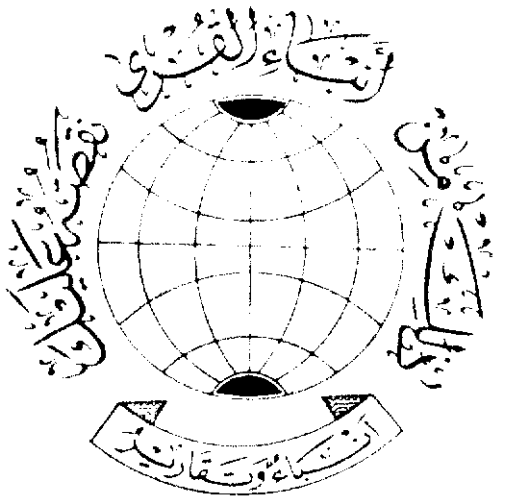

من أنباء القرى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

▣ الجمهورية الاسلامية الايرانية

تنسيق العمل الاسلامي المشترك

انعقدت الدورة الثانية ... رة للجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في العاصمة طهران، وشارك في هذا الاجتماع مندوبو ٤٥ منظمة ولجنة اسلامية من ٣٠ دولة اسلامية وغير اسلامية، من بينها: الازهر، ورابطة العالم الاسلامي، ومنظمة الدعوة، وصندوق الاتحاد الاسلامي، والمنظمة الخيرية العالمية، ولجنة الشباب الاسلامي، وغيرها من المنظمات الشعبية والحكومية التي تعمل في مجال نشر الدعوة الاسلامية في العشرات من دول العالم.

افتتح هذا الاجتماع بكلمة رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية، القاها نيابة عنه وزير الثقافة والارشاد الاسلامي، وقد شهد

حضوراً مكثفاً وفاعلاً ـ من حيث عدد حضور الدول المشاركة ، والاطروحات التي تم بحثها ـ قياساً بالاجتماعات السابقة الاخيرة التي عقدت في القاهرة وجاكارتا وكوالامبور وطرابلس .

وجاء هذا الاجتماع لتجسيد ما اكده زعماء الدول الاسلامية وقادتها ورؤساؤها خلال قمتهم الثامنة بطهران .

وقد تم خلال هذا الاجتماع بحث القضايا الاسلامية الهامة ، كبحث حقوق الاقليات المسلمة في الدول الاخرىٰ ، وكيفية تبادل المعلومات بين المنظمات واللجان التي تعمل في مجال التبليغ الاسلامي والتنسيق بين نشاطاتها المختلفة للوصول إلى نتيجة افضل ، وكذلك تم تبادل الآراء للوصول إلى الاهداف المرجوة ؛ من اجل تنسيق اكثر بين المنظمات الاسلامية العاملة في مجال التبليغ الاسلامي والوحدة الاسلامية .

وقد اشار سماحة ولي امر المسلمين آية اللّٰه العظمىٰ السيد علي الخامنئي (دام ظله) خلال استقباله المشاركين في هذا الاجتماع في اليوم الأخير منه ، إلى اهمية الاسلام ، وأن القرن القادم هو قرن الاسلام . وقد استهل كلمته بقوله : «إن الاسلام وببركة الدعوة المباركة استطاع الانتشار ، علىٰ رقعة واسعة الاطراف من العالم لتدخل الدعوة في القلوب ، وإن الشوق واللهفة الذين ابداهما اهالي القوقاز وآسيا الوسطىٰ للاسلام بعد ٧٠ عاماً من سطوة الحكم الماركسي ، يثبتان بوضوح قدرة الدعوة الاسلامية وقوة الاحكام الالهية وعظمة القرآن علىٰ امتلاك القلوب واسر الارواح . وكما فشل الفكر الماركسي في ازاحة المعارف الاسلامية عن مسرح الحياة ، فإن المعارف الغربية الحالية غير قادرة قطعاً أن تحد من المذاق الحلو للمعارف والاحكام الاسلامية» .

واكد سماحته أن العالم اليوم يشعر بظمئه للاسلام ، ولو عمل دعاة الاسلام بمهامهم فان

المعارف الاسلامية مؤهلة للنفوذ في اعماق الناس والانتشار في شتىٰ انحاء العالم .

واكد القائد وجود اتجاهين في العالم الاسلامي : احدهما يحصر الاسلام في الفرائض العبادية والمسائل الشخصية بمعزل عن اهم ميادين الحياة ، ومنها السياسة ، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ؛ اما الاتجاه الثاني فيتجاوز المضامين الاسلامية الاصيلة والحقائق القرآنية ، ويتجه صوب ما ترفعه بعض الاطروحات الشائعة في عالم اليوم ، وتترجمها في واقع الحياة علىٰ أنها تمثل الاسلام ، وهي علىٰ أحد طرفي نقيض مع الاسلام الحقيقي ، وكلا الاتجاهين علىٰ خطأ ودونما اساس ؛ فلأجل تطبيق الاسلام بصورة عملية ينبغي أولاً اخضاع جميع ميادين الحياة لدين اللّه ، وهذا ما فعله رسول الاسلام بانشاء حكومته الاسلامية .

واضاف سماحته : «إن الاوربيين باعتمادهم الحضارة الغربية اشعلوا نيران حروب كبرىٰ في العالم ، وارتكبوا اكبر المذابح بمعدات واسباب هذه الحضارة ؛ فالثقافة الغربية اطلقت يد الاستعمار ليحكم العالم طوال المئة والخمسين عاماً الماضية ، وعانت الملايين من البشر في الدول الآسيوية والافريقية الكثير من سطوة الاستعمار وادعياء هذه الثقافة ، وبمساعدة الاستبداد الداخلي فُرض التخلف علىٰ الشعب الايراني عن ركب التقدم العالمي مدة مئة عام في الاقل ، بينما كان رائداً للعلوم المختلفة ردحاً من الزمن .

واليوم نتيجة لهذه الثقافة والحضارة الغربية انفرط عقد الاسرة في اوربا الشمالية واميركا ، وشباب الغرب يتخبط في متاهات الاضطراب والخيبة والحيرة .

ولهذا السبب فإن الناس في الغرب اكثر انجذاباً للاسلام .

وهذا يعني أن العالم اليوم ينشد الاسلام الحقيقي ، وأن علينا

تـبيان الاحكـام والمـعارف الاسلامية لشعوب العالم» .

واكد سماحته أن الحوار بين الثـقافات امـر مـقبول ومـمكن ، واضـاف علينا أن نـجدد حيوية الثقافة الاسلامية لمـواجـهة الغـزو الثقافي ، فلا مشكلة اشد وقعاً علىٰ الانسان والحرية من التضليل .

واكد سماحة القائد ضرورة اسـتخدام جـميع ادوات التـبليغ والاعلام بما فيها الفنون والسـينما والقصص والكتب .

كـما اكد سماحته أنـه بـوسع الدول الاسلامية أن تعالج مشاكلها داخل منظمة المـؤتمر الاسـلامي ، وأن مسؤولية ايران الاسلامية قـد تضاعفت بـحكم رئـاستها لمـنظمة المؤتمر الاسلامي .

كـما اعـرب قـائد الثـورة عـن تفاؤله بالتقارب بين ايران والدول الاسلامية ، وخصوصاً بين ايـران والمـمـلكة العـربية السـعودية ، مـعتبراً ذلك فـي مـصلحة العـالم الاسلامي .

هذا وبين عدد من الشخصيات السـياسية والثـقافية فـي العـالم الاسلامي في هـذا اللـقاء وجـهات نـظرهم حـيال قـضايا العـالم المختلفة ، واعربوا عـن سـعادتهم بـلقاء آيـة اللّـه العـظمىٰ السيد الخامئني والكلمة التـي القـاها فـي اجـتماع قـمة المـؤتمر الاسـلامي أواخر العام الماضي ، وكذا كلمته في هذا اللقاء التي اعتبروها هـامة علىٰ طريق تقدم الاسلام والبلدان الاسلامية .

كـما اشـاروا فـي كـلماتهم إلى ضـرورة التـصدي الحـازم لاعـتداءات الكـيان الصـهيوني ، ووحدة البلدان الاسـلامية ، ونـبذ التعصب الطائفي والقومي ، واقامة عـلاقات حـميمة وطـيبة مـع الجمهورية الاسلامية .

وقد قدم رئيس رابطة الثـقافة والعـلاقات الاسـلامية ومـمثل الجمهورية الاسلامية الايرانية فـي لجـنة تـنسيق العـمل الاسـلامي المشـترك سماحة الشيخ مـحمد علي التسخيري دراسة للجنة فـيما يلي نصها :

لا شك أن دور منظمة المؤتمر الاسلامي يتعاظم يوماً بعد يوم ؛ نتيجة لكونها المنظمة الوحيدة التي تقود رسمياً مختلف نشاطات الدول الاسلامية في الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية ، في عالم يغص بالمشاكل ويواجه الكثير من المشكلات التي لا تختص بمنطقة دون أخرىٰ ؛ بل يمكن القول إن صغر العالم وكثرة اتصالاته وتشابك مصالحه حولت كل المشاكل والمسائل الموضعية إلى مشاكل عالمية ، بحيث لا تستطيع أية منطقة فيه أن تنفي مسؤوليتها عن المناطق الاخرىٰ . ورغم أن هذه المنظمة تقود العمل الرسمي ـ كما قلنا ـ إلّا أن الصلة الوثيقة بين الأعمال الرسمية والأخرىٰ غير الرسمية من جهة ، وكذلك ضرورة تحقيق الانسجام بين هذين الجانبين للوصول إلى الأهداف المرسومة من جهة أخرىٰ دعتا هذه المنظمة أن تولي اهمية خاصة لعمل المنظمات غير الحكومية ؛ وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة للأمم المتحدة إذ خصصت جزءاً كبيراً من مجهوداتها لهذه الجوانب ، وخصوصاً في المجالات الاجتماعية كمسألة التنمية والسكان ، ومسألة حقوق الانسان، وموضوع المرأة وغير ذلك . والحقيقة أن الامم المتحدة قد قطعت اشواطاً بعيدة في هذا المجال ، في حين بقيت منظمة المؤتمر الاسلامي لحد الآن بعيدة عن هذا الجانب ، اللّهم إلّا في بعض الموارد ، ومنها ما نتحدث عنه إذ خطت خطوة جيدة ـ رغم أنها اولية ـ للتأثير علىٰ العمل غير الرسمي وتحقيق الانسجام بينه وبين العمل الرسمي المتعارف .

وإذا اردنا أن نقيّم مسيرة المنظمة من حيث عطائها ؛ فإننا نجد أن عطاءها الثقافي كان اكثر بكثير من عطائها السياسي والاقتصادي ، رغم أن المساحة المخصصة للعمل الثقافي لا تتناسب والمساحة المخصصة للاعمال الاخرىٰ ، كما لا تتناسب

مـع حـجم الأهـمية التـي يـملكها بـــنفسه . ولا شك أن المـــجال الاعــلامي الدعـوي يـعد مـن اهـم المـــجالات الثـــقافية ؛ نـــظراً للـخصيصة الاعـلامية التـبليغية للعمل الاسلامي ، باعتبار الاسلام ديناً للعالم كله ، جاء ليبني الحياة كلها وفق منهجه ، ويغيرها وفق اهدافه الانسانية الكبرىٰ ؛ ولذا كان علىٰ كل مسلم أن يدعو ويبلغ ، وعلىٰ كل شاهد للحقيقة أن يبلغها إلى الغائب عنها ، ولا ينبغي لأي فرد أو مجموعة أن يتنصلوا من مسؤوليتهم الدعوية ؛ الأمر الذي دعا البعض إلى رفض تخصص جـــماعة بـالتبليغ دون غـيرها ؛ باعتبار أن ذلك يضعف مسؤولية الآخـرين ، ولكن التخصص في مـحله ؛ لأنـه يـتطلب فـي اغلب الاحـيان شـروطاً لا تتوفر في الجميع . يقول تعالىٰ : ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ .

فمن الطبيعي إذن أن يكون هنا مـتخصصون للدعوة الاسلامية يتحملون مسؤوليتها ، ويخططون لهـا ويتحرون افضل الاساليب لانجاحها وتحقيق اهدافها السامية.

والدعوة قد تكون فردية ، وقد تكون بشكل مجموعي لا ينهض به فرد ، ويتطلب استراتيجية واسعة الابـــعاد وتـخطيطاً قـائماً عـلىٰ اساسها وتنفيذاً واعياً للمخططات التبليغية .

والذي نـود التركيز عـليه فـي ورقة العمل هذه أمور :

الأول : العـوامـل التـي تـفرض علينا النشاط الدعوي المشترك .

الثاني : الموانع التي قد نصطدم بها في هذا المجال .

الثالث : اقتراح اساليب للاعـداد للتنسيق المطلوب .

الرابـــع : تـقرير مـوجز عـن اسـاليب النشـاط الاعـلامي فـي الجمهورية الاسلامية الايرانية.

الأمر الأول : العوامل التـي تـؤكد ضرورة العمل التنسيقي الدعوي .

قد لا نجد حـاجة للـحديث عـن

هذا الموضوع لولا ما نشاهده من الاعمال الفردية ، وعدم التوفيق بين المخططات التنسيقية ، ومن ثم يكون فقدان الاستراتيجية المطبقة.

ومن هنا نجد أن التنبيه على هذه العوامل يترك آثاره الايجابية، ويحرك المخلصين العاملين في هذا الحقل للتمهيد له ، ورفع الموانع القائمة في وجهه .

واهم هذه العوامل ما يلي :

أولاً: نفس طبيعة الدعوة الاسلامية العالمية باعتبارنا مأمورين بادائها على احسن وجه ، والاعداد لها وعدم التفريط بها مما يتطلب تقسيم المسؤوليات ، وتعيين الوظائف باعتبار ذلك افضل وسيلة لتحقيق الاهداف وعدم التفريط بها ، وقد يمكن القول بأن ذلك من مقدمة الواجب ، وهي واجبة بشكل طبيعي .

ثانياً: سعة الهجوم المعادي الذي يستهدف كل الوجود الاسلامي الثقافي العقائدي والأخلاقي والاجتماعي ، مستخدما كل الأساليب الاعلامية الماكرة والتكنلوجيا الحديثة ، الامر الذي يتطلب المواجهة المنظمة ، وتنوير الافكار وتوعية الجماهير وتحصينها لتحافظ على هويتها المستهدفة ، وتتضاعف المسؤولية عندما نلاحظ التخطيط المعادي لتذويب الاقليات الاسلامية وضرب هويتها وشخصيتها الاسلامية .

كل هذا يتطلب القيام بعمل توعوي منظم ومنسق ، يرصد انماط الهجوم ويواجهه بحكمة وقوة .

والحقيقة أن الهجوم المنسق المنظم يتطلب بطبيعة الحال رداً منسقاً ومنظماً . يقول تعالى : **﴿والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ألا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير﴾** .

ثالثاً: أن الحالة الازدواجية في العمل الاسلامي مما يفتح ثغرات واسعة امام العدو ، لينفذ من خلالها إلى مواقعنا الثقافية ويعرضها للخطر الكبير ، ولذا يجب اغلاق أي منفذ بالتنسيق

والعمل المشترك .

الامـر الثـاني : المـوانـع بـوجه التنسيق .

ومـعرفتها مـقدمة للـعمل عـلىٰ رفعها قدر الامكان ، ولن يـتم ذلك إلّا عبر جهد جهيد ، خـصوصاً إذا لاحـظنا عـظم هـذه المـوانـع ورسوخها في الواقع القائم ، إلّا أن المـؤمن لا يـيأس مـن رَوح اللّـه تعالىٰ.

واهم هذه الموانع ، فيما نتصور هي كما يلي :

أولاً: ضيق افق بعض الدعاة أو المؤسسات الدعـوية ، الامـر الذي يـدفعها لاحـتكار عـملية الدعـوة وكأنها القيِّم الوحيد عليها ، أو أنها اللسـان الاسـلامي الوحـيد الذي يسـتطيع التـعبير عـن الحـقائق الاسلامية ويقارع اعداءهـا ؛ وهـذا المعنىٰ واقع قائم لا يـمكننا انكـاره في بعض الموارد ، وهو لو ترسخ في النـفوس فـإنه يـدفعها لافشـال خـطط الآخـرين الايـجابية بـحجة مـنع الفسـاد ، وافشـال التـعليم الخاطئ والمحافظة عـلىٰ المسيرة السليمة ، وامثال ذلك من المبررات التي قد يكسبها المرء ثوباً دينياً ، فإذا بنا نجد الاسلام يضرب باسم الاسلام ، وربـما كـان ذلك بـقصد القربة .

ثانياً: الجهل ، فـقد يشكِّل هـذا عاملاً للتباعد ؛ لأنه يعني الجهل بما لدىٰ الآخرين من الطاقات ، والجهل بالظروف المحيطة بعملية الدعـوة واهدافها ، ومن ثمَّ الجـهل بـفوائـد عملية التـنسيق أو تـصور العـملية بشكل سلبي .

ثالثاً: الدوافع السـياسية ، فـإن هـذه الدوافـع تسـعىٰ لتـوظيف العـملية الدعـوية لتـحقيق المـنافع الضـيقة لهـذه الدولة أو تـلك ، وحـينئذ تـفقد اسـتقلاليتها فـي التـحرك واخـلاصها للـقضية ، وقدرتها علىٰ التنسيق الموضـوعي، وربـما اتـجهت لعـملية الاحـتواء والاسـتغلال مـن قـبل الآخـرين ، الامر الذي يضعف الثقة بها ويبتعد بالآخرين عن التعاون معها .

ولا يعني هذا أننا نشك في كل مـؤسسة رسـمية ، فـهناك

المؤسسات المخلصة والعاملة بجد لتحقيق الاهداف الاسلامية ، ولكننا كنا نعني أن العملية التنسيقية إنما تتضح وتجد لها جوها المناسب في اطار من الاستقلال والحرية والموضوعية ، في منأىً عن الاهداف السياسية المتلونة والمتقلبة .

كما أننا لا نعني مطلقاً أن نعمل علىٰ الفصل بين الدين والحياة السياسية ، فذلك ما لم نكن نقصده ، وإنما كنا نريد الاحتفاظ بالجو الاستقلالي للعملية الدعوية ، لتقوية الثقة بها واعطائها عنصر الاستمرارية والصراحة في قولة الحق .

رابعاً : التعصب والتمذهب الضيق ، ولسنا هنا ننكر أن لكل مذهب أن يعمل علىٰ تحكيم أسسه، وتوضيح معالمه وتركيز تعاليمه لدىٰ اتباعه ، فذلك من حقه الطبيعي، إلّا إننا نعنى علىٰ اولئك الذين يتصورون أن مسألة الخلاف المذهبي والانتصار للرأي الحق الفرعي يجب أن تطرح علىٰ مختلف الاصعدة ، في حين أن من الواضح أن هذه الامور إنما يجب حصرها اولاً بين المتخصصين في الشريعة ، دون انزالها إلى الواقع العام البعيد عن مجال البحوث التخصصية ، كما يجب عدم طرحها في حالة كون الامر يتعلق بتوضيح المشتركات الفقهية والعقائدية ، بل قد يجب تجنبها إذا كان الخطر ينال اصل العقيدة ، واصل الشريعة .

علىٰ أن الخلاف الفقهي والمذهبي لا يمنع مطلقاً من الاتفاق علىٰ تقسيم العمل وتنسيق الجهود للقيام بالاعمال الاجتماعية ، والمسؤولية العامة المفروضة علىٰ مؤسسات الدعوة والاعمال الخيرية ، دون أن يشوب ذلك أي لون مذهبي قد يشكك بالاهداف النزيهة للعمليات الاجتماعية .

الامر الثالث : خطوات عملية من اجل التنسيق .

وفي ضوء ما سبق نود أن نقترح ـ في ورقة العمل هذه ـ

بـعض الخـطوات العـملية لتـحقيق تنسيق اكبر في مـجال الدعوة :

أولاً: نقترح أن يتم العـمل عـلىٰ ايـجاد بـنك للـمعلومات التـبليغية الاسلامية ، يعمل علىٰ تجميع شتىٰ المـعلومات وفـرزها وتـبويبها ، ورصد المشاريع الاعلامية مـركّزاً علىٰ نقاط الضعف والقوة فيها .

وتشمل نشاطات هذا المصرف كل المجلات والصـحف والقنوات المسـموعة والمـرئية ، واذاعـات القرآن الكريم ، وكـذلك النشـاطات الفنية من افلام سينمائية ومسارح ومعارض .

كـما يشـمل كـل النشـاطات الاسـلامية عـبر الانـترنت وسـائر الوسائل الحديثة ، وتكون مساحة عمله شـاملة لمـختلف النـقاط فـي العالم .

إن مثل هـذا المـصرف سـوف يؤمن لنا نظرة اكبر واوسـع وادق لمستوىٰ النشاط الاسلامي ومدىٰ تناسبه مـع الحـاجات المـتزايـدة ، وامكانات التنسيق المـطلوب ، كـما يقوم بتأدية دور كبير في تعريف الطـالبين للـحقيقة بـالمنابع الاسـلامية والمـؤتمرات والنـدوات المفيدة وغير ذلك ، ومن المـرجـح أن تـتبنىٰ اللـجنة هـذا المشـروع وتـعيّن مـقراً عـاماً له ، ويـمكن أن تكون له فروع في بلدان اخرىٰ .

ثانياً : وفي نفس السياق يقترح ايـجاد مـركز تـحقيقات اعـلامية وتبليغية ، يعمل عـلىٰ الافـادة مـن المـواد المـتوفرة فـي مـصرف المعلومات وتـطويرها ، والارتـفاع بـمستوىٰ الاسـاليب الاعـلامية ورصد نتائجها وتـوجيه العـاملين في هذا الحقل .

وغني عن القول أن هذا المركز يجب أن يعمل علىٰ دراسـة تـاريخ الدعـوة واسـاليبها ، والفـتوحات الاسلامية التـي جـرت عـلىٰ ايـدي الدعاة الأوائل ، مستنبطاً العبر منها وسـاعياً إلى عكسـها عـلىٰ واقـع العمل الحاضر .

إنـنا نشـعر بـمسيس الحـاجة لمـثل هـذا المـركز ، ونـعتقد أن الآخرين سبقونا في هذا المـضمار وتعرفوا علىٰ الكثير من خصائص

هذه الامة ، ومن ذلك تركيبات لغتنا ، وامثالنا الشعبية وطبائعنا ؛ كل ذلك ليسهل لهم النفوذ إلى العمق الاسلامي ، ومن الطبيعي ايضاً أن نتصور هذا المركز وهو يتابع الموجات الانحرافية في عالمنا الاسلامي ، كالموجات القومية المتطرفة أو العلمانية المرفوضة ، أو التشكيك المبطّن بالحقائق الدينية ، أو التمزيق للوحدة الاسلامية ، أو التحريف التعليمي وغير ذلك ، ويوكل المتخصصين ذوي الغيرة على دراسة الاساليب الناجعة للرد عليها وكشفها امام الجماهير .

ثالثاً : ومن المقترحات المهمة مسألة ايجاد لجنة خاصة للتنسيق، تعمل على وضع خطة تنسيقية عملية عبر :

أ ـ تنفيذ الاستراتيجية التي تمت الموافقة عليها في هذه اللجنة .

ب ـ تقسيم مناطق العمل ونوعيته بين المنظمات القائمة .

ج ـ اقتراح نظام اساسي لهذه اللجنة (لجنة العمل المشترك) يخرجها من هذه الحالة التأسيسية ، ويضع لها قواعد ثابتة تحقق الاستيعاب المطلوب والعدالة في التمثيل والحركة في التوجيه .

ويمكن لهذه اللجنة أن تقوم بمهمة التوفيق وحل المشاكل التي قد تنجم في مسيرة العمل التنسيقي ، وذلك لضمان سير الامور على احسن حال .

كما يمكنها أن تشكل لجاناً مؤقتة لدراسة حالات التأزم الاعلامي ، والدفاع عن حقوق الاعلاميين الاسلاميين إذا تعرضت للتعدي وامثال ذلك .

وكذلك يمكنها القيام بارسال وفود اعلامية لدراسة الحالات الخاصة واقتراح الحلول المناسبة لها . ومن الطبيعي أن تقوم هذه اللجنة بعقد بعض الندوات التنسيقية في شتى المناطق على المستويات المحلية أو الاقليمية أو الدولية للوصول إلى اهدافها .

على أن ايجاد دار نشر اعلامية لها امكاناتها امر ضروري لنشر

نـتائج الدراسـات والتـجارب باستمرار .

رابعاً: ومما نقترحه ونركز عليه وندعو لوضع استراتيجية جامعة له ، مسألة القضايا المشتركة التي تهم الامة الاسلامية عموماً ، من قبيل القضية الفلسطينية ، والقضية الافغانية ، والقضية البوسنية ، ومسألة سلمان رشدي المرتد ، وغيرها ، فهي مسائل حساسة وثقافية قبل أن تكون سياسية ، الامر الذي يتطلب العمل الجاد على الاستفادة الحسنة من الاحساس المشترك لابناء الامة لتحويل هذه القضايا إلى جسور للوعي الحقيقي باهداف الامة .

الامر الرابع : تقرير موجز عن اساليب النشاط الاعلامي في الجمهورية الاسلامية .

إن النظام التبليغي والتوجيهي في الجمهورية الاسلامية ، يشكل تجربة غنية يمكن أن يستفاد منها في هذا المجال .

وقبل الحديث عن النظام الاعلامي نشير إلى أن الدستور الاسلامي الايراني يؤكد في مادته الرابعة ما يلي : «يجب أن تكون كل القوانين والمقررات المدنية والجزائية والمالية والاقتصادية ، والادارية والثقافية ، والعسكرية والسياسية وغيرها قائمة على اساس الموازين الاسلامية ، وهذا المبدأ مقدم على الاطلاقات والعمومات في مبادئ الدستور والقوانين والمقررات الاخرى ؛ ويترك امر تشخيص ذلك إلى الفقهاء في مجلس صيانة الدستور» .

وقد اكدت المادة الثامنة مبدأ الرقابة الاجتماعية المتبادلة داعية لتعميم مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتؤكد المادة (١٧٥) حرية التبليغ واذاعة المعلومات في وسائل الاعلام ولكن ضمن الأطر والموازين الاسلامية ، وفي هذا الضوء اولت الجمهورية الاسلامية الايرانية المسألة الاعلامية الاهمية البالغة وخططت لعملية التوعية تخطيطاً جامعاً . ومن الخطوات التي تمت

في هذا السبيل ما يلي :

أولاً: قامت بتطهير وسائل الاعلام السمعية والبصرية والانتاج الفني بشتىٰ اقسامه ، والساحة الاجتماعية عموماً من كل ما ينافي الاسلام من خلاعة وابتذال ، وصور قبيحة ، وملاهٍ ، ومحلات قمار ، ومسابح مختلطة ، ومحلات ادمان للمخدرات ، وغير ذلك ، دون أن تقضي علىٰ اساليب التمتع السليم بالجمال الطبيعي ، وملء اوقات الفراغ بالاساليب النافعة كالرياضة والقراءة والاستمتاع السليم بالبحر ، والحدائق العامة والمصايف وامثال ذلك ، كل ذلك لتوفير الجو السليم لكل من يشاء التكامل الانساني ويسعىٰ للنمو الروحي دونما معوقات .

ثانياً: طوّرت برامج ما كان يعرف سابقاً بوزارة الثقافة والفن إلى الشكل الاسلامي المطلوب ، وصارت تحمل عنوان وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، وهي تهتم بالجوانب السياحية والارشادية ، والاعلامية ، والاوقاف وامثال ذلك ، ولها فروعها داخل البلاد .

ثالثا: رعاية للتثقيف والتوعية والنشاطات غير الرسمية في داخل ايران ، تم انشاء منظمة الاعلام الاسلامي لتنسق كل تلك النشاطات وتساهم في العملية التبليغية من شتىٰ الجهات .

رابعاً: ولكي يتم تنظيم النشاطات التبليغية لطلاب العلوم الدينية في الحوزات الكلاسيكية ، انشئ مكتب الاعلام الاسلامي في مدينة قم ليقوم بدراسة الطلبات المقدمة ، وخصوصاً في المواسم التبليغية من قبيل موسم شهر رمضان المبارك والاستجابة لها ، كما أنه يقوم بالدراسات التحقيقية في هذا السبيل .

خامساً: وتنظيماً للدراسات الجامعية الدينية تم ايجاد جامعات رسمية مثل جامعة الالهيات واخرىٰ اهلية مثل جامعة الامام الصادق عليه السلام والجامعة الرضوية بمشهد وجامعة التقريب بين

المـــذاهب الاســـلامية بـطهران وغيرها .

كما تم تكليف المجمع العـالمي للـــدراســـات الاســـلامية بـقم بالاشراف علىٰ كل الطلبة الوافدين مـن انـحاء العـالم لدراسـة العـلوم الاسلامية بالشكل التقليدي .

فـــي حـــين انشـئت مـنظمة المـدارس والحـوزات العلمية فـي الخارج لتـقوم بـدعم كـل المـراكـز الدينية والحوزوية في شتىٰ انحاء العالم مادياً ومعنوياً .

سـادساً : وقـد تـم دمـج كـل المـنظمات الاعـلامية العـاملة فـي خارج البلاد في رابطة واحدة هـي رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية؛ لتـقوم هـذه بـتوجيه كـل النشـاط الاعلامي في خارج البلاد سواء منه الرسمي لعـقد الاتـفاقيات الثـقافية وارســال المسـتشارين الثـقافيين ورؤساء بيوت الثقافة الايرانية في انحاء العالم ، أو الشعبي كـإرسال الخـطباء والمـبلغين والاسـاتذة ، واقامة المعارض الاسلامية للقرآن الكـريم أو الكـتاب أو النشـاطات الفنية والاعلامية من قبيل اصـدار عشرات المجلات والكتب بـمختلف اللغات ؛ خـدمة للـقضية الاعـلامية فـــي العـــالم ودعـمـاً لمـختلف النشاطات الاسلامية واشتراكاً فـي المؤتمرات الدولية وغير ذلك .

ولا ننسىٰ هنا أن ننوه بالادوار الكـبرىٰ التـي تـلعبها المـنظمات الشعبية الاخـرىٰ ، وكـذلك بـعض المـنظمات الرسـمية التـي تـمتد كـعروق العـافية فـي الجـامعات والمـــعامل والدوائـر الحكـومية مستهدفة نفس الاهداف المذكورة .

▣ فلسطين

مـرور خـمسين عـاماً عـلىٰ الاحـتلال الصهيوني لفلسطين

مرت خمسون عاماً علىٰ النكبة ومـا زالت آثـارها تـلاحق أمـتنا الاســلامية حـتىٰ اليـوم ، بـل إن مـاتبعها مـن انـهيارات سياسية ونفسية جـعلت مـن الصـعب عـلىٰ الانســـان المســلم وخـصوصاً العـربي أن يـفكر خـارج اطـار مـا تـمليه عـليه تـبعات الهـزيمة ؛ وإذا

كانت الاجيال التي عاشت فترة النكبة أو التي بعدها قد رفضت الاستسلام لقوات الاحتلال الاسرائيلية ، واصرت على استعادة الحقوق المشروعة ، فإن تداعيات النكبة استمرت في التأثير السلبي على معنويات الجيل المعاصر ، فأصبح لا يعير اهتماماً كافياً لمشروع التحرير ، ولا يرى في قضية فلسطين اولوية عنده . في حين رفض محبو الخير والحرية مبدأ الاحتلال ، ولم يعترفوا بالكيان الصهيوني إلّا بعد أن تساقطت قلاع المقاومة واحدة تلو الاخرى .

وعلى مدى اربعين عاماً متواصلة لم يكن لكلمة التطبيع وجود في الادبيات العربية : لأن اللغة التي كانت سائدة انطوت على ثقافة من نوع واضح الاهداف والمعالم من امثال التحرير ، والمقاومة ورفض الاحتلال ، والعدو الاسرائيلي ، وقوات الاحتلال ، وغيرها من المصطلحات التي ميزت تلك الفترة.

أما اليوم فقد اصبحت هذه المصطلحات غريبة عن الذوق العام في الدوائر الرسمية العربية ، واستبدلت بمصطلحات تساير التوجه الصهيوني من امثال التطبيع ، والاعتراف ، والحل السلمي ، والامن المتبادل ، وغيرها.

قبل خمسين عاماً كانت المعركة مع الصهاينة تدور حول شريط ساحلي ، ثم اخذت تمتد مع ثبات الكيان الصهيوني وتمدده ، فأصبحت المساحة التي يحتلونها اليوم تشمل الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان ، وهم يتطلعون إلى ما هو أبعد من ذلك .

وفي كل هذه الفترة الزمنية كان الصهاينة يلوّحون لليهود في العالم بورقة القدس الشريف ، ويستدرون منهم الدموع على هيكل سليمان ، وهم ايضاً يرسمون الخطط ويجمعون الاموال في هذا السبيل . إن واقع المخطط الصهيوني لا يتعلق

بـمدينة فـلسطينية مـثل تـعلقه بـالقدس ، ويـمكن اعـتبار كـل مـا تقدم مـن حـروب مـقدمة لمـعركة اساسية ، من أجل حـيازة القـدس وتهديم المسـجد الاقـصىٰ واقـامة هـيكل سـليمان . ويأتـي مـن هـذا الباب اصرارهم علىٰ اعتبار القدس عاصمة ابدية لهم ، رغـم اسـتنكار كل شرفاء العالم .

فـي حـين أن الذيـن تـصدوا للمقاومة من الطرف العربي كـانوا يقدمون رؤية لا دينية ، تـرىٰ فـي الاستيطان اليهودي فـي فـلسطين امتداداً للتوسع الاسـتعماري الذي عرفه العالم مـنذ القـرن المـاضي ، واخذوا يـتكلمون عـن الامـبريالية والغـرب وغـيرها مـن المسـميات التـي تـريد التـغطية عـلىٰ حـقيقة الموقف ، وهـي أن الصـراع الدائـر في فلسطين هو صراع ديني ، وأن القدس تحتل النقطة المركزية فيه ، ولذا نـرىٰ القـوميين العـرب قـد خسـروا مـرّتين الاولىٰ عـندما لم يستطيعوا أن يوظفوا رمز القـدس ولا قـضيتها الحـقة فـي الجـهد المبذول من اجل الدفاع عن القدس واستردادهـا ، كـما أنـهم خسـروا تارة اخـرىٰ فـي تـوهمهم لطـبيعة الصراع القائم حالياً ، فهم يتوقعون أن يتراجع الصهاينة عن تـمسكهم الديني بالقدس وفكرة الهـيكل مـن اجل اتفاقيات اوسلو .

ونتساءل ماهي الاسـباب التـي جعلت هـذه الامـة ، التـي يـتجاوز عدد عربها ربع مليار انسان وعدد مسلميها اكثر من مـليار ، عـاجزة عن مطالبتها بحقها المشـروع فـي استعادة ارضها ؟ ! وكيف تغيرت ثقافة الرفض إلى ثقافة التـطبيع ؟! وكيف يصبح المحتل صاحب حق مشروع ؟! وكيف يتحول صـاحب الحق المدافع عن حـقه ووطـنه إلى ارهابي تضيق به الديار ويـرفضه الاقربون ؟!

للاجابة عن هذه الاسئلة نقول : عندما تبلغ حالة الضعف والهـوان لمـن يـدعون تـمثيلهم الشـعب الفـلسطيني هـذه الدرجـة المـثيرة للخجل ، وعندما تتواصل مسـيرة التـنازلات دونـما ضـابط وحـدود

وشعور بالمسؤولية تتعلق قبولها بنسبة ١٣٪ من أراضي الضفة الغربية التي لا تمثل بالاصل سوى ١٥٪ من ارض فلسطين ، وعندما تصل الامور بهذه الصورة المسيئة إلى حد التنسيق الامني مع جيش الاحتلال من اجل اخراس افواه المخلصين من ابناء هذا الشعب المسلم ، بل مطاردتهم واعتقالهم ومن ثم تسليمهم للعدو الغاصب ، هذه الاسباب مضافة إلى أن البعض من القادة العرب والفلسطينيين الذين راهنوا على عملية السلام بعد أن ارهقتهم البندقية واتعبهم الكفاح المشروع ، يريدون من كل العرب والمسلمين أن يحذو حذوهم فيما وصلوا إليه من حالة يأس وتنكر للحقوق كل هذه الاسباب ادّت إلى وصول الحالة إلى ما عليه الآن .

إلّا إننا نقول لهؤلاء إنهم ارتكبوا خطأين : الأول : أنهم بدلاً من أن يفسحوا المجال لغيرهم من ابناء جلدتهم ودينهم لقيادة المسيرة وادارة الصراع فيريحوا ويستريحوا ، يحاولون فرض وصايتهم على القضية الفلسطينية التي هي قضية شعب لا يمكن أن تعود الحقوق فيها إلى اهلها دون تعاضد كل المؤمنين بهذا الحق من المسلمين والعرب .

والخطأ الآخر الذي وقع فيه دعاة السلام مع العدو والتعايش معه يتمثل في كونهم لم يستوعبوا بعد دروس التاريخ ، حيث لم يحدثنا التاريخ القديم ولا الحديث أن صراعاً بين اصحاب الحق والباطل كانت الغلبة فيه لاصحاب الباطل في نهاية المطاف مع وجود مدافعين عن الحق ، كما لا يحدثنا التاريخ أن معتدياً أو غاصباً قد اهتز ضميره يوماً فتراجع طواعية عن عدوانه وظلمه ، فهذه فيتنام ولبنان والجمهورية الاسلامية الايرانية شواهد حية اكدت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن عقولاً عدوانية كالعقول الحاكمة في تل ابيب وواشنطن لا يمكن أن تنصاع لمنطق العدل ، إلّا بمنطق القوة والاستعداد الدائم للتضحية

والمـــقاومة والايـــمان الراســخ بمشروعية الكفاح .

لندع احداث الماضي البعيد وما انتهىٰ إليه اولئك الذين كان منهجهم العـدوان والظـلم ، ولنـتأمل بـعض الاحـــداث التـــي شـــهدها عـــالمنا المعاصر فـي السـنوات العشـرين الاخيرة ؛ لنـرىٰ مـاذا كـانت نـهاية الاحـتلال الشـيوعي لافـغانستان غـير الخـيبة والانـدحار ، وانـهيار الاتحاد السوفياتي الذي ظل يحكم نصف الكرة الارضية طيلة نصف قـرن ، وكـيف انـهزمت امـيركا بهيبتها وجبروتها وهرب عشـرات الآلاف من جنودها وجـواسـيسها من الجمهورية الاسلامية الايرانية، عندما تصدىٰ لادارة الصراع القائد الإمـام الخـمينيﷺ وشـعب ايـران الاســلامية الذي لا يـخاف إلّا مـن اللّه.

وخـير شـاهد هـو الانـتفاضة الاســلامية المــباركة فـي الارض المـــحتلة ، حـيث إنـــها اوجـدت متغيرات جـديدة وأرّخت لمـرحـلة جـديدة انـقلبت فـيها المـوازيـن لصـــالح الشـــعب الفـلسطيني ، فـالقيادات الصـهيونية اسـتخدمت كل انواع القهر والمواجهة ضد هذا الشعب المعطاء ولكن الشـعب ظـل صامداً ، كما أنها اوجدت متغيرات داخـل المـجتمع الصـهيوني ، فـقد لاحـظنا خـلال الانـتفاضة ازديـاد حـالات الانـتحار والفـرار داخـل صفوف قوات الجيش الصهيوني ، وتـدنّي عـملية نـقل اليـهود إلى الاراضي المحتلة إلى الحدود الدنيا خلال سنين الانتفاضة بعدما كانت مـــتزايـــدة ، ووصـــول اليأس والاحباط إلى درجة أنهم عـرضوا ادارة قـــطاع غـــزة عـــلىٰ الاردن ومصر . هذا ما اشار إليه اسـحاق رابين في احدىٰ خطبه للـصهاينة ، بل إنه قال قـولاً مشـهوراً فـي هـذا المـــجال مشـيداً بـمقاومة الشـعب الفـلسطيني الشـــجاعة ، ومـعترفاً ضـــمناً بـــالهزيمة العسكـــرية والنـفسية للـصهاينة امـام قـوة وصمود هذا الشعب . ومما جاء في قوله أنه خرج من غزة لحـقن الدم اليهودي المسفوح . إنّه لم يسـلّمها

إلى عرفات إلّا للحفاظ على سلامة ارواح جنود الصهاينة ، الذين تدنت روحياتهم إلى الحدود الدنيا .

إن الانتفاضة الاسلامية المباركة اوجدت معطيات جديدة في معادلة الصراع مع الصهاينة ، كما أنها اختزلت معطيات اخرى كانت تشكل طوقاً نفسياً للمهزومين من العرب والفلسطينيين امام العدو .

وقد ادرك الصهاينة مخاطر هذه المعطيات على مسار الصراع بين الفلسطينيين والصهاينة انفسهم ، وبين الصهاينة وكل العرب من جهة ثانية ، ولذلك جاءت عملية التسوية ، وجاء عرفات ليقوم بعملية التغييب للشعب الفلسطيني ، فعرفات اسكت الانتفاضة ولاحق ابناءها وقضى على طلائعها بالمشاركة مع القوى الامنية الصهيونية لقهر الشعب الفلسطيني ، على كل الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك .

ولكن هل استسلم الشعب الفلسطيني لمحاولة تغييب دوره وطمس هويته وشخصيته التي ظل يحافظ عليها رغم مرور اكثر من ثلاثين قرناً ؟!

إن جهاد هذا الشعب المسلم يشهد له التاريخ وينطق به حضوره اليومي في ساحة الصراع ، فما مقاومته المتواصلة للاحتلال واصراره العنيد على بذل الغالي والنفيس في سبيل قضيته والحفاظ على عدالتها وحيويتها وشخصيتها ، وما حركتا حماس والجهاد الاسلاميتان وباقي فصائل المقاومة إلّا تعبير حي عن عطاء هذا الشعب المسلم المظلوم ، واصراره على مقاومة ثلاث جبهات في آن واحد ، هي جبهة الانحراف الفلسطيني ، وجبهة الانحراف العربي التي تحاول طمس شخصيته ، وجبهة الاحتلال المدعومة سياسياً واعلامياً وعسكرياً من قبل الولايات المتحدة الاميركية وباقي القوى السلطوية .

إن الطريق المسدود الذي

وصلت إليه مفاوضات الاستسلام، والتعقيدات المحيطة بالقضية الفلسطينية، جعلت هذه القضية اليوم بأمس الحاجة إلى مواقف شجاعة ومنطق واضح من قبل حكومات المسلمين وقادتهم؛ مواقف تليق بتاريخ هذه الأمة وحضارتها وتطلعات شعوبها.

نحن اليوم بأمس الحاجة إلى ضمائر حيّة وشعوب يقظة تعلن وقوفها الصريح إلى جانب المجاهدين من ابناء الشعب الفلسطيني.

▣ مصر

شيخ الازهر «الطنطاوي» يعظّم مكانة أهل البيت عليهم السلام

في سياق النشاطات الثقافية لجامعة الازهر الاسلامية في مصر، أصدر شيخ الازهر الدكتور محمد سيد طنطاوي منشوراً تحت عنوان «مكانة أهل البيت عليهم السلام»، ومما جاء فيه:

قال الله تعالىٰ: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾.

وقال رسول الله (ص): «**إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عزوجل، حبل ممدود بين السماء والأرض، (أو ما بين السماء إلى الأرض)، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض**».

ولقد مدح الله سبحانه وتعالىٰ أهل البيت وأثنىٰ عليهم في القرآن الكريم، فقال جل شأنه: ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت**﴾.

وروي عن أبي بكر فيما اخرجه الامام البخاري قال: قال رسول الله (ص): «**يا أيها الناس، ارقبوا محمداً في أهل بيته**».

وأخرج الامام مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس أن رسول رسول الله (ص) قال: «**يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبت قائمكم، وأن يهدي ضالكم، وان يعلم جاهلكم، وسألت الله أن يجمعكم جوداء، نجداء، رحماء**».

ومن طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال: «خرج

علينا رسول اللّه (ص) ومعه الحسن والحسين ، هذا علىٰ عاتقه وهذا علىٰ عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهىٰ إلينا ، فقال : **من أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني**» .

وعن أبي هريرة أن رسول اللّه (ص) قال : «**الحسن والحسين ابناي ، من أحبهما أحببته ، ومن أحببته أحبه اللّه ، ومن أحبه اللّه أدخله جنات النعيم ، ومن أبغضهما أو بغىٰ عليهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه اللّه ومن أبغضه اللّه أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم**» .

وكان رسول اللّه (ص) يقول فيما أخرجه الطبراني : «**ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم ؟! والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم للّه ولقرابتهم مني**» .

والسنة الشريفة والاسانيد الصحيحة في محبة آل البيت ومكانتهم ومنزلتهم لا تعد ولا تحصىٰ ، حتى إن أصحاب الكتب الصحاح أفردوا لها أبوابا كاملة ، وعنونوا لها بقولهم : «فضل آل البيت» ، أو «مناقب أهل البيت» .

وقد امتلأت كتب التراث الاسلامي الأصيل بذكر اسمائهم وخلد الشرع ذكراهم ودوّن التاريخ سيرتهم .

وحفلت الشريعة بنصوص الترغيب في حب أهل البيت ، وحسن المعاملة لهم ، والمحافظة علىٰ مودتهم ، كما أنها جاءت مليئة بالنهي عن بغضهم والتحذير من عداوتهم .

وحكمة الترغيب في حبهم إيصال نتيجته لهم ، وهو النفع الدنيوي لهم ، ونية التقرب بذلك لرسول اللّه (ص) ، والعفو عن مسيئهم .

وحكمة الترهيب من بغضهم كف نتيجة البغض عنهم ، وهي أذيتهم أو السعي بهم إلى من يؤذيهم ويبغضهم .

ومحبة أهل البيت المعتمدة هي المحبة التي توصل إلى حب اللّه سبحانه وتعالىٰ دنيا وأخرىٰ ، وهي المحبة القلبية التي تمتزج

باتباع سنة رسول الله (ص).

وفي محبة أهل البيت يقول رسول الله (ص): «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته**».

وروي عن ابن عباس قال: «قال رسول الله (ص): **من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي، وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي. لا أنالهم الله شفاعتي**».

وفي الختام نتمثل بقول القائل:

يـاأهل بيت رسول اللّه حبكمُ
فرض من اللّه في القرآن أنزله
كفاكمُ من عظيم القدر أنكمُ
من لم يصل عليكم لا صلاة له

▣ البوسنة والهرسك

معاناة العائلات المسلمة

تنص اتفاقية دايتون للسلام التي ابرمها قادة المسلمين والصربيين والكرواتيين على عودة اللاجئين والنازحين إلى منازلهم، ولكن بعد مرور اكثر من سنتين على توقيع الاتفاقية، نلاحظ أنه لا تزال آلاف العائلات البوسنية المسلمة تجهل مصير بعض افرادها الذين فقدوا خلال الحرب، ولم تعرف اخبارهم، وتعيش هذه العائلات حالة من التمزق والمعاناة النفسية وعدم الاستقرار التي تتزايد مع مرور الوقت؛ حيث تشعر أن الامل يكاد يكون مفقوداً ويتضاءل شيئاً فشيئاً في العثور على المفقودين.

ورغم هذه المعانات فإن هناك اجماعاً عاماً من عائلات المفقودين واصراراً على مواصلة البحث، والوصول إلى حقيقة مصير اولادهم واحبائهم.

وترجع كيفية اختفاء المسلمين إلى بدايات الحرب، حيث اقتيد العدد الاكبر منهم من مختلف المدن البوسنية إلى مراكز الشرطة والثكنات العسكرية بحجة التحقيق

معهم ؛ وكان الصربيون يؤكدون لعائلاتهم أنهم سيعودون إلى منازلهم فور انتهاء التحقيق . وانتهت الحرب وانتهى معها كل شيء ولكن الغائبين لم يعودوا . بعضهم اخذوا من اماكن عملهم ، وقسم آخر من الشوارع ، وقليل منهم أُسروا في المعارك ، والجميع في نهاية المطاف اخذوا إلى جهة غير معروفة .

كان العدد المعلن عنه رسمياً يبلغ ألفي شخص بعد توقيع اتفاقية دايتون سنة ١٩٩٥م .

ورغم التزام الاطراف المعنية بتوفير المعلومات التي من شأنها أن تساعد اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، في تتبع الطرق المؤدية إلى معرفة المفقودين ، لم تُسجّل في سنة ١٩٩٥م أي حالة يتم فيها الادلاء بمعلومات ذات قيمة .

وقد كثر تقديم البلاغات من العائلات ، حتى بلغ عدد المفقودين الآن عشرين الفاً ، بالرغم من تشكيل فرق عمل تضم ممثلين من لجنة الصليب الاحمر ، وممثلين عن السلطات البوسنية والصربية والكرواتية ، بالاضافة إلى ممثلين عن عائلات المفقودين ، وقد عقدت هذه الفرق اجتماعات بشكل دوري ومنظم ، حيث تم فيها نقل طلبات وبلاغات العائلات للسلطات المعنية؛ كما تم ابلاغ العائلات عن التطورات الجديدة في مسار البحث عن المفقودين ، وقد تم نشر قوائم بأسماء عشرين الف مفقود وتوزيعها في كافة المدن البوسنية، وفي بعض الدول من العالم ؛ إلّا إنه بعد اكثر من سنتين من بدء البحث، تم فقط العثور على ألف وخمسمئة مفقود ، ليس فيهم شخص واحد على قيد الحياة .

واصبحت عملية البحث عن المفقودين عبارة عن حفر وتنقيب عن مقابر جماعية ، واستخراج لجثث القتلى ، ومن ثم محاولة معرفتهم وتحديد هويتهم عن طريق بقايا ملابسهم .

إن عملية البحث عن المقابر الجماعية هذه لا تخلو من الصعوبات والتعقيد ؛ نظراً لعدم

رغبة الصربيين في الكشف عن أماكن وجودهم ؛ لكون هذا ذا علاقة مباشرة بجرائم الحرب ، ويزيد من الصعوبات ايضاً أن الكثير من هذه المقابر الجماعية توجد وسط حقول الالغام .

وهكذا تسير عملية البحث بشكل بطيء ، وتبقى مع ذلك خطرة وغير مأمونة العواقب .

ومن اكبر المآسي الانسانية في القرن العشرين هي فقدان ثمانية آلاف من مسلمي مدينة سربرينتسيا ، بعد سقوطها على ايدي الصربيين ، كما يمثل سقوط المدينة وصمة عار في جبين المجتمع الدولي ، الذي جرد اناساً من اسلحتهم متعهداً بحمايتهم ، ثم تخلى عنهم بطريقة اشبه ما تكون بالمؤامرة .

وتستولى نساء سربرينتسيا اللائي فقدن جميع الذكور البالغين في عائلاتهن تعبئة الرأي العام في البوسنة ، والضغط على السلطات المحلية والمؤسسات الدولية من اجل حث الجميع على بذل كل الجهود ، واستعمال كل الوسائل الكفيلة بالوصول إلى كشف مصير المفقودين ومعرفة الحقيقة .

وقد اكدت رئيسة نساء سربرينتسيا تصميم هؤلاء النسوة على معرفة الحقيقة مهما كانت ، وقد دانت المسؤولين في المجتمع الدولي ووصفتهم بعدم الاكتراث ، كما كشفت عن معلومات تؤكد أن كثيراً من المفقودين هم احياء يرزقون .

وتفيد تقارير اللجنة الدولية للصليب الاحمر لسنة ١٩٩٧م ، أنه تم اجراء عدة زيارات إلى السجون والمعتقلات في جمهورية صرب البوسنة في الاتحاد اليوغسلافي ، في اطار البحث عن المفقودين . ولكن هذه الزيارات كانت فاشلة ودون جدوى ؛ وذلك لأن المسؤولين في هذه اللجنة كانوا يعلنون عن هذه الزيارات قبل موعدها ، وهو اجراء سخيف لأنه يعطي فرصة كافية للصربيين لاخفاء المسلمين المحتجزين .

وقد اكد أحد الهاربين من أحد

المعتقلات الصربية ، الذي سجلت شهادته لدىٰ جمعيات البحث عن المفقودين ورابطة حقوق الانسان البوسنية ، اكد أن المسلمين يسمّون بأسماء صربية في السجون والمعتقلات ، مما يؤكد فكرة وجود الكثير من المفقودين المسلمين في السجون الصربية وفي الاتحاد اليوغسلافي ، ويفسر عدم عثور منظمة الصليب الاحمر عليهم رغم كثرة زياراتها .

إلى جانب المعاناة النفسية والمشكلات الاجتماعية التي تتسبب فيها مسألة المفقودين ، توجد مشكلات اخرىٰ قانونية وادارية تتخبط فيها عائلات المفقودين ؛ ذلك أن القانون لا يعتبر الشخص المفقود متوفىً إلّا بعد وجود دليل مادي ملموس تستخرج في ضوئه شهادة الوفاة، مما يسبب حرجاً كبير لعائلات المفقودين في تسوية مسائل الارث وغيرها ، والزواج مرة اخرىٰ وبناء اسرة جديدة .

ومن المتوقع أن تبقىٰ هذه المشكلات عالقة مخلفة وراءها كثيراً من الآلام والمعاناة ، ما لم يتم النظر إلى مسألة المفقودين من وجهة نظر انسانية بحتة ، خاصة بعد انتهاء الحرب والشروع في اعادة الاعمار وتشكيل المؤسسات المشتركة ، التي من المفروض أن تحقق الحد الادنىٰ من التعاون بين الاطراف الثلاثة (المسلمين والصربيين والكرواتيين) لمعرفة مصير عشرين الف انسان نسبة المسلمين منهم ٥٩٪ .

▣ افغانستان

فشل الجولة الاولىٰ من مفاوضات السلام

شهدت العاصمة الباكستانية محادثات هي الاولىٰ من نوعها بين حكومة الطالبان الافغانية من جهة ، وتحالف الفصائل المعارضة لها ، برعاية الأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامي .

اجرىٰ المتفاوضون محادثات مطولة في عدد من القضايا الرئيسية ، ابرزها مسألة وقف

اطلاق النار ، وتبادل الاسرىٰ ، وفتح الطرق في افغانستان للمساهمة في ايصال المواد الغذائية لسائر المناطق الافغانية . ومع أن اجواء التفاؤل سادت المحادثات في ايامها الاولىٰ ، إلّا إنها انتهت بفشلها دون أن تحقق أي نتائج عملية ، بعدما اختلف الطرفان في مسألة اساسية ، وذلك إثر رفض حركة الطالبان لمقترحات المعارضة ، الخاصة بتركيبة المجلس العلمائي الذي اقترحته الحركة ؛ لكي يتولىٰ مهمة حل الازمة الافغانية حلاً سلمياً والبت في أمورها .

المعارضة اقترحت أن يكون هذا المجلس متوازناً ومن كل الاطراف الافغانية ، ولكن الحركة اصرت علىٰ أن يكون المجلس مكوناً من ٨٠ ٪ من الطالبان ، و ٢٠ ٪ من المعارضة ، بحجة أنها تسيطر علىٰ ٨٠ ٪ من الاراضي الافغانية ، وهي حجة رفضتها المعارضة .

وكان المفروض أن تستمر المحادثات لتذليل هذه العقبة ، إلّا أن وفد حركة الطالبان انسحب وعاد إلى كابل ، ثم إن سفير الحركة في اسلام آباد أعلن أن وفد الطالبان سيكون برئاسته إذا قررت الحركة مواصلة المحادثات، بيد أن الحركة لم تقرر معاودة المحادثات ، مما سبب ذلك ضربة كبيرة لتلك الفرصة لحل الازمة الافغانية حلاً سلمياً .

والملاحظ أن حركة الطالبان حمّلت المعارضة مسؤولية فشل المحادثات ، فقد اتهم وزير الاعلام في هذه الحركة ائتلاف المعارضة، بأنه ضيع فرصة انهاء الحرب الاهلية التي مزقت افغانستان منذ ١٨ سنة ، وادعىٰ كذلك أن المعارضة التي يعتقد بأنها تخشىٰ قرارات العلماء ، اوجدت الذرائع لمغادرة طاولة المحادثات ، في حين كانت الحركة علىٰ استعداد لمواصلتها .

والحقيقة أن المعارضة ظلت في العاصمة الباكستانية ، بينما كان وفد الحركة هو الذي غادر

اسلام آباد ، وليس العكس كما ادعىٰ وزير اعلام الطالبان .

الدور الاميركي الباكستاني

إن الولايات المتحدة الاميركية باتت قلقة علىٰ مستقبل حركة الطالبان ؛ فهذه الحركة تعاني من انقسامات داخلية حادة ، فهناك جناح الملا عمر ، وجناح الملا رباني ، وجناح القائد الشيوعي توانای الذي تتعاظم قوته داخل الحركة وبدأ يهدد مستقبلها ، فهذه الانقسامات اضعفت موقف الحركة، وشكلت فتيلاً يمكن أن يحدث انفجاراً داخل جسمها يؤدي إلى تمزيقها ، كما أن الحركة اخفقت في بسط سيطرتها عسكرياً علىٰ الشمال الذي ظل عصياً عليها ، رغم الدعم اللوجستي والعسكري والمالي الذي تقدمه الولايات المتحدة الاميركية وباكستان ودول اخرىٰ لهذه الحركة ؛ هذا من جانب ومن جانب آخر تشعر الولايات المتحدة بأنها محرجة امام الرأي العام ، فهي في الوقت الذي تقدم الدعم للطالبان ، تقوم هذه الحركة بممارسات تتناقض والشعارات واللافتات التي ترفعها واشنطن للدفاع عن حقوق الانسان والشجب لتقييد الحريات ، ولا سيما في العاصمة كابل . والحقيقة أن واشنطن ليست حريصة علىٰ حقوق الانسان ، ولكنها ترفع هذا الشعار لاسباب سياسية ، ثم إن ممارسات حركة الطالبان باتت تتمثل في وضع الشعارات والتوجهات الاميركية امام تساؤلات عديدة وشكوك كثيرة ؛ مما جعل الولايات المتحدة تتنصل ولو اعلامياً عن الحركة ، وبدأت توجه نقداً اعلامياً لممارسة حركة الطالبان .

إن الولايات المتحدة ادركت أن استقرار الاوضاع في افغانستان بات ضرورياً من اجل تأمين مصالحها الذاتية ، وذلك من خلال انجاز مشروع نقل النفط الآسيوي عبر افغانستان والباكستان .

كما أن الباكستان برز فيها اتجاه واضح يتزعمه رئيس

الوزراء يتبنى الحل السلمي للازمة الافـغانية ؛ لادراكـه أن الحـل العسكـري بات مستحيلاً ، وقد شـعرت باكستان بأن استمرار الحـرب فـي افـغانستان له آثار سلبية على امنها واستقرارها ؛ إذ يرجح كثيرون أن يكون للفصائل الافـغانية دور فـي تذكية اعمال العنف المذهبي في باكستان ، كما أنـها شـعرت بـحاجة لمـزيد من الدعم الاميركي في مواجهة الهند ، مـنذ فـوز الحـزب الهـندوسي المتطرف بـالانتخابات التشـريعية واستلامه الحكومة في الهند .

كـما أن البـاكسـتان ادركت عجزها عـن إحداث تـغييرات فـي مـوازيـن القـوى فـي افـغانستان ، بـعدما عـجزت حـليفتها حـركة الطالبان عن السيطرة على شـمال افغانستان .

مـن المسلم بـه أن السـلام لن يحل في افغانستان ما لم تقتنع بـه الاطـراف الافـغانية المـتصارعة ، وأن هذه الاطراف لن تـقنع بـالحل السـلمي مـا لم يـخمد التـنافس الاقليمي على افغانستان .

ومادامت الاطراف الاقليمية تمد يـد العـون والمسـاندة المـالية والعسكرية لهذا الفريق وذاك ، فإن كـلاً مـن هـؤلاء الاطراف سيظل مـقتنعاً بأنـه قـادر عـلى كسب الحرب، ومن ثم لن يكون السـلام سلاماً حقيقياً .

▣ فرنسا

ندوة عالمية حول حقوق الانسان في الاسلام

عـقدت مـؤخراً فـي العـاصمة الفـرنسية بـاريس نـدوة عـالمية حول موضوع حقوق الانسان فـي الاسلام ، شارك فيها عدد كبير من العلماء ورجال الفكر والثقافة مـن المسلمين وغير المسلمين .

وقـد دارت المـناقشات حـول مفهوم حقوق الانسان في الاسلام، واتفق الجميع أن الضمانات الاكيدة والراسخة لحـقوق الانسـان تكمن في الشرع الاسلامي ، وهي حقوق تكفل الحرية الكاملة للانسـان فـي كافة ميادين الحياة ، وكذلك فـي

مختلف الظروف سواء كانت في الحرب أو في السلم ؛ كما أنهم اتفقوا على أن مفاهيمها الكاملة تتجاوز الشرعة التي اقرتها هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٨م .

وأكد المشاركون في الندوة أنه في سبيل تحقيق حق الانسان وكرامته واحترام نفسه وماله وعرضه ، فإن الاسلام يدين أي اعتداء وظلم يقع على الافراد أو المجتمعات أو الدول ، كما يدين الاسلام كل صنوف الارهاب والتطرف ، وأن الضمان الحقيقي لحقوق الانسان في الاسلام هو من خلال تطبيق الشريعة الاسلامية ، والتزام الهيئات الاسلامية والدول والافراد بالاسلام ، وهذا لا يعني انغلاقاً وتقوقعاً على الذات كما يسميه البعض ، بل هو انفتاح على الحضارة الانسانية بثمراتها النافعة وتوجهاتها الراشدة .

وفي هذا الصدد دعا المشاركون جميع المسلمين إلى تطبيق الشريعة الاسلامية والتزام حكم الله ضماناً لكل الحقوق ، كما دعوا جميع الهيئات والمنظمات ومراكز البحث والشخصيات العلمية إلى الاهتمام بدراسة حقوق الانسان في الاسلام ، والتعرف عليها من مصادرها الأصلية من كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين ومن المصادر الموثوقة في الفقه والتاريخ الاسلامي ؛ على أن تعقد ندوات ولقاءات لهذا الغرض في المستقبل ، وأن تقدم دراسات بأسلوب موضوعي مناسب للمهتمين بحقوق الانسان في العالم ، وأن يكون لوسائل الاعلام جهدها المتميز في ذلك ؛ حتى لا تظل المجتمعات الانسانية تتلقى ثقافتها من مصادر غير موثقة أو ذات اهداف أو مصالح سياسية أو ذاتية .

وقد اشاد المشاركون في الندوة بمشاركة الحاضرين من غير المسلمين ، وإسهامهم في الصورة العامة لحقوق الانسان وجذور الاعلانات والمواثيق المتعلقة بذلك ، وقد لاحظت الندوة التقاء هذه المواثيق مع

الاسلام في كثير من قضايا حقوق الانسان .

وقـد تـميزت مـداولات النـدوة بـالموضوعية والروح العـلمية ، وبالحرص علىٰ التـعاون للإسـهام فـي تـصحيح مسـيرة الحـضارة الانسـانية ، وللـعمل عـلىٰ تـحقيق كرامة الانسان. ولما كان الكثير من الهيئات والمنظمات يحتفل بـذكرىٰ مرور خمسين عـاماً عـلىٰ اصـدار الاعلان العالمي لحقوق الانسـان ، رأت الندوة أن المبادئ التي اشتمل عـليها الاعـلان العـالمي لحـقوق الانسان ـ مع ما فيها من ايجابيات وتوجّه عام لاحـترام الانسـان ـ لم تطبق تطبيقاً عادلاً ، ولم تمنع وقوع الظلم والعدوان علىٰ شعوب كثيرة فـي مـختلف انـحاء العـالم ، وأن المسـلمين نـالوا نـصيباً كـبيراً من ذلك .

وبما أن مـيثاق الامـم المـتحدة صدر في ظروف تـاريخية مـعينة علىٰ إثر الحـرب العـالمية الثـانية . فقد تركّزت مبادئه علىٰ نتائج تـلك الظروف ، ولم تأخذ بعين الاعتبار الشمولية والتكامل في التعامل مـع حـاجات الانسـان المسـتجدة وكرامته وأمنه في ارجـاء الارض ، كـما أن المـيثاق لم يـراع الخـصوصيات الدينية والثـقافات المـختلفة واعـراف المـجتمعات الانسانية ، مما يستدعي العمل علىٰ انمائه وتطويره ليستجيب لتطلعات الشـعوب مـن العـدل والمسـاواة والرخاء .

ومـن اجـل هـذا وانـطلاقاً مـن مـبادئ الاسـلام وقـيمه ، فـإن المشاركين فـي النـدوة انـتهوا إلى جملة من التوصيات هي :

١ ـ ضـرورة أن تـحترم المـنظمات والهـيئات وأتـباع الحـضارات الاخـرىٰ عـقيدة المسلمين القائمة علىٰ تـوحيد اللّـه وإفراده سبحانه بـالعبودية دون مـن سـواه ، وتـحترم شـريعة الاسلام ، وتعترف بالخصوصيات الثـقافية والاعـراف الصـحيحة والتـقاليد الحسـنة فـي مـختلف المجتمعات .

٢ ـ إن التـوازن بـين حـقوق

الانسان وواجباته ومسؤولياته شرط اساس في بناء المجتمعات السليمة والآمنة.

٣ ـ إن الزواج الشرعي بين الرجل والمرأة هو الاساس الوحيد لبناء الاسرة، وإن الرجل والمرأة شريكان متكاملان في ميادين الحياة.

٤ ـ إن رعاية الاطفال وتنشئتهم فريضة دينية وواجب أسري ومسؤولية عامة في الاسلام.

٥ ـ سلامة البيئة وحمايتها من التدمير وعوامل الفساد من أساسيات حقوق الانسان وكرامته وأمنه.

٦ ـ التناصح والتشاور والمسؤولية المشتركة والثقة المتبادلة بين الشعوب عامل اساسي لاستقرار المجتمعات وارتقائها.

٧ ـ احترام سيادة الكيانات الوطنية وخصوصياتها ومصالحها الذاتية.

٨ ـ العدل في التعامل بين المنظمات والمجتمعات الدولية اساس للاستقرار والأمن الدوليين.

٩ ـ مكافحة الجريمة وأسبابها والمخدرات ومروجيها اساس لضمانات حقوق الانسان وأمنه.

١٠ ـ تنمية ثقافة التعايش والتعاون بين أجيال المجتمعات البشرية.

١١ ـ وضع ميثاق اعلامي عالمي يلتزم في مبادئه ووسائله باحترام الخصوصيات الدينية والثقافية للمجتمعات المختلفة ويحقق التعارف بينها.

١٢ ـ ضمان حقوق الأقليات الدينية والعرقية في المجتمعات البشرية.

هذا وقد ساد جو الندوة الود والمحبة والحرص على التعاون المثمر من أجل التنسيق والتكامل وخدمة المسلمين كافة في ارجاء المعمورة.

▣ طاجكستان

الاسلام طريق الخلاص لإنقاذ المجتمع

الاسلام هو الدين الرسمي

لجـمهورية طـاجكستان ، إلّا إن المسلمين في هـذا البلد يـجهلون ديـنهم بسـبب السـنين العـجاف للحكم الشيوعي بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧م ، الذي جاء بإيديولوجية قـائمة علىٰ مـحاربة الاديـان وخـصوصاً الاسـلام والمسلمين ، فشهدت العشـرينيات والثلاثينيات حرباً شعواء وواسعة النطاق ضد الدين والمتدينين ، فقد قـام النـظام الشـيوعي بـصورة واسـعة بـإغلاق المسـاجد والمـدارس الدينية والقبض علىٰ الاسـلاميين وتـعذيبهم فـي السجون.

وقـد اسـتطاع هـذا النـظام فـي الاربعينيات القضاء علىٰ كل معالم الثقافة الاسلامية ؛ وذلك من خلال تغيير اللغة واسلوب الكتابة ومنع التعليم الاسلامي وحظر استخدام الحروف العربية في الكتابة .

وبـعد أن اسـتقلت جـمهورية طـاجكستان اخـذت تـرجـع إلى هويتها الحقيقية من جـديد ، وذلك بـالعودة إلى الاسـلام ؛ إلّا إن السـلطة الطـاجيكية تـخشىٰ المـعارضة الاسـلامية ، التـي شاركت في السلطة اثـر التـوصل إلى اتفاق أنهىٰ الحرب الاهلية فـي البلاد بعد أن استمرت نـحو سـتة أعوام .

ومن الواضح أن ثمة توجهاً في طاجكستان نـحو تـحذير الشـباب المتلهف لمعرفة الاسلام ، من خطر التطرف والاصولية اللذين يـوصم بهما الاسلاميون .

والصـورة اليـوم فـي عـاصمة طـاجكستان لا تـخلو مـن مـنظر النسـاء المـحجبات والرجـال المـلتحين ، وقـد سـاعد علىٰ ذلك عيش البلاد آثار الحـرب الاهـلية ، حـيث تـعرض الاقـتصاد للانـهيار وارتفع معدل وقوع الجرائـم ؛ مـما دفع الشعب الطـاجيكي إلى البـحث عـن تـقاليد جـديدة تـنقذ البـلاد والمجتمع فـي ظـل الفـراغ النـاشئ عـن انـهيار التـجربة الشـيوعية ، فكـانت العـودة إلى الاسـلام هـي الطـريق السـليم لانـقاذ المـجتمع ، ومن اللافت للـنظر أن عـدداً كـبيراً

من الشبان والشابات كانوا قد صاموا شهر رمضان ، كما أن الخمور لم تعد تقدّم في الاجتماعات العامة ؛ وقد بدا الامر مختلفاً تماماً عنه في ظل اوضاع السيطرة السوفياتية .

إن الاسلام سيساعد في حل المشكلات الاجتماعية والاخلاقية في طاجكستان في المستقبل القريب .

▣ الهند

المعايير الاميركية المزدوجة

أجرت الهند عدة تجارب نووية تحت الارض ، احداها انشطارية ، واخرىٰ حرارية ، وقد اجريت التجارب في منطقة لا تـ٠٠ عن الحدود الباكستانية سوى ١٥٠ كيلومتراً .

إن التفجيرات النووية الهندية تحمل اكثر من رسالة ، فهي تعني اولاً أن حزب بهارتيا جاناتا الهندوسي المتطرف الذي تولىٰ السلطة في نيودلهي ، مصمم علىٰ المضي في سياسته المتطرفة التي لا تخص بالعداء باكستان وحدها ، وإنما تسعىٰ لتكوين دولة الهند المتحدة أو (أخند بهارت) التي تشمل جنوب شرق آسيا ، وتمتد لتشمل الجزيرة العربية حتىٰ شواطئ البحر الاحمر حسب زعمهم .

لقد كانت كلمة أخند بهارت إحدىٰ شعارات الحزب في حملته الانتخابية الاخيرة ، جنباً إلى جنب مع شعار تصنيع القنبلة النووية والاستمرار في التجارب النووية التي بدأتها في ١٩٧٤م .

وقد تزامن مع اعلان التفجيرات النووية إطلاق صاروخ ترشول القادر علىٰ حمل القنابل النووية ، مما لا يدع مجالاً للشك في أن الهند تسعىٰ من وراء تسلحها النووي إلى تهديد جيرانها ، وفي مقدمتهم باكستان ، وتملك الهند مخزوناً من البلوتونيوم يكفي لانتاج خمسين قنبلة نووية علىٰ الاقل .

وتزداد خطورة التسلح النووي الهندي بسبب وجود زمرة من المتطرفين علىٰ رأس السلطة ، هم

لذين قاموا بهدم مسجد بابري ، ويطالبون بهدم مئات المساجد في الهند ، ولا يكتفون بسلب حقوق المسلمين ، بل يبسطون سيطرتهم على الدول المجاورة مثل النيبال وبورما وسريلانكا وبوتان حتى بنغلاديش ، ويعتبرونها دولاً يجب أن تكون خاضعة لسلطان الهند ، ولا يجدون في المنطقة نداً لهم سوى باكستان التي ترفض الخضوع لسيطرة الهندوس .

بل إن البرنامج الانتخابي للحزب الحاكم كان يدعو لشن هجوم عسكري على باكستان ؛ لاغتصاب منطقة كشمير الحرة التي تخضع حالياً للادارة الباكستانية .

وبعد أن أجرت الهند تجاربها النووية واطمأنت إلى حيازتها للخبرة النووية العملية اللازمة ، خرجت التصريحات من نيودلهي بأن الهند على استعداد للتوقيع على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، وهي السياسة التي تستهدف الحيلولة دون لحاق الباكستان بعدوّها اللدود .

وبعد اعلان الهند عن تجاربها النووية هددت الولايات المتحدة الاميركية بفرض عقوبات عليها ، وسارعت لدعوة باكستان إلى ضبط النفس وعدم مجاراة الهند في مسلكها ، ملوحة في الوقت نفسه بمزيد من العقوبات على باكستان في حالة سلوكها السبيل الشرعي لحماية أمنها .

ومن الواضح أن العقوبات الاميركية المزعومة على الهند لن تتجاوز حدود التصريحات ، فالهند حققت من التكنلوجيا في المجالات المختلفة - بما في ذلك من انتاج السوبر كمبيوتر - ما يغنيها عن اللجوء إلى الولايات المتحدة الاميركية ، كما أن سوابق السياسة الاميركية تشير إلى ذلك ؛ فقد امتنعت اميركا عن الضغط على الهند لمنع تسابقها في ميدان التسلح ، واجراء التفجيرات النووية واطلاق الصواريخ بعيدة المدى ، بينما كانت تمارس الضغط على باكستان وحدها ، حتى إنها اوقفت

تسليمها صفقة الطائرات التي دفعت جزءاً كبيراً من ثمنها .

وحتىٰ إذا نفذت الولايات المتحدة الاميركية تهديداتها وعاقبت الهند ، فإن هذا العقاب لن يكون بالقوة التي تحول دون إتمام الهند لمخططاتها .

وكم كان مثيراً أن يتركز التحرك الاميركي علىٰ محاولة استيعاب ردّة الفعل الباكستانية ، وثنيها عن المضي قدماً في حقها المشروع في اتخاذ ما يلزم من اجراءات لضمان أمنها القومي ، بكل وسائل الترغيب والترهيب ، في حين اقتصر هذا الرد تجاه الهند علىٰ التلويح بفرض عقوبات اقتصادية ، اعلنت الهند نفسها أنها غير ذات مغزىً وبدون أيّ تأثير .

ولعل السؤال الذي يتبادر هو لماذا اخذت ردّة الفعل الاميركية هذا الاتجاه ؟ ، وهي التي تستخدم كل امكاناتها العلمية والتقنية ونفوذها السياسي في جعل النادي النووي نادياً مغلقاً ، بل تسعىٰ لتفكيك القدرات النووية لدىٰ الدول التي كانت ضمن منظومة الاتحاد السوفياتي المنحل ، وموقفها تجاه كازاخستان واوكرانيا خير شاهد علىٰ ذلك .

ولماذا اغمضت الولايات المتحدة الاميركية عينها عن البرنامج النووي الهندي ؟ وهي التي نصبت نفسها شرطياً للعالم تحصي عليه أنفاسه وتراقب سكناته ؟ ، متباهية بما تملك من أقمار صناعية وتقنيات تجسسية ، وآلاف من رجال مخابراتها الموزعين في المؤسسات الاميركية المتعددة المنتشرة في ارجاء الكرة الارضية ، في نفس الوقت الذي تحاصر فيه غيره من البرامج النووية لكل من باكستان وكوريا والجمهورية الاسلامية الايرانية وغيرها .

إن المنافس المعني اليوم بتجارب الهند الذرية هو دولة باكستان الاسلامية ، التي نجحت مؤخراً في إطلاق صاروخها طويل المدىٰ غوري ، واضطرت إلى اجراء تجاربها النووية ردّاً علىٰ

التجارب النووية الهندية ، واعتبرت ذلك حقاً من حقوق الدفاع عن نفسها امام التهديد النووي الهندي، بل التهديد النووي الاسرائيلي ، الذي لعب دوراً اساسياً في التنسيق النووي مع الهند عداءً منه للدول الاسلامية ومنها الباكستان .

لقد اعاد الموقف الاميركي إلى الاذهان صور المواقف السابقة تجاه أي محاولة تسلح تقوم بها أي دولة اسلامية ، مثل مصر وليبيا والجمهورية الاسلامية الايرانية . ومن أجل تحقيق ثني باكستان عن حقها المشروع في حماية أمنها القومي ، والاستمرار في برنامجها النووي وعدم الردّ على التجارب النووية الهندية ، بلغ الموقف الاميركي حدّ عرض الاستعداد للافراج عن صفقة الطائرات وإعفاء باكستان من ديونها رغم ان تهديد الهند لأمنها لا زال قائماً ، وهي التي سبق أن شنت عليها الحرب ، وتآمرت لتقسيمها إلى شطرين ، وفصلت عنها باكستان الشرقية التي تعرف باسم بنغلاديش .

إن هذا الموقف الاميركي ماهو إلّا امتداد للمواقف السابقة ، ذات الاستراتيجية الهادفة إلى الحيلولة دون امتلاك أي قطر اسلامي لاسلحة الردع النووي ، حتىٰ ولو كان في ذلك خطر علىٰ أمنه القومي، كما هو حادث في الموقف بين الهند والباكستان . وكذلك الابقاء علىٰ ميزان القوىٰ العسكرية في غير صالح الأمة الاسلامية دائماً .

والشواهد علىٰ هذه الحقيقة اكثر من أن تحصىٰ ، وإلّا لماذا الابقاء علىٰ الترسانة النووية للعدو الصهيوني ؟ حيث تمتلك اسرائيل الرؤوس النووية ، وترفض التفتيش الدولي لمفاعلاتها النووية، أو التوقيع علىٰ اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية ، وتعطي لنفسها الحق في تهديد جيرانها الذين اعلنوا رغبتهم في جعل المنطقة خالية من السلاح النووي .

إن المعايير المزدوجة للولايات

المتحدة الاميركية هي التي دعت الهند إلى المضي في تسلحها النووي ، دون اعتبار لأي ضغوط متوقعة من اميركا أو المجتمع الدولي .

ومن أشد أوجه النفاق أن تكون الولايات المتحدة الاميركية أولى الدول التي اعربت عن هذا القلق والاستنكار ، وهي التي تملك اكبر ترسانة من الاسلحة النووية في التاريخ حتى الآن ، وهي الدولة التي رفضت في كل الاوقات التعهد بألّا تكون هي البادئة في استخدام الاسلحة النووية ، وهي الدولة التي قامت بحماية اسرائيل من أن تدان لعدم انضمامها لمعاهدة منع انتشار الاسلحة النووية ، والتي رفضت مطالبة اسرائيل بالانضمام إلى المعاهدة المذكورة.

▣ السويد

الاضطهاد العنصري للاقليات العرقية

أعدت وزارة الصحة السويدية دراسة حول احوال الاجانب المقيمين ، تضمنت مراقبة احوال ثلاث اقليات عرقية في السويد .

وبعد دراسة اكاديمية دقيقة سلمت اللجنة المكلفة تقريرها إلى مدير الصحة ، الذي صرح للصحافيين عقب دراسته للتقرير بأنه أصيب بالدهشة والخوف من الارقام التي اوضحتها الدراسة حول طرق معيشة هذه الاقليات العرقية التي تنسحب نتائجها على باقي الاقليات في السويد .

وقد كانت النتائج على النحو التالي :

١ ـ ٤٠٪ من الذين شملهم التقرير يمتنعون عن السهر في الخارج خوفاً من التعرض للايذاء من قبل العنصريين ، وفي مقارنة مع السويديين كانت النسبة تقل عن ١١٪ ممن يتخوفون من الخروج ليلاً .

٢ ـ ٦٠٪ يقولون إنهم تعرضوا للاضطهاد السياسي في بلادهم ، وهم يشعرون أنهم يعانون من اضطهاد عنصري اشد خطراً مما تعرضوا له في بلادهم .

٣ ـ ٢٠٪ يقولون إنهم تعرضوا

للـضرب والاضـطهاد العـنصري والتهديد بالايذاء .

عـلماً أن مـعاناة المـهاجرين المسلمين من العنصرية هي اكثر مما يـتعرض له غـيرهم مـن ابـناء هـذه الاقـليات العـرقية مـوضع البحث والدراسة ، حيث يعاني اكثر من ٥٠٪ من المسلمين من البطالة ، والنسـبة اكـبر عـند النسـاء ، وبخاصة المحجبات منهن .

إن ظاهرة العداء للاجانب آخذة بالاتساع ، وتوجد في اغلب شرئح المجتمع السويدي ، وبخاصة بين رجـال الشـرطة وكبار التـجار ، واصحاب رؤوس الاموال .

هذا وقد أُسس حـزب سـياسي جـديد مـعادٍ للاجـانب ؛ لـينظم إلى عشـرات الاحـزاب القـائمة عـلى سيادة العـنصر الابيض والعـداء للاجانب .

ويـخشى الاجـانب مـن ارتـفاع مـوجة العـداء لهـم مـن قـبل العنصريين ، وللـوقوف امـام هـذا العداء العنصري اعلنت اكثر من ٢٠ مـنظمة سـويدية واجـنبية انشـاء تجمع ضـد العـنصرية ، ويشـارك المسلمون بهذا التجمع مـن خـلال منظماتهم الاسلامية .

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون »

الأعراف : ٩٦

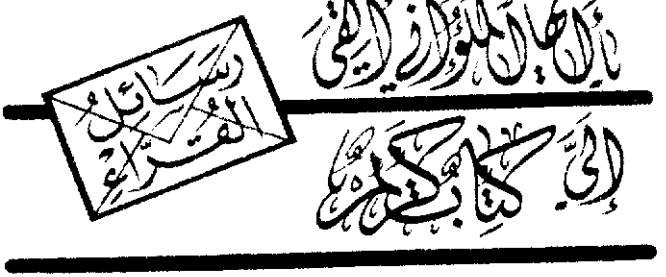

مع قراء الثقلين

باب ننفتح منه على عوالم قرّاء مجلّة «رسالة الثقلين» بكلّ ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلّتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة : «التحرير»

بسم الله الرحمن الرحيم

● **نرجو تعاونكم معنا**

ابعث إليكم رسالتي هذه لاخبركم بما نعانيه وتعانيه الأمة الاسلامية من التفرق والتمزق في اوساط المجتمعات الاسلامية ؛ وذلك بسبب دخول الحركة الوهابية ؛ فمنذ قيام محمد عبد الوهاب والناس تعاني التشتت بسبب وجود اتباعه وحركتهم لتفريق صفوف المسلمين ؛ ونحن في اليمن نجاهد بكل وسعنا ونحاربهم ونحذر الناس من التمسك بهم . فنحن نقيم الندوات ونحيي المناسبات مثل عيد يوم الغدير ؛ ومجالس العزاء في ذكرى استشهاد الامام علي عليه السلام والامام الحسين عليه السلام والامام زين العابدين عليه السلام .

والوهابية تحاول بكل وسعها أن تنهي هذه المناسبات الغالية على كل مسلم غيور على دينه ؛ وعندها مؤسسات تدعمها بكل

ما تملك ؛ كما أن دول الغرب هم كذلك يتعاونون مع هذه الحركة .

نرجو من الله سبحانه وتعالىٰ أن ينصر الاسلام والمسلمين ، وأن يثبتنا وإياكم علىٰ طاعته ، وأن يرد كيد الوهابية ومن يتعاون معهم .

وارجو من الله ثم منكم أن ترسلوا لنا بالكتب للأستفادة منها في ردع كل من يحاول أن يحارب مذهب أهل البيت عليهم السلام .

نرجو تعاونكم معنا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد احمد علي العزي
اليمن

* * *

● عهدنا لكم هو السير علىٰ طريق ذات الشوكة

إننا نخط لكم هذه العبارات المتواضعة ، ونتمنىٰ أن تصلكم وانتم علىٰ أحسن حال وأتم الصحة والعافية . نكاتبكم أيها الأخوة لنؤسس معكم علاقة مسؤولة اساسها خدمة الاسلام ، والاخلاص والولاء لخط أهل البيت عليهم السلام وولاية الفقيه المتمثلة بولي أمر المسلمين (دام ظله) ؛ ونحن عازمون باذن الله ولطفه ، وبركات المعصومين عليهم السلام ، ودعواتكم المباركة لنا بالتوفيق والسداد ، علىٰ خدمة الاسلام المحمدي الاصيل وتقوية شوكته وتوسعة انصاره بكل ما نملك ، فلا يغلو شيء علينا بعد أبي عبد الله الحسين عليه السلام . وعملاً بوصية الامام الراحل رحمه الله الخالدة ، وهي ألّا نعقد الامل علىٰ مساعدة خارجية في الوصول إلى الهدف المتمثل في الاسلام وتطبيق الاحكام الاسلامية ، علينا أن ننهض بأنفسنا بهذا الأمر الحيوي الذي يستتبع تحقق الاستقلال والحرية .

لذا فنحن اليوم نلتقي معكم لنفتح خط اللقاء بكم ، وعهدنا لكم هو السير علىٰ طريق ذات الشوكة حتىٰ ينصر الله هذا الدين أو نهلك دونه .

نتمنىٰ من اخوتنا ألّا يبخلوا علينا بما نطلبه منهم ؛ وليعلموا أنهم يتعاملون مع حالة ممتدة

ومحكمة وعاملة في سبيل الله .

نسأل الله الرضا وأن يقبلنا من خَدَمة دينه وعباده .

ابو علي
المغرب العربي

* * *

● عندما رأينا مجلة رسالة الثقلين شعرنا بجاذبيتها

نشكركم شكراً وافياً على ما تبذلونه من جهود من اجل نشر مجلة رسالة الثقلين ، المجلة التي تتضمن قضايا الدين وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام .

إن ذكر سيرة الأئمة وتاريخهم، مثل حادثة كربلاء ، لافت للنظر عندنا ، والسبب أنا نحن الافارقة تأخرنا عن معرفة تاريخ أهل البيت عليهم السلام ؛ فنسأل المولىٰ أن يجعلكم من العاملين في سبيله .

نحن قراء جدد لمجلتكم رسالة الثقلين الجميلة ، فقد احببناها واعجبنا بها ، وعندما رأيناها أول مرة شعرنا بجاذبيتها لنا لجمال مواضيعها المفيدة ؛ لذا نتمنىٰ أن نكون من المشتركين الدائمين ، لنشارك الاصدقاء في ابواب المجلة أو في بعض المقترحات .

إننا هنا في اوغندا بحاجة ماسة إلى اقتناء امثال مجلتكم ، فكل ما موجود فيها مفيد ويساهم في ثقافة شبابنا .

الشيخ عبد الباسط محمد سكمانيا
اوغندا

* * *

● نامل أن تصلنا رسالة الثقلين باعداد اكبر

يسرنا أن نبعث إليكم تحية اخوانكم المؤمنين ، شاكرين لكم جهودكم لخدمة الاسلام والمسلمين ، وخصوصاً خدماتكم لقضايا الشعوب المظلومة ، سائلين المولىٰ العلي القدير أن يسرع في نهاية المتسلطين علىٰ رقاب الشعوب ، وأن يصلح امور ديننا ويجمع كلمتنا ويوحّد صفوفنا تحت راية الاسلام والمخلصين من ابنائه وعلماء الأمة الاسلامية إنه سميع الدعاء .

اخوتنا ، تصلنا مجلة رسالة الثقلين الغراء باستمرار . نأمل أن

تصلنا باعداد أكبر على عنواننا الجديد ، ونتمنى لكم كل الخير والصلاح .

دمتم لخدمة الاسلام والمسلمين وخط أهل البيت المعصومين عليهم السلام .

مركز الشهيد الصدر
النروج

* * *

● ارسلوا لنا رسالة الثقلين لدعم مشروعنا

نود أن نعلمكم بأن لجنة انوار الاسلام قد بدأت بفتح كلية انوار الاسلام العربية ، ولها مشروع كبير لتعليم المسلمين الدين واللغة العربية ؛ كما أن اللجنة فتحت مدرسة ثانوية ودار ايتام ودار كتب ؛ وهذه الكلية تقع في وسط مدينة كاليوت بولاية كيرالا جنوب الهند ، وتمنح شهادة البكالوريوس.

نرجو من سعادتكم أن ترسلوا لنا مجلة رسالة الثقلين لدعم مشروعنا ، وليستفيد منها الطلاب ، وسنظل لكم شاكرين .

عميد كلية انوار الاسلام العربية
كاليوت ـ الهند

● الموسوعة القيمة

ابعث لحضرتكم هذا الخطاب متمنياً أن يصلكم وانتم بخير ، كما أود أن اعلمكم بأن عنواني قد تغير ، مع اعتذاري لحضرتكم وإلى كل العاملين في هذه الموسوعة القيمة ، داعياً المولى العزيز أن يرعاكم بحفظه لما تقومون به من جهد عظيم ، لإيصال كلمة الحق لكل بقعة من الارض ، مع تمنياتي لكم بالتوفيق لكل عمل تقومون به . جزاكم الله خيراً .

اخوكم
محسن الخفاجي
هولندا

* * *

● نسال الله ان يرزقكم حسن المواصلة في عملكم

نشكركم على كل ما تقومون به من اعمال حسنة ، وشعوركم أن جميع المسلمين أخوة .

نحن نحصل على مجلة رسالة الثقلين كل ثلاثة أشهر . نسأل الله تعالى أن يوفقكم لما فيه صلاحكم.

أطلب منكم لو امكن أن

تـــرسلوا إليَّ آخـــر عـدد مـن مـــجلة رســـالة الثـقلين ، وكـذلك مـجموعة الكتب الاسـلامية لأنـني محتاج إليها .

كـــــما أود أن اعـــلمكم بأن مدرستنا حالياً مضطربة من ناحية الدراسة الفقهية ؛ ولذا اطلب منكم لوجه اللّـه أن تـجدوا لنـا شـخصاً تقيمون العلاقة بينه وبيننا يـمكنه مسـاعدتنا لتكـون المـدرسة أكـثر فعالية .

اسأل اللّـه أن يـرزقكم حسـن المواصلة في عملكم .

منير الحيدري
فرنسا

* * *

● **رسالة الثقلين تحفة غراء**

شكـــري وتـــقديري لجـميع العاملين فـي هـذه التـحفة الغـراء ؛ ولديَّ ملاحظة بسيطة أحب ذكرها للـفائدة العـــامة ، وهـي أن هـناك الكـثير مـن المـواضـيع القـيمة التـي تـنشر فـي مـجلتكم الغـراء تكـون مـصادرها فـقط مـن كـتب علماء أهـل البيت عليهم السلام ، وبـخاصة البحار للمجلسي ، بـالرغم مـن أن هـناك مـصادر مشـابهة لعلماء المذاهب الاسلامية الاخرىٰ .

هناك الكثير من فطاحل علمائنا لا يستندون إلّا علىٰ مـصادر أهـل الجماعة ؛ لكي تكون الحجة اقـوىٰ وادل ؛ فـيا حـبذا لو قـرأ السـادة الكرام الذين يكتبون علىٰ صفحات المجلة الغراء هذا الاقتراح ويأخذوا به ، ويحاولوا أن يجهدوا انـفسهم قليلاً لخدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، يـذكروا مـصادر أهـل المـذاهب الاخرىٰ .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

اخوكم
احمد ابراهيم
السويد

* * *

رسالة الثقلين
مجلة إسلامية دامعة

قسيمة الاشتراك

الاسم
العنوان
المدينة
البلد
المهنة
مدة الاشتراك
ابتداء من
عدد النسخ

بدل الارسال	الاشتراك السنوي	لمدة ٦ اشهر
الجمهورية الاسلامية في ايران (بالريال)	٨٠٠٠	٤٠٠٠
باقي دول العالم (الدولار الامريكي)	٣٠	١٥
	(او ما يعادله)	

يرافق الاشتراكي : ☐ أصك ☐ أصك بريدي ☐ إحوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» الى العنوان التالي :
• الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران . ص. ب . ٣٨٩٩ - ١٤١٥٥

الاشتراكات

- في داخل الجمهورية الاسلامية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :
- الجمهورية الاسلامية في ايران . طهران . بانك تجارت . شعبه سازمان آب . رقم الحساب الجاري ٢٥٩٣١ . ٣١٧ (بالريال) لمجلة رسالة الثقلين
- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولارا اميركيا او مايعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

1 - Bank Saderat, Hamburg 6232-32 - 3016
2 - Bank Mellat, Iran HC/AC/120025 - HC/A/120207

ثمن النسخة :

■ **الجمهورية الاسلامية الايرانية** ٢٠٠٠ ريال ■ **العراق** ١٠ دنانير ■ **لبنان** ٢٥٠٠ ليرة ■ **سوريا** ٥٠ ليرة
■ **الاردن** دينار واحد ■ **الكويت** دينار واحد ■ **البحرين** دينار واحد ■ **الامارات** ١٥ درهما ■ **قطر** ١٥ ريالا
■ **عمان** ريال واحد ■ **السعودية** ٢٥ ريالا ■ **اليمن** ٣٥ ريالا ■ **مصر** ٧٥ قرشا ■ **ليبيا** ١٠٠٠ درهم
■ **السودان** ١٠٠ جنيه ■ **تونس** دينار واحد ■ **المغرب** ١٥ درهما ■ **الجزائر** ١٢ دينارا
■ وفي باقي دول آسيا وافريقيا واميركا واستراليا واوربا ٧ دولارات اميركية اومايعادلها

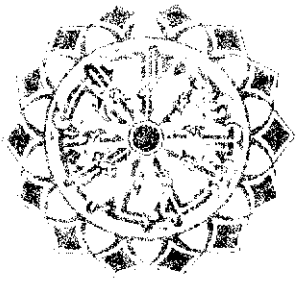

Vol. 2, No. 2, August - Oct. 1998

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى : لوحة فنية بخط الثلث تتضمن البسملة والآية القرآنية ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ، ووصف الرسول الكريم ﷺ على لسان الامام علي (ع) الذي زانه بخط رائع

الصفحة الثانية : لوحة فنية بالخطوط الثلاثة (البرناني والثلث والنسخ) تتضمن حديثا شريفا عن رسول الله ﷺ